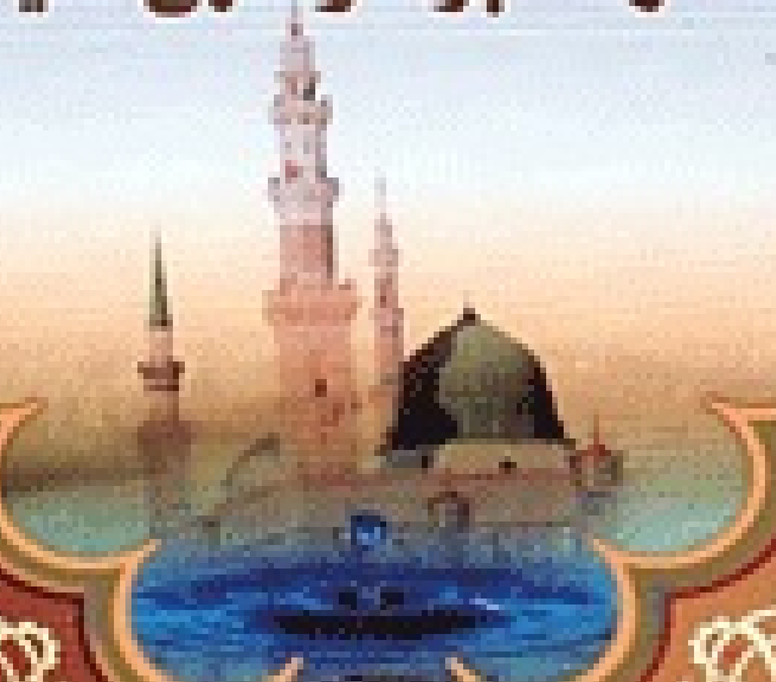
الإمام الصّادق (ع)

عطر النبوّة ومنهج حياة



بسم الله الرحمن الرحیم

الامام الصادق (عليه السلام) عطر النبوه و منهج حياه

كاتب:

حسين ابراهيم الحاج حسن

نشرت فى الطباعة:

مجهول (بى جا ، بى نا)

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الامام الصادق علیه السلام عطر النبوه و منهج حیاه

اشاره

المؤلف: حسین ابراهیم الحاج حسن

النشر : حسین ابراهیم الحاج حسن

الطبعه: الثانی

طبع فی سنه: ۱۴۲۸ ق / ۲۰۰۷ م

تقدیم

بسم الله الرحمن الرحیم قال تعالی: (انما یرید الله لیذهب عنکم الرجس أهل البیت و یطهرکم تطهیرا) صدق الله العلی العظیم. [الأحزاب الآیه: ۳۳]. العظماء من العلماء قلیلون فی کل حقبه من حقبات التاریخ، و أقل منهم الذین یتحملون عب ء الرسالات الانسانیه، شرحا، و فهما، و جهادا، و کفاحا من أجل ابقاء کلمه الله العلیا، و أقل و أقل الذین یخلدون بفضل معطیاتهم الجلیله، و أعمالهم النبیله و علومهم الخیره الکریمه عبر التاریخ هؤلاء هم صفوه الصفوه، و من هؤلاء العظماء و العباقره العلماء کان الامام جعفر الصادق علیه سلام الله. و أبوعبدالله غنی عن التعریف فهو ریحانه قریش و عمید آل البیت تهفو الیه القلوب و تشرئب نحوه الأعناق من کل حدب وصوب و کل یرید ان یغترف من بحر علمه ما یحتاج الیه. و هل یمکننی الاحاطه بالامام جعفر الصادق علیهم السلام و علومه و آثاره و حکمه و موافقه، و هل یمکن افراغ البحر بصدفه؟. کان الامام الصادق اماما للمسلمین کافه، من کل بقاع الأرض، تشد الیه الرحال من أقاصی البلاد طلبا للعلم و المعرفه، و شرحا لقضایا دینیه و علمیه و اجتماعیه؛ کان یستنبط الأحکام الشرعیه من القرآن الکریم، و سنه جده رسول رب العالمین، تلبیه لما کانت تطرحه الحیاه الاجتماعیه بوقائعها و مشاکلها، و لم یکن یرقی الی وضع قواعد مذهب معین لفئه معینه، و انما غایته تقدیم العلم و المعرفه [صفحه ۶] للطالب مما أخذه عن آبائه الأوصیاء الکرام، و عن جده الرسول الأعظم رسول الهدی و الرحمه. و الدلیل علی

ذلك تلامذته، أصحاب المذاهب الأقصاب أمثال أبى حنيفه و مالك بن أنس و سفيان بن عيينه، و سفيان الثورى و هشام بن الحكم و غيرهم من رؤساء المذاهب الاسلاميه المختلفه و جهابذه العلم. و بعباره صريحه كان ينشر مذهب رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم، بصيغ متطوره لحاضر سعيد و مستقبل اجتماعى متقدم. ان الأقوال و النعوت التى تبرز دور الامام الصادق عليهم السلام و تظهر علو مقامه و سمو فضله قد صدرت عن كبار علماء الاسلام من شتى الفرق و المذاهب، و ما زالت آثارها باقيه حتى الآن، و الحوزات العلميه اليوم هى امتداد لتلك الحوزه العلميه العظيمه. و الامام الصادق هو صاحب مدرسه عظيمه جدا مدت جذورها عمق التاريخ و بقيت مباركه طيبه أصلها راسخ فى الأرض و فروعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها. و صاحب المدرسه هذه وحده موسوعه علميه، تقف وراء طاقاته التكوينيه المتينه أسباب جليله ساهمت جميعها فى شحن المعارف الواسعه الى فكره المركز، و ارادته المعتصمه بالمران الأصيل. لكن كل هذه الطاقات المباركه، و ان تكن متنوعه المواهب، فهى موحده القصد و المخرج، و تصب كلها فى بوتقه واحده بوتقه بناء مجتمع صالح. لذلك يمكننا اعتبار الامام جعفر الصادق خطا سياسيا قائما بذائه، ولكنه ملون بولائه الامامى فى اداره شؤون الأمه الاسلاميه و صيانتها من الضياع و الهدر. و هنا لا بد لنا من طرح سؤال يتناوله أكثر الناس، و هو تعاطى الامام عليه السلام السياسه؟ و هل نجح فى ممارستها؟ و كيف وفق بينها و بين العقيده؟ هذا و اننى قد قسمت الكتاب الى سته فصول، تتضمن سيرته الكريمه، و دعوته الاصلاحيه، و دوره فى الحياه الاجتماعيه،

و ادب الامام علیه السلام. [صفحه ۷]

کلمه شکر و تقدیر

هـذه المباراه و البحوث التی تقـدم للمشارکه فی مهرجان عظیم لکوکب عظیم، من کواکب الاسـلام، أضاء الـدنیا بنمیر علمه، و عطر الحیاه بأریج أخلاقه، و بعث فی ضـمیر الأمه الاسـلامیه الجهاد الأمثل لمسـتقبل أفضل، تعد هذه المباراه الفکریه و العلمیه و الأدبیه من أفضل الأعمال الـداله علی مدی تعلق الأمه بعظمائها العظام، و رجالاتها الکرام، و تاریخها الاسـلامی العریق، و بصوره خاصه فی هـذه الأیام الصـعبه التی تحاک فیها المؤامرات، و تشن فیها الحملات من الغزو الثقافی و الفکری من قبل أعـداء الأمه المسـتکبرین، لقطع الأواصـر التی تشدها التی تراثها الاسـلامی و عقیدتها الاسلامیه. تعد هذه المباراه لقاء أخویا تتآلف فیه قلوب أبناء الأمه علی اختلاف مذاهبهم و تتعانق فیه الأقلام الاسلامیه الملتزمه لتبدید سحب الطمس و التزییف التی مورست و ما زالت تمـارس لاقصـاء رسـاله الاسـلام عن واقع الحیـاه. کمـا تعـد أیضـا مناسـبه کریمه للحوار و تلاقـح الأفکـار و تبادل الآراء لاختیار خلاـصه جهود المشـارکین الفکریه لتعریف الأـمه بالمزیـد من عظمائهـا، شـامخه فی الأـفق العلمی و الجهـاد الفکری. ذلک هو: الامام جعفر بن محمـد الصادق علیه السـلام الـذی کان کالأئمه السابقین حامیا لرساله الاسـلام، مدافعا عن المستضـعفین بمواقفه التـاریخیه المشـهوده، و تصـدیه لمناظره الفرق الضاله، و مجاهـدا صابرا بما لاقی من مؤامرات أمویه و عباسـیه، و عالما متألقا بما خلفه من تراث علمی ضـخم غزیر فی مختلف مجالاـت العلم و المعرفه. فتحیه شـکر و تقـدیر لکل من ساهـم بهـذه الـدراسات و البحوث العلمیه فی سبیل [صـفحه ۸] الافـاده و التنویر. و احیاء القضایا الکبری فی المجتمع الانسانی. و لا أری أیه قیمه لدراسـه أو رساله ما

لم تکن فی خدمه قضیه انسانیه فی مجتمع انسانی. و لا- یطیب قلم باحث أو کاتب ما لم یعالج قضیه کبری یتبناها و یعیش أهدافها الشاهده علی صحتها؛ لأن القضایا الجلیله هی الشعاع الذی یستضیء به فکرنا، والدافع لأشواقنا و المحیی لوجداننا و عقیدتنا. ان جهودکم المشکوره التی وجهت الدعوه العامه لتقدیم دراسه جدیده عن الامام جعفر بن محمد الصادق، شبیهه هی بالدراسات الناجحه التی قدمت عن الأئمه المعصومین السابقین و کان لی الشرف بالمشارکه فیها و القضیه العظیمه التی غاصوا بها و حملوها علی عاتقهم أمانه هی ذاتها عندهم جمیعا علیهم السلام. و من أجل هذه القضیه العظیمه شهر الامام علی علیه السلام سیفه ذا الفقار و قصف الامام الحسن علیه السلام حسامه، حقنا للدماء، وصونا لوحده المسلمین. و من أجل القضیه نفسها سار الامام الحسین علیه السلام من مکه الی کربلاء لا بسا عباءه جده التی ما طاب له الا أن یصبغها بدماء وریده الشریف. هذه الدماء الزکیه التی قال عنها جده النبی الأکرم صلی الله علیه و آله و سلم: «ان فی دماء الحسین حراره لا تبرد فی قلوب المؤمنین مدی الحیاه». و من أجل القضیه جاهد الامام السجاد زین العابدین و استشهد مسموما علی أیدی الحکام الأمویین المجرمین. و من أجلها أیضا ناضل الامام الباقر علیه السلام و استشهد بعد أن ساهم ببناء المدرسه الکبری التی أتمها و نهض بها ولده الامام الصادق علیه السلام الذی نعیش مع علمه و فکره و ثقافته فی هذه الأیام المبارکه و نستلهم من جهوده النضالیه و سیرته المثالیه و أخلاقه المحمدیه و تعالیمه الاسلامیه الخالده علی صدر الزمان مهما ساءت الظروف و الأحوال. لقد کانت القضیه واحده، ولکن التعبیر عنها قد

جاء مع کل واحد من کواکب الاسلام المشرقه، بلون میزه عن الآخر. فشکرا جزیلا لجهودکم التی حرکت فی نفسی شوقا سامیا أتلمظ به طمعا لذیذا من لقاح العنفوان و الکرامه تحیا به کل النفوس التی تأبی الذل و الهوان و ترغب فی صون الکرامه الانسانیه و الرساله الاسلامیه علی مدی الزمان. [صفحه ۹]

توطئه

اشاره

نداء القلم: أیها القلم الرفیق الأمین اسمع ندائی و لب دعوتی لقد وجهت الیک بالأمس دعوه تنادیک الی ولوج مأدبه خاصه من المآدب الحسینیه الکریمه فلبیت النداء مشکورا. ثم تتالی الیک النداء مشفوعا برایه خضراء عصرت منها زیتا لسراجک تکحلت به نورا الی دار الامام السجاد، دار الجهاد و الأمجاد. ثم جاءک بالأمس القریب نداء ثالث یشدک الی داره الامام الباقر فسهرت معه اللیالی الطویله حتی شروق الصباح الأبیض فهرولت مسرعا مشتاقا تلبس رداء الصبر مجاهدا عزیزا. و الیوم یا قلمی الأمین تأتیک دعوه جدیده أشعر أنها مثل الدعوات السابقات تهزنی هزا، فهل تهزک أنت و تلبی النداء؟. قال القلم: ان بی تعبا شدیدا لأننی أجاهد معک باستمرار، و أنت أعلم بحالی معک. فرحت أطبع علی ثغره قبلاتی الحاره التی تشرح بالنشوه و تفیض بالحنان الی أن استعاد نشاطه و وعیه و استوعب ما أنا أستحثه الیه. فیا صدیقی الوفی ویا رفیقی الأبی أعرف جیدا کم أجور علیک و کم أحملک من الأثقال و ذلک لأنی أدرک أن فیک شوقا حارا یدفعک الی اقتحام حلبات المصارعه مع أقلام حره جریئه جاءتک من جمیع البلدان العربیه. کما أدرک أیضا أنک صیاد ماهر تعرف کیف تقتنص الکلمات فتلبسها زیا جمیلا و لونا بهیجا و سحرا [صفحه ۱۰] جلیلا، فأنت فنان ماهر

يـا قلمى الجيب، و أنت غواص قـادر يا صـديقى العزيز تغوص الى أعماق البحار لتأتى بالـدرر الثمينه و اللآلى ء الكريمه. و أنت مراقب ساهر تقتفى أثر الخطوات الكبيره لتأخذ من وقعها قوه ساحره تزنر بها خصـر الكلمات. عندها اهتز القلم فى كفى و اعترته نشوه غريبه و انتفـاضه نشـطه و قال: لبيك، لبيك اننى قبلت الـدعوه و أنا بين يـديك رفيقا مطيعا و صـديقا صـدوقا، ألبى النـداء فـابرنى بسـكينك مـا شئت و اسـقنى من ديمه هطول لا ـ ينقطع غيثها، فلا آخـذ الكلمه الا منك و لا أبنيها الا بخفقه معصـمك وضوء عينيك و حراره قلبك. و راح القلم الحبيب يخاطب المحبره كأنه يسـتجديها لتمده بريقها ثم هفت الى لتأخذ – له – منى الجواب. صـدقت يـا رفيقى الحبيب و أنا مثلك مشـتاق و مشـتاق لأخوض معك غمار المعركه، معركه الحياه التى تعطينا المـدد بعون الله و تبرى أقلامنـا و تسـقينا من حبرهـا، نلون بها الصـفحات البيضاء الخرساء لنجعلها تنطق بالحقيقه المحقه و الحق المبين. نأخـذ من الحياه الكلمه الحره و من العقيـده الجمله الحاره و نبنى بها أساسا راسـخا و عماره قويه صامده فى وجه الأعاصـير. فاذا كـان لنا الجمع بين الأصـيل و الغوص العميق، فـذلك من معانيها الصـحيحه و من أهـدافها النبيله المزدهيه بجمال الصـدق و قوه الغوص. فالصـدق و التجرد و الغوص يـا قلمى العزيز يبنون النفس البشـريه و يرشـدونها الى جمال التصوير و جلال الحياه فكلانا قوه يـا قلمى فى كفهـا الكريم. تلـك هى القضايـا الكبيره، تنبت منهـا الكلمـات الكبيره و يصـدر عنهـا التعبير الجميل و لا يخفى عليك أن المعرفه و الشوق هما الصيادان الماهران اللذان يقتنصان التعبير المسبوك من حقيقه

القضـيه، و يعبران عن حقيقه جلالهـا. أمـا هـذه الـدعوه الجديـده التى يحفزك و يحفزنى الحب الى جعلها جليله، فلا أظنك الا متهيبا مثلى جديه خوض الحلبه لأن لها فى مجال التاريخ الكبير قضيه كبيره تفتش عن حقيقه الانسان. [صفحه ١١] عديدون هم الكواكب المشـرقه الـذين تنـاولت سـيرهم العظيمه، ولكن لم تعترنى هزه، و هم العظام، كالهزه التى تملكتنى و أنا أتتبع خطوات الامام جعفر بن محمد الصادق، صادق القول و صادق العمل و صادق المعرفه و صادق الضـمير. جاهد و كافح و ناضل من أجل الحفـاظ على الرسـاله الاسـلاميه و من أجـل بناء مجتمع سـليم قويم تتعزز فى تطويره كل السـبل. هكـذا عمل أبوه و أجـداده فى حقيقه الرساله، و هكذا قالت الوصـيه و هكذا قالت له الامامه الهاجعه فى ضـميره الحى و فى وجدانه المكين. تلك هى المسـيره العظيمه، و تلك هى القضيه العظيمه خطها و نفذها أجدادك العظام. عرفوا الحق و دافعوا عنه، و قاوموا الظلم وضحوا من أجله و سـاهموا فى بنـاء المجتمع و ما قصـروا فى كل مجالاته. تلك هى الكلمه التى أدعوك الى جلوه حروفها يا قلمى العزيز و يا رفيق عمرى الكريم. فالامام جعفر الصادق حياه الكلمه و هل يبنى مجتمع سـليم بغير هذه الكلمات. فسـلام عليك يوم ولدت و سـلام عليك يوم توفيت و سلام عليك يوم تبعث حيا. [صفحه ١٣]

السيره الكريمه

المنبت الحسن

الفروع تتبع الأصول، و الأصل الطيب يعطى نباتا طيبا و ثمرا طيبا. أسـماء الأئمه و ألقابهم نزل بها الروح الأمين من المولى الجليل على الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم فيحدث سلمان الفارسى أن النبى صلى الله عليه و آله و

سلم ذکر خلفاءه الاثنی عشر الذین اختارهم الله للامامه و أوجب علی الأمه معرفتهم بأسمائهم و أنسابهم، و أنه لا ایمان لمن لم یتولهم و لا یتبرأ من عدوهم. هذه الأروم الطیبه المطهره و العتره الطاهره هم أهل البیت الذین أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهیرا. قال تعالی: (.. انما یرید الله لیذهب عنکم الرجس أهل البیت و یطهرکم تطهیرا) [۱] فالتطهیر هو الدرجه العلیا للبشر، و الاختصاص به بین المسلمین المؤمنین یجعل لأهل البیت حقوقا و امتیازات تؤهل لامامه الدین و امامه الدنیا، أی خلافه الدین و الدنیا. و ثمه سنن مرویه فی تفضیل علی و بینه و جعلهم من الأوصیاء أو الأئمه. قال الفقهاء عموما و المفسرون خصوصا فی تعریف أهل البیت: ان أهل البیت هم: رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم و علی و فاطمه، و الحسن و الحسین علیهم السلام یؤیدهم فی ذلک حدیث أم سلمه أم المؤمنین أن النبی صلی الله علیه و آله و سلم أجلس الأربعه حوله علی کساء له [صفحه ۱۴] وضعه فوق رؤوسهم و أومأ بیده الیمنی الی ربه عزوجل ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل البیت، فاذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهیرا». و الامامه کما ذکر الفقهاء تثبت فی الأعقاب و لا تعود فی أخ و لا عم و لا غیرهما من القرابات. جاء عن أبی عبدالله علیه السلام قال [۲] : لا تعود الامامه فی أخوین بعد الحسن و الحسین أبدا، انما جرت من علی بن الحسین کما قال الله تبارک و تعالی: (و أولو الأرحام بعضهم أولی ببعض فی کتاب الله) [۳] . و الامام جعفر الصادق هو امام معصوم ابن الامام محمد

الباقر ابن الامام على زين العابدن ابن الامام الحسين ابن الامام على بن أبى طالب عليهم جميعا أفضل السلام. الاسم: جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم أفضل الصلاه و أزكى السلام. مولده: ولد فى المدينه يوم الجمعه أو يوم الاثنين عند طلوع الفجر فى السابع عشر من ربيع الأول يوم ميلاد جده الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم سنه ۸۰ عام الجفاف أو سنه ۸۳ على روايه المفيد و الكلينى و الشهيد. أبوه: الامام محمد الباقر عليه السلام. أمه:أم فروه (فاطمه) بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر و أمها أسماء بنت عبدالرحمن بن أبى بكر. جده: الامام زين العابدين، على بن الحسين بن على بن أبى طالب الملقب بالسجاد. كنيته: أبوعبدالله و أبواسماعيل، و أبوموسى و أولها أشهرها. ألقابه: له ألقاب كثيره أشهرها الصادق، و منها الصابر، و الفاضل و الطاهر و القائم و الكافل و المنجى. [صفحه ۱۵] نقش خاتمه: ما شاءالله، لا قوه الا بالله، أستغفر الله، و روى: الله عونى و عصمتى من الناس، و روى: اللهم أنت ثقتى فقنى شر خلقك و روى: الله خالق كل شى ء. زوجاته: حميده بنت صاعد المغربى، فاطمه بنت الحسين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب. أولاده: كان له عشره أولاد سبعه ذكور و ثلاث بنات و هم: الذكور: اسماعيل الأمين، و عبدالله، و موسى الكاظم، و اسحاق و محمد الديباج لأم ولد، و العباس و على لأم ولد. البنات: أم فروه و يظهر من المناقب أن اسمها أسماء و أم فروه كنيتها. و فاطمه الكبرى أمها حميده، و فاطمه الصغرى. شعراؤه: السيد الحميرى، و أشجع السلمى، و الكميت بن زيد الأسدى، و

أبوهريره الآبـار، و جعفر بن عفـان. بوابه: المفضـل بن عمر كمـا فی الفصول المهمه و جـاء فی المناقب: بوابه: محمـد بن سـنان. تلاميـذه: أخذ عنه العلم و الحديث أكثر من أربعه آلاف رجل [۴] . مؤلفاته: قال الشيخ المظفری: ما روی عنه بلا واسطه ثمانون كتابا، و بواسـطه سبعون كتابا [۵] و سوف نأتی علی تفصـيلها فی باب علومه. المصـنفون من تلاميذه: صـنف المئات من تلاميذه فی مختلـف العلوم و الفنون [۶] . مده امامته: أربع و ثلاثون سـنه. [صـفحه ۱۶] صـفته: كان الصادق عليه السلام ربع القامه ليس بالطويـل و لا القصـير، أبيض الوجه أزهر له لمعان كأنه السـراج المضاء، حالك الشـعر جعـده [۷] ، أشم الأنف [۸] ، قد انحسر الشـعر عن جبينه فبدا مزهرا، رقيق البشـره علی خده خال أسود [۹] . ملوك عصـره: أ- عاصـر من بنی أميه: هشام بن عبدالملک، يزيـد بن عبدالملک الملقب بالناقص، ابراهيم بن الوليد، مروان بن محمد الملقب بالحمار. ب - و عاصـر من ملوك بنی العباس: السـفاح، و المنصور. أوصـياؤه: أوصـی عليه السـلام الی ولديه عبدالله و موسـی، والی زوجته حميده، و الی محمد بن سليمان، و الی المـدينه، و الی المنصور العباسـی [۱۰] . وفـاته: انتقـل الی الرفيق الأعلی فی الخامس و العشـرين من شـهر شوال سـنه ۱۴۸ ه متأثرا بسم المنصور العباسـی، دسه اليه علی يـد عامله علی المـدينه - محمـد بن سـليمان. عمره: كان الامام الصادق عليه السـلام أكبر الأئمه سـنا فعمره الشريف علی الروايه الأولی من مولده ۶۸ سنه و علی الثانيه: ۶۵ سنه. قبره: دفن عليه السلام فی البقيع الی جانب أبيه الباقر وجده زين العابدين و عمه الحسن السبط، صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين.

هدم قبره: فی الثامن من شوال سنه ۱۳۴۴ ه هدم الوهابیون قبره علیه السلام و قبور بقیه أئمه أهل البیت علیهم السلام. [صفحه ۱۷]

النص علیه بالخلافه

کان الأئمه المعصومون علیهم الصلاه و السلام، ینص السابق منهم علی اللاحق، و السلف علی الخلف، تنویها باسمه، و تشخیصا للامام من بین اخوته، و تعیینه للملأ، و تنصیبه علما للأمه، و سادنا للاسلام، و مرشدا و هادیا للمسلمین یحب فی الله و یکره فی الله و یعمل فی سبیل الله. و الآن نسجل ما ورد من النص علی خلافه الامام الصادق علیه السلام من قبل أبیه الامام الباقر علیه السلام. ورد فی الارشاد عن جابر بن یزید الجعفی قال: «سئل أبوجعفر علیه السلام عن القائم بعده، فضرب بیده علی أبی عبدالله علیه السلام، و قال: هذا و الله قائم آل محمد علیهم السلام» [۱۱] و جاء فی الارشاد أیضا عن لسان طاهر، صاحب أبی جعفر علیه السلام قال: «کنت عنده، فأقبل جعفر علیه السلام، قال أبوجعفر علیه السلام: هذا خیر البریه» [۱۲] . و فی حدیث له علیه السلام مع الکمیت بن زید و قد سأله عن الأئمه علیهم السلام قال: أولهم علی بن أبی طالب و بعده الحسن، و بعد الحسین، و بعده علی بن الحسین، و أنا، ثم بعدی هذا و وضع یده علی کتف جعفر علیه السلام [۱۳] . و قال نافع: قال أبوجعفر الامام الباقر علیه السلام لأصحابه یوما: اذا افتقدتمونی فاقتدوا بهذا، فهو الامام و الخلیفه بعدی [۱۴] و قال أبوالصباح الکنانی کما فی بحار الأنوار: «نظر أبوجعفر الی أبی عبدالله فقال: تری هذا؟ هذا من الذین قال الله عنهم: (و نرید أن نمن علی الذین استضعفوا فی الأرض و نجعلهم أئمه و نجعلهم الوارثین) [۱۵] . [صفحه ۱۸]

تلامذه الامام الصادق ورواه حدیثه

کان تلامذته علیه السلام من مختلف الأقطار الاسلامیه علی اختلاف آرائهم و معتقداتهم و قد أجمع العلماء علی أنهم کانوا أربعه آلاف، و هؤلاء الثقات

منهم و سوف نذكر من اشتهر بالعلم و من خرج حديثه كأصحاب الصحاح: البخارى، و مسلم، و الترمذى، و أصحاب السنن، و منهم من أصبحوا رؤساء مذاهب و رؤساء طوائف: ١- أبوحنيفه النعمان بن ثابت المتوفى سنه ١٥٠ ه صاحب المذهب المنسوب اليه و قد اشتهر قوله: ما رأيت أعلم من جعفر بن محمد. و قوله أيضا: لولا السنتان لهلك النعمان. و كانت له مع الامام الصادق اتصالات متفرقه بالمدينه و الكوفه، و قد لازمه مده سنتين متواصلتين بالمدينه فجعل هاتين السنتين نجاه له من الهلكه. ٢- و مالك بن أنس المتوفى سنه ١٧٩ ه رئيس المذهب المنسوب اليه و كانت له صله تامه بالامام الصادق و روى الحديث عنه و اشتهر قوله فيه: ما رأت عين أفضل من جعفر بن محمد. ٣- سفيان الثورى المتوفى ١٦١ ه و هو من رؤساء المذاهب و حمله الحديث و قد بقى مذهبه معمولا به الى ما بعد القرن الرابع الهجرى، و كان لسفيان اختصاص بالامام الصادق و قد روى عنه الحديث كما روى كثيرا من آدابه و أخلاقه و مواعظه و حكمه. [صفحه ١٩] ٤- حاتم بن اسماعيل المتوفى سنه ١٨٠ ه كوفى الأصل خرج له البخارى و مسلم و الترمذى و الجماعه و كان ثقه فى الحديث، أخذ عن الصادق و أخذ عنه خلق كثير منهم اسحاق و ابن معين. ٥- حفص بن غياث بن طلق بن معاويه بن مالك، أبوعمرو الكوفى المتوفى سنه ١٩٤ ه روى عن الصادق و روى عنه أحمد بن حنبل، و اسحاق و أبونعيم، و يحيى بن معين، و على بن المدينى و عفان بن مسلم، و عامه الكوفيين، ولى قضاء

بغـداد، و کـان حافـظ الحـديث ثبتـا فيه مقـدما عنـد المشايـخ کتبوا عنه من حفظه ثلاثه آلاف أو أربعه آلاف حـديث خرج له الجماعه أجمع. ۶- زهير بن محمد التميمى أبوالمنذر الخراسانى المتوفى سنه ۱۶۲ ه أخذ عن الامام الصادق و أخذ عنه أبوداود الطيالسـى، و روح بن عبـاده، و أبوعـامر العقـدى، و عبـدالرحمن بن مهـدى، و الوليـد بن مسـلم، و يحيى بن بکير، و أبوعاصم و غيرهم و ثقه أحمـد و يحيى و عثمان الدارمى و هو من رجال الصـحاح. ۷- ابراهيم بن محمد بن أبى يحيى الأسـلمى أبواسحاق المدنى المتوفى ۱۹۱ ه روى عن الصادق، و له کتاب مبوب فى الحلال و الحرام، و ذکره الشـيخ الطوسـى فى الفهرست، و روى عن ابراهيم بن طهمان و الثورى، و ابن جريـج و الشافعى و سـعيد بن أبى مريم و أبونعيم و آخرون. و يعـد من مشايخ الشافعى و قـد أکثر عنه فى کتبه، اختص بحديث أهل البيت أکثر من غيره، و قد اتهم بالحط من السـلف. ۸- الضحاک بن مخلد أبوعاصم النبيل البصرى المتوفى سنه ۲۱۴ ه روى عن الصادق و روى عنه البخارى و أحمـد بن حنبل و ابن المدينى و اسـحاق بن راهويه، قال ابن شـيبه: و الله ما رأيت مثله. ۹- الحارث بن عمير البصـرى نزل مکه روى عن الصادق و عنه روى ابن عيينه و ابن مهـدى و أبوأسامه. و قـد يضـيق المجال هنا عن ذکر تلامذه الامام و رواه حديثه، و هم من کبار العلماء و حمله الحديث و رؤساء طوائف و أئمه مـذاهب و غيرهم. ذکر الشـيخ أسـد [صـفحه ۲۰] حيـدر فى کتـابه الامام الصادق و المـذاهب الأربعه ۱۲۳ عالما [۱۶] و سوف نأتى على

ذکر المشهور منهم. ۱۰- أبان بن تغلب. أبوسعد الکوفی، روی عن السجاد، و الباقر، و الصادق، و مات فی أیامه. جاء فی الفهرست: أبان بن تغلب بن رباح ثقه جلیل القدر عظیم المنزله فی أصحابنا، لقی أبامحمد علی بن الحسین و أباجعفر الباقر و روی عنهم، و کانت له عندهم حظوه و قدم، و قال له أبوجعفر الباقر: اجلس فی مسجد المدینه و افت الناس فانی أحب أن یری فی شیعتی مثلک. و کان غزیر العلم متضلعا فی عده علوم و له کتب ذکرها ابن الندیم فی الفهرست منها: کتاب معانی القرآن، کتاب القراءات، کتاب من الأحوال فی الروایه علی مذهب الشیعه [۱۷] . و قال ابن حجر: روی عن أبی عبدالله الصادق، و هو من السته من أصحابه علیه السلام الذین أجمعت العصابه علی تصحیح ما یصح عنهم و الاقرار لهم عیسی، و حماد بن عثمان، و أبان بن عثمان [۱۸] فقال الشیخ نجم الدین فی المعتبر: «روی عن الصادق أربعه آلاف رجل و برز من تلامذته الفقهاء جم غفیر الی أن یقول: کتب من أجوبه مسائله أربعمائه مصنف لأربعمایه مصنف، سموها بالأصول». بعض المؤلفین من تلامذته: ألف تلامذه الامام الصادق المختصون به کتبا فی سائر العلوم و الفنون منهم: ۱- علی بن یقطین المتوفی سنه ۱۸۴ ه له کتاب ما سئل عنه الامام الصادق من أمور الملاحم [۱۹] . ۲- أبوحمزه ثابت بن أبی صفیه الثمالی المتوفی ۱۵۰ ه له کتاب فی [صفحه ۲۱] التفسیر و کان من تلامذه الباقر و الصادق [۲۰] . ۳- أبوبصیر یحیی بن القاسم المتوفی سنه ۱۵۰ ه و هو من تلامذه الباقر و الصادق، له تفسیر القرآن، ذکره ابن الندیم. ۴- علی

بن حمزه: أبوالحسن الکوفی البطائی من تلامذه الامام الصادق. له کتاب جامع أبواب الفقه، ذکره النجاشی. ۵- اسماعیل بن أبی خالد محمد بن مهاجر له کتاب مبوب فی القضاء ذکره الطوسی. ۶- المفضل بن عمر الکوفی. له کتاب التوحید الذی أملاه علیه الامام الصادق عندما التقی المفضل بأحد الزنادقه، فأملی علیه الامام الصادق تلک الدروس القیمه التی تحتوی علی دلائل التوحید، و محکم البراهین علی وجود الصانع الحکیم من بیان هیئه العالم، و تألیف أجزائه، و کیفیه خلق الانسان و تکوینه و کیفیه ولادته و تغذیته، و غرائزه و طبائعه، و بیان الدماغ و عظمته، و ما فیه وفی سائر الأعضاء من عجیب الصنع، و عظیم القدره، و ذکر الفؤاد و النخاع و الدم الأورده و الشرایین، و بیان قوی البدن من جاذبه و ماسکه و هاضمه و دافعه، و بیان الحواس و أعمالها و أسرارها و الوسائط التی بینها من ضیاء و هواء، و ماهیه الصوت و حقیقه الکلام، و المنطق و الکتابه و ما أعطی الانسان من علم، و الأشیاء المخلوقه لمآرب الانسان، و ما یتوقف علیه نظام حیاته، الی غیر ذلک. و قد شرحه الأستاذ الطبیب محمد الخلیلی شرحا وافیا بالغرض، و طبقه علی العلوم الحدیثه فی مجلدین. ۷- هشان بن الحکم: المتوفی سنه ۱۸۵ ه هو أبومحمد الشیبانی من تلامذه الامام الصادق و ابنه موسی الکاظم علیه السلام [۲۱] له من الکتب کتاب (الامام) و کتاب (حدوث الأشیاء) و کتاب الرد علی الزنادقه. ۸- أبوجعفر الأحول المعروف (مؤمن الطاق) من أصحاب أبی عبدالله [صفحه ۲۲] الصادق کان متکلما حاذقا، له من الکتب: کتاب (الامامه) و کتاب (المعرفه)، و کتاب (الرد علی المعتزله)

کتاب فی أمر طلحه و الزبیر. و غیر هؤلاء من تلامذه الامام الصادق الذین ألفوا فی عصره سائر العلوم و الفنون. ۹- جابر الجعفی جابر بن یزید بن الحارث بن عبدیغوث الجعفی، أو أبویزید الکوفی المتوفی سنه ۱۲۸ ه روی عنه شعبه، و الثوری، و اسرائیل، و الحسن بن حی، و شریک و مسعر، و معمر، و أبوعوانه، و خرج حدیثه أبوداود، و الترمذی، و ابن ماجه، قال ابن مهدی: ما رأیت فی الحدیث أورع منه. و قال ابن علیه: جابر صدوق فی الحدیث. و قال یحیی بن أبی بکیر عن شعبه: کان جابر اذا قال حدثنا و سمعت، فهو من أوثق الناس. و قال ابن عبدالحکیم: سمعت الشافعی یقول: قال سفیان الثوری لشعبه: لئن تکلمت فی جابر الجعفی، لأتکلمن فیک. و کان جابر یحفظ مائه ألف حدیث. هکذا وصفه معاصروه [۲۲] . و قد کانت له منزله و تقدیر فی الکوفه، و انتشر حدیثه، و أخذ عنه العلماء. و بعد أن ظهرت الآراء و هبت زوبعه الخلاف، و اشتد النزاع بین العرب و الموالی، أو بین أهل الحدیث و أهل الرأی أصبح جابر لا یؤخذ بحدیثه. لعن الله السیاسه لأنها تفسد الحقیقه.و لما کثرت کلمات الذم له جریا للظروف و خضوعا للعوامل السیاسیه. قال عنه الامام الصادق: «رحم الله جابرا کان یصدق علینا، و لعن الله المغیره کان یکذب علینا» و روی الکشی فی رجاله: روایات کثیره داله علی مدحه، و له أصل یرویه الشیخ الطوسی عن ابن أبی جید عن ابن الولید کما أنه یذکر له کتابا فی التفسیر [۲۳] . و السبب الذی أدی الی التکذیب جلی و معروف، کان یکثر روایته عن أهل البیت، و یقول عندما

يتحدث عن الامام الباقر عليه السلام: حدثنى وصى الأوصياء، [صفحه ٢٣] و هو أمر يعظم تحمله فى عصر تقرب الناس لولاتهم بالابتعاد عن أهل البيت، و ذلك اما خوفا على أنفسهم أو تقربا لسلاطينهم. ١٠- محمد بن مسلم بن رباح، أبوجعفر الكوفى الثقفى، المتوفى سنه ١٥٠ ه عن سبعين سنه. روى عن الامام الباقر و ابنه الامام الصادق و قد أجمعوا على تصحيح ما يصح عنه. كان المثل الأعلى فى الصلاح و الطاعه و العلم، و قد حفظ عن الامام الباقر ثلاثين ألف حديث، و عن الامام الصادق سته عشر ألف حديث و له كتاب يسمى الأربعمائه مسأله فى أبواب الحلال و الحرام. قال عبدالله بن أبى يعفور: قلت لأبى عبدالله: انه ليس كل ساعه ألقاك و لا يمكن القدوم اليك، و يجى ء الرجل من أصحابنا فيسألنى عنه. قال عليه السلام: فما يمنعك عن محمد بن مسلم الثقفى؟ فانه قد سمع من أبى، و كان عنده وجيها. و دعى لأداء الشهاده عن شريك القاضى و هو و أبوكريبه الأسدى، فقال ابن أبى ليلى: جعفريان فاطميان. و رد شهادتهما. فقال محمد بن مسلم لشريك: نسبتنا لأقوام لا يرضون بأمثالنا، و لرجل لا يرضى بأمثالنا أن نكون من شيعته، فان تفضل و قبلنا، فله المن علينا و الفضل، فتبسم شريك ثم قال: اذا كانت الرجال فلتكن أمثالكم. و سئل أبوحنيفه صاحب الرأى عن مسأله الحامل التى تموت و الوالد يتحرك فى بطنها، فقال للسائل: عليك بمحمد بن مسلم الثقفى فانه يخبرك فيها. ١١- زراره بن أعين الشيبانى أبوالحسن المتوفى سنه ١٥٠ ه من مشاهير رجال الشيعه، فقها و حديثا و معرفه بالكلام، أجمعت فيه خلال الفضل و الدين، و هو

من أصحاب الباقر و الصادق علیه السلام قال النجاشی: شیخ أصحابنا فی زمانه و متقدمهم و کان قارئا فقیها متکلما شاعرا أدیبا، قد اجتمعت فیه خلال الفضل و الدین. و دخل الفیض بن المختار علی الامام الصادق علیه السلام فسأله عن الاختلاف [صفحه ۲۴] فی الحدیث فأجابه الامام بعد کلام طویل: اذا أردت حدیثا فعلیک بزراره بن أعین. و قال الشیخ الطوسی: و لزراره مصنفات منها: کتاب الاستطاعه و الجبر. و قال ابن الندیم: و زراره من أکبر رجالات الشیعه فقها و حدیثا و معرفه بالکلام، و من ولده الحسین بن زراره و الحسن بن زراره من أصحاب جعفر بن محمد علیه السلام. [صفحه ۲۵]

ما قاله الأعلام فی فضائل الامام الصادق

اشاره

۱- قال محمد بن زیاد الأسدی: «سمعت مالک بن أنس یقول: کنت أدخل علی الصادق جعفر بن محمد علیه السلام و کان لا یخلو من احدی ثلاث خصال: اما صائما و اما قائما، و اما ذاکرا. و کان من عظماء العباد و أکابر الزهاد الذین یخشون الله عزوجل، و کان کثیر الحدیث، طیب المجالسه، کثیر الفوائد فاذا قال: قال رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم، اخضر مره، و اصفر أخری، حتی ینکره من لا یعرفه [۲۴] . و قال: «ما رأت عین، و لا سمعت أذن، و لا خطر علی قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق فضلا و علما و عباده و ورعا» [۲۵] . ۲- و قال أبوحنیفه «ما رأیت أفقه من جعفر بن محمد» [۲۶] . و قال رشیدالدین محمد بن علی بن شهرآشوب: «ذکر أبوالقاسم البغار فی مسند أبی حنیفه، قال الحسن بن زیاد: سمعت أباحنیفه و قد سئل: من أفقه من رأیت؟ قال: جعفر

بن محمـد لما أقدمه المنصور بعث الى فقال: يا أباحنيفه ان الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد فهی ء له من مسائلک الشداد، فهيأت له أربعين مسأله، ثم بعث الى أبوجعفر و هو بالحيره فأتيته فدخلت عليه و جعفر جالس عن يمينه فلما بصـرت به دخلنى من الهيبه لجعفر ما لم يـدخلنى لأبى جعفر الخليفه فسـلمت عليه، فأومأ لى بالجلوس و قال: الق على أبى عبدالله من مسائلک، فجعلت ألقى عليه فيجيبنى، فيقول: أنتم تقولون كـذا، و أهـل المـدينه يقولون كـذا، [صـفحه ۲۶] و نحن «نقول كـذا، فربمـا تابعنـاكم و ربما تابعنـاهم و ربمـا خالفنـاكم جميعـا، حتى أتيت على الأربعين مسأله فما أخل منها بشـى ء، ثم قال أبوحنيفه: أليس أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس» [۲۷] و قال «لو لا السـنتان لهلک النعمان» [۲۸] و السـنتان هما اللتان قضاهما النعمان فى مصاحبه الامام الصادق و أخذه من نمير علمه. ۳- و ما قاله أعلام المؤلفين: قال الشهرستانى: «أبو عبدالله جعفر بن محمد الصادق، ذو علم غزير فى الدين، و أدب كامل فى الحكمه، و زهد بالغ فى الدنيا، و ورع تام عن الشهوات. و قد أقام مده بالمدينه يفيد الشيعه المنتمين اليه و يفيض على الموالين له أسـرار العلوم، ثم دخل العراق و أقام بها مده ما تعرض للامامه قط، و لا نازع أحدا فى الخلافه قط، و من غرق فى بحر المعرفه لم يطمع فى شـط، و من تعـالى الى ذروه الحقيقه لـم يخف من حط. و قيل: من أنس بالله توحش عن الناس، و من استأنس بغيرالله نهبه الوسواس» [۲۹] . ۴- و قال ابن الصباغ المالكى:«كان جعفر الصادق عليه السلام من بين اخوانه خليفه

أبیه و وصـیه، و القائم بالامامه من بعـده، برز علی جماعهم بالفضل و کان أنبههم ذکرا و أجلهم قـدرا، نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الرکبان و انتشـر صیته و ذکره فی سائر البلدان و لم ینقل العلماء عن أحد من أهل بیته ما نقل عنه من الحدیث» [۳۰] . ۵- و قـال الـذهبی: «جعفر بن محمـد بن علی ابن الشـهید الحسـین بن علی بن أبی طـالب الهاشـمی، الامام أبو عبـدالله العلوی المدنی الصادق أحد الساده الأعلام... مناقب هذا السید جمه...» [۳۱] . ۶- و قال البستانی: «جعفر الصادق هو ابن محمد الباقر بن علی زین العابدین بن الحسین بن علی بن أبی طالب أحد الأئمه الاثنی عشر علی مذهب [صفحه ۲۷] الامامیه و کان من سادات أهـل البیت و لقب بالصـادق لصـدقه فی مقالاته و فضـله عظیم و له مقالات فی صـناعه الکیمیاء و کان تلمیـذه جابر بن حیان قد ألف کتابا یشـتمل علی ألف ورقه تتضمن رسائل جعفر الصادق و هی ۵۰۰ رساله و الیه ینسب کتاب الجفر [۳۲] و تابع البستانی قوله: و کان جعفر أدیبا تقیا دینا حکیما فی سـیرته. ۷- و قال محمـد فرید و جدی: «أبو عبدالله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علی زین العابدین بن الحسـین بن علی بن أبی طالب هو أحد الأئمه الاثنی عشر علی مذهب الامامیه کان من سادات أهل البیت النبوی، لقب الصـادق لصـدقه فی کلامه، کـان من أفاضل الناس» [۳۳] . ۸- و قـال خیر الـدین الزرکلی: «کان علیه السـلام من أجلاء التـابعین و له منزله رفیعه فی العلم. أخـذ عنه جمـاعه، منهم الامامـان أبوحنیفه و مالـک. لقب بالصادق لأنه لم یعرف عنه الکذب قط، له أخبار

مع الخلفاء من بنی العباس و کان جریئا علیهم صداعا بالحق» [۳۴] . ۹- و قال محمد أبوزهره: «و ان الامام الصادق قد قضی حیاته دائما فی طلب الحق، لم یرن علی قلبه غشاوه من ریب، و لم تتدرن أفعاله بمقتضیات السیاسه و عوجائها، و لذا لما مات أحس العالم الاسلامی کله بفقده و کان له ذکر عطر علی کل لسان... و قد أجمع کل العلماء علی فضله» [۳۵] و قال أیضا: «ما أجمع علماء الاسلام علی اختلاف طوائفهم فی أمر کما أجمعوا علی فضل الامام الصادق و علمه، فأئمه السنه الذین عاصروه تلقوا عنه و أخذوا عنه... و لذلک نطقت ألسنه العلماء جمیعا بفضله، و بذلک استحق الامامه العلمیه فی عصره، کما استحقها أبوه وحده من قبله، فقد کانوا جمیعا أئمه الهدی یقتدی بهم و یقتبس من أقوالهم، و قد عکفوا علی علم الاسلام عکوف العابد [صفحه ۲۸] علی عبادته فخلفوا علما، و خلفوا رجالا و تناقل الناس علمهم و تحدثوا به» [۳۶] . ۱۰- و قال أبونعیم: «جعفر بن محمد الامام الناطق ذو الزمام السابق أبو عبدالله جعفر بن محمد الصادق أقبل علی العباده و الخضوع، و آثر العزله و الخشوع و نهی عن الرئاسه و الجموع» [۳۷] . ۱۱- و قال الجاحظ: «جعفر بن محمد الذی ملأ الدنیا علمه و فقهه، و یقال: ان أباحنیفه من تلامذته و کذلک سفیان الثوری، و حسبک بهما فی هذا الباب» [۳۸] . ۱۲- و قال جمال الدین أبوالمحاسن: «جعفر الصادق بن محمد الباقر الامام السید أبو عبدالله الهاشمی العلوی الحسینی المدنی، و کان یلقب بالصابر و الفاضل و الطاهر، و أشهر ألقابه الصادق. حدث عنه

أبوحنيفه و ابن جريـج و شـعبه و السـفيانان و مالك و غيرهم» [۳۹] . ۱۳- و قال السـيد مير على الهنـدى: «و لا مشاحه ان انتشار العلم فى ذلک الحين قد ساعد على فک الفكر من عقاله، فأصـبحت المناقشات الفلسـفيه عامه فى كل حاضره من حواضر العالم الاسـلامى، و لا- يفوتنـا أن نشـير الى أن الـذى تزعم تلک الحركه: هو حفيـد على بن أبى طالب المسـمى بالامام الصادق، و هو رجل رحب أفق التفكير، بعيد أغوار العقل، ملم كل الالمام بعلوم عصـره، و يعتبر فى الواقع أنه أول من أسـس المدارس الفلسفيه المشـهوره فى الاسـلام، و لـم يكـن يحضـر حلقته العلميه أولئـک الـذين أصـبحوا مؤسسـى المـذاهب الفقهيه فحسب، بـل كـان يحضـرها طلاب الفلسفه و المتفلسفون من الأنحاء القاصيه» [۴۰] . ۱۴- و قال عبدالعزيز سـيد الأهل: «جعفر بن محمد كان اماما مفخره من مفاخر المسـلمين لم تذهب قط، و انما بقى منها فى كل غد قادم حتى القيامه صوت [صفحه ۲۹] صارخ، يعلم الزهاد زهدا، و يكسب العلماء علما، يهدى المضـطرب، و يشـجع المقتحم، يهدم الظلم و يبنى للعداله، و هو ينادى بالمسلمين جميعا أن هلمـوا و اجتمعـوا، و أن قومـا لـم يختلفوا فى ربهم و فى نـبيهم لمجموعون مهمـا اختلفوا فى يوم قريب» [۴۱] . ۱۵- و عن معهد البحوث الشـرقيه: «عندما يتفرغ الباحث لدارسه شخصـيه الامام جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب دراسه صحيحه على ضوء الضمير النقى، و الواقع العقلى، و التجرد العلمى، متبعا الأصول الحديثه، مبتعدا عن العاطفه، و مرض التعصب، و أثر الجنسيه، فلا يستطيع الا الاقرار بأنها مجموعه فلسفيه قائمه بذاتها، تزخر بالحيويه النابضه، و

الروحیه المتجسده، و العقلیه المبدعه التی استنبطت العلوم، و أبدعت الأفکار و ابتکرت السنن، و أوجدت النظم و الأحکام» [۴۲] . و هذا غیض من فیض و أمثله علی سبیل الذکر لا الحصر من آراء علماء العصر و العلماء الآخرین. و لا غرابه فی ذلک فهو دفق حضاری و دائره علمیه و موسوعه معرفیه و صاحب مدرسه یفوح منها عطر النبوه و عبقریه رحمانیه و أخلاق علویه. و کان علیه السلام یستشف ما وراء الحجب باستقراء الحوادث السیاسیه و ینظر المستقبل بصفاء حکمته. [صفحه ۳۰]

مناقب راقیه و فضائل سامیه

اشاره

ماذا یمکننا القول فی مناقب و فضائل الأئمه المعصومین علیهم السلام و من أراد التحدث عن سمو فضائلهم فکأنه یدخل الی حانوت عطار یحوی جمیع أنواع العطور الزکیه، فکلها جیده و لا یستطیع أن یمیز بین عطر و عطر و لا یمکنه تفضیل أحدهما علی الآخر. و الأئمه المعصومون کلهم صفوه الصفوه و کلهم مشترکون فی جمیع المناقب و الفضائل. فهم من نور واحد وطینه واحده، و هم أکمل أهل زمانهم فی کل صفه فاضله. ولکن لما کانت مقتضیات الزمان و مظاهر تلک الصفات فیهم متفاوته بحسب الزمان و المکان، کان ظهور آثارهم منهم متفاوتا بحسب مقتضیات الأحوال. فأمیرالمؤمنین علیه السلام ظهرت آثار شجاعته بجهاده بین یدی رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم و بمحاربته الناکثین و المارقین أیام خلافته. و الامام الحسین علیه السلام سید الشهداء ظهرت آثار شجاعته بما أمر به من محاربه الظالمین و منابذه المنحرفین عن الخط الاسلامی الصحیح. و البقیه لم تظهر فیهم آثار الشجاعه لما أقروا به من التقیه و المداراه بما یتناسب مع ظروف حیاتهم و شجون زمانهم. و الامام الباقر و

الامام الصادق علیه السلام ظهرت فیهما آثار العلم أکثر من الباقین لکونهما فی نهایه دوله ضعفت و بدایه دوله ظهرت، و الجهل و الانحراف و الفوضی تفشت فی ذلک الحین. و الکل مشترکون فی أنهم أعلم أهل زمانهم. و قد تکون آثار الکرم و السخاء و کثره الصدقات و العتق فی بعضهم أظهر منها [صفحه ۳۱] فی الباقی و ذلک لکثره الفقراء و المحتاجین فی بلده أو لسعه ذات یده دون الباقی. و کلهم مشترکون فی أنهم أکرم أهل زمانهم و أسخاهم. و قد تکون العباده فی بعضهم أظهر منها فی غیره و ذلک لجهل الناس و قله اطلاعهم أو قصر اقامته فی دار الدنیا أو غیر ذلک و کلهم مشترکون فی أنهم أعبد أهل زمانهم. و قد تکون آثار الحلم فی بعضهم أظهر منها فی غیره لکثره ما ابتلی به من أنواع الظلم و الأذی و الابتلاء یظهر معها حلم الحلیم دون غیره و کلهم أحلم أهل زمانهم الی غیر ذلک من مقتضیات الأحوال التی تعرض لهم. و مناقب الامام الاصادق علیه السلام و فضائله کثیره نورد منها علی سبیل الذکر.

العلم

أو العلوم المختلفه أو المعارف الشامله من اجتماعیه و دینیه و فلسفیه و أدبیه و علمیه... و لا غرابه فی الموضوع فهو ابن العتره الطاهره أعلم أهل زمانهم. جاء فی الصواعق المحرقه لابن حجر: نقل الناس عنه علیه السلام من العلوم ما سارت به الرکبان و انتشر صیته فی جمیع البلدان. و قال المفید فی الارشاد: «نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الرکبان و انتشر ذکره فی البلدان و لم ینقل العلماء عن أحد من أهل بیته ما نقل عنه و لا لقی

أحـد منهم من أهل الآثار و نقله الأخبار و لا نقلوا عنهم ما نقلوا عن أبی عبـدالله علیه السـلام. فان أصـحاب الحـدیث قـد جمعوا أسـماء الرواه عنه من الثقـات علی اختلافهم فی الآراء و المقالات فکانوا أربعه آلاف رجل». و روی الکشـی فی رجاله و روی أیضا النجاشـی فی رجاله بسـنده عن الحسن بن علی الوشا فی حـدیث أنه قال: أدرکت فی هـذا المسـجد (یعنی مسـجد الکوفه) تسـعمایه شـیخ کل یقول: حـدثنی جعفر بن محمد. و کان علیه السـلام یقول: حدیثی حدیث أبی و حدیث أبی حدیث جدی و حـدیث جـدی حدیث علی بن أبی طالب، و حدیث علی حدیث رسول الله صـلی الله علیه و آله و سـلم و حدیث رسول الله قول الله عزوجل. [صـفحه ۳۲] و جـاء فی المنـاقب لابن شـهرآشوب: و لا تخلو کتب أحادیث و حکمه و زهـد و موعظه من کلامه، یقولون: قال: جعفر بن محمد الصادق علیه السـلام و علی سبیل الذکر ما قاله علیه السلام فی وجوب المعرفه بالله تعالی: «وجدت علم النـاس کلهم فی أربع»: أولها: أن تعرف ربک، و الثانی: أن تعرف ما صـنع بک، و الثالث: ما أراد منک، و الرابع: أن تعرف مـا یخرجک عن دینک [۴۳] قـال المفیـد: «و هـذه أقسام تحیط بالمفروض من المعارف لأنه أول ما یجب علی العبـد معرفه ربه جـل جلالـه. فـاذا علم أن له الهـا وجب أن یعرف صـنیعه الیه، فـاذا عرف صـنیعه الیه عرف به نعمته، فاذا عرف نعمته وجب علیه شکره، فـاذا أراد تأدیه شـکره وجب علیه معرفه مراده لیطیعه بفعله، و اذا وجبت علیه طاعته وجبت علیه معرفه ما یخرجه عن دینه لیتجنبه فیخلص به طاعه ربه و

شکر انعامه. و سوف نأتی علی تفصیل علومه و معارفه علیه السلام فی باب خاص باذن الله.

الحلم

روی الحافظ عبدالعزیز بن الأخضر الجنابذی فی کتاب معالم العتره: «وقع بین جعفر بن محمد و عبدالله بن حسن کلام فی صدر یوم، فأغلظ له فی القول عبدالله بن حسن، ثم افترقا وراحا الی المسجد، فقال أبو عبدالله جعفر بن محمد لعبدالله بن حسن: کیف أمسیت یا أبامحمد؟ فقال: بخیر کما یقول المغضب. فقال: یا أبامحمد أما علمت أن صله الرحم تخفف الحساب؟ فقال: لا تزال تجی ء بالشی ء لا نعرفه؟ فقال: انی أتلو علیک به قرآنا؟ قال و ذلک أیضا؟ قال: نعم؟ قال: فهاته، قال: قول: الله عزوجل: «و الذین یصلون ما أمرالله به أن یوصل و یخشون ربهم و یخافون سوء الحساب» [۴۴] قال: فلا ترانی بعدها قاطعا رحما. [صفحه ۳۳] و روی الکلینی فی الکافی بسنده ان أبا عبدالله علیه السلام بعث غلاما له فی حاجه فأبطأ الغلام، فخرج أبو عبدالله علیه السلام علی أثره لما أبطأ علیه فوجده نائما فجلس عند رأسه یروحه حتی انتبه، فلما انتبه قال له أبو عبدالله علیه السلام: یا فلان والله ما ذانک لک تنام اللیل و النهار، لک اللیل و لنا منک النهار.

الصبر

روی الکلینی فی الکافی باسناده عن العلاء بن کامل، قال: کنت جالسا عند أبی عبدالله علیه السلام فصرخت الصارخه من الدار، فقام أبو عبدالله علیه السلام ثم جلس فاسترجع و عاد فی حدیثه حتی فرغ منه، ثم قال انا لنحب أن نعافی فی أنفسنا و أولادنا و أموالنا فاذا وقع القضاء فلیس لنا ان نحب ما لم یحب الله لنا. و باسناده عن قتیبه الأعشی قال: «أتیت أبا عبدالله علیه السلام أعود ابنا له فوجدته علی الباب فاذا هو مهتم حزین، فقلت: جعلت فداک کیف الصبی؟ فقال:

انه لما به، ثم دخل فمكث ساعه ثم خرج الينا و قد اصفر وجهه و ذهب التغير و الحزن فطمعت ان يكون قد صلح الصبى، فقلت: كيف الصبى جعلت فداك؟ فقال: قد مضى الصبى لسبيله، فقلت: جعلت فداك لقد كنت و هو حى مغتما حزينا و قد رأيت حالك الساعه و قد مات غير تلك الحال فكيف هذا؟ فقال: انا أهل البيت انما نجزع قبل المصيبه فاذا وقع أمر الله رضينا بقضائه و سلمنا لأمره».

العباده

كان الامام الصادق كأبيه و أجداده يكثر من العباده و من ذكر الله، روى الكلينى فى الكافى باسناده: أنه أحصى على الامام الصادق عليه السلام فى سجوده خمسمايه تسبيحه. و بسنده عن أبان بن تغلب: دخلت على الامام الصادق عليه السلام فعددت فى الركوع و السجود ستين تسبيحه. و روى الراوندى عن منصور الصيقلى أنه رأى أبا عبدالله ساجدا فى مسجد النبى صلى الله عليه و آله و سلم قال: فجلست حتى أطلت ثم قلت لأسبحن ما دام ساجدا فقلت: سبحان ربى و بحمده أستغفر ربى و أتوب اليه ثلاثمائه مره ونيفا و ستين فرفع رأسه». [صفحه ۳۴]

الصدقات

روى الكلينى فى الكافى بسنده عن هشام بن سالم قال: «كان أبو عبدالله عليه السلام كثير الصدقات، فاذا أعتم الليل و ذهب منه شطره أخذ جرابا فيه خبز و لحم و دراهم فحمله على عنقه ثم ذهب به الى أهل الحاجه من أهل المدينه فقسمه فيهم و لا يعرفونه، فلما مضى أبو عبدالله عليه السلام فقدوا ذلك فعلموا أنه هو عليه السلام كان يأتيهم».

الكرم و السخاء

جاء فى حليه الأولياء بسنده عن الهياج بن بسطام قال: «كان جعفر بن محمد عليه السلام يطعم حتى لا يبقى لعياله شى ء». وورد فى مطالب السؤول: كان عليه السلام يقول: لا يتم المعروف الا بثلاثه: تعجيله و تصغيره و ستره، و يأتى نظيره فى حكمه و آدابه.

مكارم الأخلاق

روى الزمخشرى فى ربيع الأبرار عن الشقرانى مولى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: «خرج العطاء أيام المنصور و ما لى شفيع فوقفت على الباب متحيرا و اذا بجعفر بن محمد قد أقبل فذكرت له حاجتى فدخل و خرج و اذا بعطائى فى كمه فناولنى اياه و قال: ان الحسن من كل أحد حسن و أنه منك أحسن لمكانك منا، و ان القبيح من كل أحد قبيح و أنه منك أقبح لمكانك منا. قال سبط ابن الجوزى: و انما قال له ذلك لأنه كان يشرب الشراب، فوعظه على وجه التعريض و هذا من أخلاق الأنبياء». و كل من درس حياه الرسول الأعظم دصلى الله عليه و آله و سلم يتأكد بأن لسيرته صلى الله عليه و آله و سلم، و ما حباه المولى جل شأنه من خلق عظيم، و صفات حميده، كان لها النصيب الأكبر فى الامتداد بالاسلام و نشره بين العالم، فكم من مره يجتمع فيها صلى الله عليه و آله و سلم بزعيم كبير، أو [صفحه ۳۵] شخص مميز فما ينفض الاجتماع الا و يعلن ذلك الرجل اسلامه متأثرا بخلقه و سيرته صلى الله عليه و آله و سلم. فعدى بن حاتم الطائى بعدما شاهد من أخلاقه العاليه صلى الله عليه و آله و سلم و ما أبداه معه من الاحترام و الاجلال

أعلن اسلامه. و على هذا النهج سار أئمه أهل البيت عليهم السلام، فكان لسيرتهم أكبر الأثر فى نشر الفضيله بين صفوف المسلمين، و تعليمهم على المثل الرفيعه، و الأخلاق العاليه، و النهج المستقيم. و الامام الصادق عليه السلام هو ابن هذه العتره الطاهره و الأرومه الزكيه. [صفحه ۳۶]

وصاياه

اشاره

احترت ماذا أسمى هذا الفصل، وصاياه أو حكمه، لأن كل كلمه قالها عليه السلام هى حكمه خالده، و دره نادره و نصيحه بليغه، و أدب رفيع، و هذا الموضوع لكثرته و شموله يحتاج الى كتاب مستقل، لأن كل كتاب يتعرض لسيرته عليه السلام تجد فيه الكثير من وصاياه و حكمه و نصائحه و توجيهاته. و مما وجدته فى هذا الفصل الكبير وصايا مختلفه منها ما هى موجهه لفرد، و منها ما هى موجهه لجماعه، و ربما حملها عليه السلام لبعض خواصه على أن يبلغها شيعته و أصحابه. و ما أحوجنا نحن اليوم الى الأخذ بهذه الوصايا العظيمه و النصائح المفيده لنستعيد ماضينا المجيد، و ننهض بالاسلام رساله عزنا المجيد و تراثنا التليد، فمنه عزتنا و كرامتنا، و به دوام نهضتنا و سمو حضارتنا. و أمر مهم قراءه هذه الوصايا الفريده و حفظها، لكن الأهم هو العمل بها و حسن تطبيقها. فالكلمه الصالحه تحتاج الى عمل صالح، و الا بقيت حبرا على ورق.

وصايا الأفراد

وصيه لولد الكاظم

۱- وصيته لولده الكاظم عليهم السلام بسنده عن بعض أصحابه فى حليه الأولياء، قال: «دخلت على جعفر و موسى ولده بين يديه و هو يوصيه بهذه الوصيه فكان مما حفظت منه أن قال: يا بنى: اقبل وصيتى، و احفظ مقالتى، فانك ان حفظتها تعش سعيدا، و تمت حميدا. [صفحه ۳۷] يا بنى: انه من رضى بما قسم له استغنى و من مد عينه الى ما فى يد غيره مات فقيرا، و من لم يرض بما قسم الله عزوجل اتهم الله فى قضائه، و من استصغر زله نفسه استعظم زله غيره، و من استصغر زله غيره استعظم زله نفسه. يا بنى: من كشف حجاب غيره انكشفت

عورات بیته، و من سل سیف البغی قتل به، و من احتفر لأخیه بئرا سقط فیها، و من داخل السفهاء حقر، و من خالط العلماء و قر، و من دخل مداخل السوء اتهم. یا بنی: ایاک أن تزری بالرجال فیزری بک، و ایاک الدخول فیما لا یعنیک فتذل. لذلک یا بنی: قل الحق لک أو علیک، تستشان من بین أقرانک [۴۵] . یا بنی: کن لکتاب الله تالیا و للسلام فاشیا و بالمعروف آمرا و عن المنکر ناهیا و لمن قطعک و اصلا، و لمن سکت عنک مبتدئا و لمن سألک معطیا. و ایاک و النمیمه فانها تزرع الشحناء فی قلوب الرجال، و ایاک و التعرض لعیوب الناس، فمنزله المتعرض لعیوب الناس بمنزله الهدف. یا بنی: اذا طلبت الجود فعلیک بمعادنه، فان للجود معادن، و للمعادن أصول، و للأصول فروع، و للفروع ثمرا، و لا یطیب ثمر الا بفرع، و لا فرع الا بأصل، و لا أهل ثابت الا بمعدن طیب. یا بنی: اذا زرت فزر الأخیار و لا تزر الفجار، فانهم صخره لا ینفجر ماؤها و شجره لا یخضر ورقها، و أرض لا یظهر عشبها. قال علی بن موسی علیهماالسلام: فما ترک أبی هذه الوصیه الی أن مات [۴۶] .

و من وصیه له لسفیان الثوری

مذکوره هذه الوصیه فی تحف العقول و رواها الصدوق فی الخصال بسنده عن سفیان الثوری قال: [صفحه ۳۸] قال سفیان الثوری: لقیت الصادق ابن الصادق جعفر بن محمد علیه السلام فقلت له: أوصنی بوصیه أحفظها من بعدک، قال علیه السلام: یا سفیان لا مروءه لکذوب و لا راحه لحسود و لا اخاء لملول و لا خله لمختال و لا سؤدد لسی ء الخلق. فقلت: یا ابن رسول

الله زدنی فقال: یا سـفیان: ثق بالله تکن مؤمنا و ارض بما قسمه لک تکن غنیا و أحسن مجاوره من جاورک تکن مسلما. صاحب الناس بمثل ما یصاحبونک به تزدد ایمانا و لا تصاحب الفاجر فیعلمک من فجوره و شاور الذین یخشون الله. فقلت: یا ابن رسول الله زدنی. فقال لی: یا سفیان من أراد عزا بلا عشیره و غنی بلا مال، وهیبه بلا سلطان و کثره بلا اخوان فلینتقل من ذل معاصی الله الی عز طـاعته. فقلت: یـا ابن رسول الله زدنی: فقال علیه السـلام: أدبنی أبی بثلاث و نهانی عن ثلاث. فأما اللواتی أدبنی بهن فانه قـال لی: یـا بنی من یصـحب صـاحب السوء لا یسـلم، و من لا یملک لسانه ینـدم، و من یـدخل مـداخل السوء یتهم. قلت: یا ابن رسول الله فمـا الثلاث اللواتی نهاک عنهن؟. قال علیه السـلام: نهانی أن أصاحب حاسـد نعمه و شامتا بمصـیبه أو حامل نمیمه ثم أنشـدنی: عود لسانـک قول الخیر تحظ به ان اللسـان لما عودت معتاد موکل بتقاضـی ما سـننت له فی الخیر و الشـر فانظر کیف تعتاد

من وصیه أوصی بها لعبدالله بن جندب

یـا ابن جنـدب حق علی کل مسـلم أن یعرض عمله فی کل یوم و لیله علی نفسه، فیکون محاسب نفسه، فان رأی حسـنه استزداد منها و ان رأی سیئه اسـتغفر منها. طوبی لعبـد لم یغبط الخاطئین علی ما أوتوا من نعیم الدنیا و زهرتها. طوبی لعبد طلب الآخره و سعی لهـا. طوبی لمن تلهه الأمـانی الکـاذبه. یـا ابن جنـدب من غش أخـاه و حقره و نـاواه جعل الله النار مأواه و من حسـد مؤمنا انماث الایمان فی قلبه کما ینماث الملح فی الماء. یا ابن جندب الماشی فی [صفحه ۳۹] حاجه

أخيه كالساعى بين الصفا و المروه و قاضى حاجته كالمتشحط بدمه فى سبيل الله و ما عذب الله أمه الا عند استهانتهم بحقوق فقر اخوانهم. يا ابن جندب بلغ معاشر شيعتنا و قل لهم: لا تذهبن بكم المذاهب فوالله لا تنال ولايتنا الا بالورع و الاجتهاد فى الدنيا و مواساه الاخوان فى الله و ليس من شيعتنا من يظلم الناس. يا ابن جندب من حرم نفسه كسبه فانما يجمع لغيره، و من أطاع هواه فقد أطاع عدوه، و من يثق بالله يكفه ما أهمه من أمر دنياه و آخرته، و يحفظ له ما غاب عنه و قد عجز من لم يعد لكل بلاء صبرا و لكل نعمه شكرا و لكل عسر يسرا. صبر نفسك عند كل بليه فى ولد أو مال أو رزيه، فانما يقبض عاريته و يأخذ هبته ليبلو فيهما صبرک و شکرک. و أرج الله رجاء لا يجرئک على معصيته، و خفه خوفا لا يؤيسک من رحمته و اقنع بما قسم الله لک. و لا تتمن ما لست تناله. و لا تكن بطرا فى الغنى و لا جزعا فى الفقر، و لا تكن فظا غليظا يكره الناس قربک و لا تكن واهيا يحقرک من عرفک. و لا تشار من فوقک و لا تسخر بمن هو دونک. و لا تطع السفهاء، و لا تتكلن على كفايه أحد. وقف عند كل أمر حتى تعرف مدخله من مخرجه قبل أن تقع فيه فتندم. و اجعل نفسک عدوا تجاهده و عاريه تردها، فانک قد جعلت طبيب نفسک و عرفت آيه الصحه، و بين لک الداء و دللت على الدواء. و ان كانت لک يد عند انسان فلا تفسدها بكثره

المنن و الذكر لها ولكن اتبعها بأفضل منها، فان ذلك أجمل بك فى أخلاقك و أوجب للثواب فى آخرتك، و عليك بالصمت تعد حليما جاهلا كنت أو عالما. فان الصمت زين لك عند العلماء و ستر لك عند الجهال. طوبى لمن جعل بصره فى قلبه و لم يجعل بصره عينه. و لا تنظروا فى عيوب الناس كالأرباب و انظروا فى عيوبكم كهيئه العبد. انما الناس رجلان مبتلى و معافى، فارحموا المبتلى و احمدوا الله على العافيه. يا ابن جندب: صل من قطعك و اعط من حرمك و أحسن الى من أساء اليك و سلم على من سبك و انصف من خاصمك، و اعف عمن ظلمك كما أنك تحب أن يعفى عنك. فاعتبر بعفوالله عنك، ألا ترى أن شمسه أشرقت على الأبرار و الفجار [صفحه ۴۰] و أن مطره ينزل على الصالحين و الخاطئين؟. يا ابن جندب لا تتصدق على أعين الناس ليزكوك فانك ان فعلت ذلك فقد استوفيت أجرك ولكن اذا أعطيت بيمينك فلا تطلع عليها شمالك فان الذى تتصدق له سرا يجزيك علانيه و ما ينبغى لأحد أن يطمع بعمل الفجار فى منازل الأبرار. يا ابن جندب قال الله عزوجل فى بعض ما أوحى انما أقبل الصلاه ممن يتواضع لعظمتى و يكف نفسه عن الشهوات من أجلى و يقطع نهاره بذكرى و لا يتعظم على خلقى و يطعم الجائع و يكسو العارى و يرحم المصاب و يؤدى الغريب، فذلك يشرق نوره مثل الشمس، أكلؤه بعزتى و استحفظه ملائكتى يدعونى فألبيه و يسألنى فأعطيه.

من وصيه له لجميل بن دراج

خياركم سمحاؤكم و شراركم بخلاؤكم، و من صالح الأعمال البر بالاخوان و السعى فى حوائجهم، و فى ذلك مرغمه للشيطان و تزحزح

عن النيران، و دخول الجنان. یا جمیل أخبر بهذا الحدیث غرر أصحابک. قال: جعلت فداک من غرر أصحابی؟. قال: هم البارون بالاخوان فی العسر و الیسر. ثم قال: أما ان صاحب الکثیر یهون علیه ذلک و قد مدح الله عزوجل صاحب القلیل، فقال: «و یؤثرون علی أنفسهم ولو کان بهم خصاصه و من یوق شح نفسه فأولئک. هم المفلحون» [۴۷] .

من وصیه له الی المنصور العباسی

قال له المنصور: حدثنی عن نفسک بحدیث اتعظ به و یکون لی زاجر صدق عن الموبقات. [صفحه ۴۱] فقال علیه السلام: «علیک بالحلم فانه رکن العلم، و املک نفسک عند أسباب القدره، فانک ان تفعل ما تقدر علیه کنت کمن شفی غیظا، أو تداوی حقدا، أو یحب أن یذکر بالصوله، و اعلم بأنک ان عاقبت مستحقا لم تکن غایه ما توصف به الا العدل و الحال التی توجب الشکر أفضل من الحال التی توجب الصبر». قال المنصور: و عظت فأحسنت، و قلت فأوجزت» [۴۸] .

منتخب من وصیته لأبی جعفر محمد بن النعمان الأحول

یا ابن النعمان ایاک و المراء فانه یحبط عملک و ایاک و الجدال فانه یوبقک، و ایاک و کثره الخصومات فانها تبعدک من الله. ان من کان قبلکم کانوا یتعلمون الصمت و أنتم تتعلمون الکلام. کان أحدهم اذا أراد التعبد یتعلم الصمت قبل ذلک بعشر سنین، فان کان یحسنه و یصبر علیه تعبد و الا قال: ما أنا لما أروم بأهل. انما ینجو من أطال الصمت عن الفحشاء و صبر فی دوله الباطل علی الأذی اولئک النجباء الأصفیاء الأولیاء - حقا و هم المؤمنون، انما أبغضکم الی المترئسون المشاؤون بالنمائم الحسده لاخوانهم لیسوا منی و لا أنا منهم. ثم قال: والله لو قدم أحدکم مل ء الأرض ذهبا ثم حسد مؤمنا لکان ذلک الذهب مما یکوی به فی النار. یا ابن النعمان من سئل عن علم فقال: لا أدری فقد ناصف العلم، و المؤمن یحقد ما دام فی مجلسه فاذا قام ذهب عنه الحقد. یا ابن النعمان: اذا أردت أن یصفو لک ود أخیک فلا تمازحنه و لا تمارینه و لا تباهینه و لا تشارنه، و لا تطلع صدیقک من سرک و الا

على ما لو اطلع عليه عدوك لم يضرك، فان الصديق قد يكون عدوا يوما. يا ابن النعمان: لن يكون العبد مؤمنا حتى يكون فيه ثلاث سنن: سنه من الله و سنه من رسوله، و سنه من الامام. فأما السنه من الله عزوجل فهو أن يكون كتوما للأسرار يقول الله جل ذكره: [صفحه ۴۲] «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا»، و أما التى من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فهى أن يدارى الناس و يعاملهم بالأخلاق الحنيفيه، و أما التى من الامام فالصبر فى البأساء و الضراء حتى يأتيه الله بالفرج. يا ابن النعمان: ليست البلاغه بحده اللسان و لا بكثره الهذيان ولكنها اصابه المعنى و قصد الحجه. يا ابن النعمان: من كظم غيظا فينا لا يقدر على امضائه كان معنا فى السنام الأعلى [۴۹] .

من وصيه له لعنوان البصرى

ذكر الشهيد الثانى فى منيه المريد نقلا عن عنوان البصرى ان هذا الحديث من روايات أهل السنه. و قال: كنت أختلف الى مالك بن أنس فى طلب العلم فلما قدم جعفر بن محمد الصادق المدينه أحببت أن آخذ عنه. قال: دخلت عليه بعد اذن فسلمت و جلست. فسألنى عليه السلام: أبو من؟ قلت: أبو عبدالله قال: ثبت الله كنيتك و وفقك لكل خير. فقلت فى نفسى: لو لم يكن من زيارته الا هذا الدعاء لكان كثيرا. ثم قال: ما مسألتك؟ قلت: سألت الله أن يعطف على قلبك ويرزقنى من علمك و أرجو أن الله أجابنى فى الشريف ما سألته فقال: يا أبا عبدالله ليس العلم بكثره التعلم، انما هو نور يضعه الله فى قلب من يريد أن يهديه. فاذا أردت العلم فاطلب أولا فى نفسك حقيقه العبوديه

و اطلب العلم باستعماله و استفهم الله يفهمك، فقلت ما حقيقه العبوديه؟ قال: ثلاثه أشياء: أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوله الله ملكا لأن العبيد لا يكون لهم ملك بل يرون المال مال الله يضعونه حيث أمرهم الله و لا يدبر العبد لنفسه تدبيرا أو جمله اشتغاله فيما أمره الله به و نهاه عنه فاذا لم یر العبد فيما خوله الله ملكا هان عليه الانفاق فيما أمره الله، و اذا فوض تدبير نفسه الى من يثق به هانت عليه مصائب الدنيا و اذا اشتغل فيما أمره الله به و نهاه عنه لا يتفرغ الى المراء و المباهاه مع [صفحه ۴۳] الناس، فاذا أكرم الله العبد بهذه الثلاث هانت عليه الدينا و المسيس بالخلق، فلا يطلب الدنيا تفاخرا و تكاثرا، و لا يطلب عند الناس عزا و علوا، و لا يدع أيامه باطله. فهذه أول درجه المتقين. قال الله تعالى: «تلك الدار الآخره نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض و لا فسادا، و العاقبه للمتقين» [۵۰] قلت يا أبا عبدالله أوصنى قال عليه السلام: أوصيك بتسعه أشياء فانها وصيتى لمريد الطريق الى الله تعالى و الله أسأل أن يوفقك لاستعمالها، ثلاثه منها فى رياضه النفس، و ثلاثه منها فى العلم، و ثلاثه منها فى الحلم. فاحفظها و اياك و التهاون بها. أما اللواتى فى الرياضه: فاياك أن تأكل ما لا تشتهيه فانه يورث الحمق و البله. و لا تأكل الا عند الجوع، فاذا أكلت فكل حلالا و سم الله تعالى، و اذكر حديث النبى صلى الله عليه و آله و سلم: ما ملأ الآدمى و دعاء أشد شرا من بطنه. و أما اللواتى فى

الحلم: فمن قال لک ان قلت واحده سمعت عشرا. لم تسمع واحده، و من شتمک فقل له ان کنت صادقا فیما تقوله فاسأل الله أن یغفر لی، و ان کنت کاذبا فاسأل الله أن یغفر لک. و من وعدک بالخیانه فعده بالنصیحه و الدعاء. و أما اللواتی فی العلم: فاسأل العلماء ما جهلت و ایاک أن تسألهم تعنتا و تجربه، و ایاک أن تعدل بذلک شیئا، و خذ بالاحتیاط فی جمیع أمورک ما تجد الیه سبیلا. و اهرب من الفتیا فرارک من الأسد و الذئب. و لا تجعل رقبتک جسرا للناس. ثم قال له یا شریف. فقال: قل یا أبا عبدالله ثم قال له: قم یا أبا عبدالله فقد نصحت لک و لا تفسد علی وردی فانی رجل ضنین بنفسی».

وصایا الجماعات

و من وصیه له الی أصحابه

«استنزلوا الرزق بالصدقه، و حصنوا المال بالزکاه، و ما عال من اقتصد، [صفحه ۴۴] و التدبیر نصف المعیشه، و التودد نصف العقل، و قله العیال أحد الیسارین، و من أحزن والدیه فقد عقهما و من ضرب یده علی فخذه عند مصیبه فقد حبط أجره، و الصنیعه لا تکون صنیعه الا عند ذی حسب و دین، و الله تعالی ینزل الرزق علی قدر المؤونه، و منزل الصبر علی قدر المصیبه و من أیقن بالخلف جاد بالعطیه، و من قدر معیشته رزقه الله، و من بذر معیشته حرمه الله» [۵۱] .

و من وصیه له الی بعض أصحابه

اذا أراد أحدکم أن لایسأل ربه شیئا الا أعطاه، فلییأس من الناس کلهم، و لا یکون له رجاء الا من عندالله عز ذکره فاذا علم الله عزوجل ذلک من قلبه لم یسأله شیئا الا أعطاه فحاسبوا أنفسکم قبل أن تحاسبوا علیها، فان للقیامه خمسین موقفا، کل موقف مقداره ألف سنه، ثم تلا: «فی یوم کان مقداره خمسین ألف سنه مما تعدون» [۵۲] .

و من وصیه له الی بعض أصحابه کتبها الیه جوابا لکتابه

«أما بعد فانی أوصیک بتقوی الله، فان الله قد ضمن لمن اتقاه أن یحوله عما یکره الی ما یحب، ویرزقه من حیث لایحتسب، فایاک أن تکون ممن یخاف علی العباد من ذنوبهم، و یأمن العقوبه من ذنبه، فان الله عزوجل لا یخدع عن جنته، و لا ینال ما عنده الا بطاعته ان شاءالله» [۵۳] .

و من وصیه له قبیل فراقه الحیاه

روی عن أبی بصیر قال: «دخلت علی أم حمیده أعزیها بأبی عبدالله علیه السلام، فبکت و بکیت لبکائها، ثم قالت: یا أبامحمد لو رأیت أباعبدالله عندالموت لرأیت عجبا، فتح عینیه ثم قال: اجمعوا لی کل من بینی و بینه قرابه. فلم نترک [صفحه ۴۵] أحدا الا جمعناه، فنظر الیهم ثم قال: ان شفاعتنا لا تنال مستخفا بالصلاه [۵۴] .

رسالته الی جماعه شیعته و أصحابه

قال علیه السـلام: «أکثروا من الـدعاء فان الله یحب من عباده الـذین یدعونه و قد وعد عباده المؤمنین الاسـتجابه والله مصـیر دعاء المؤمنین یوم القیامه لهم عملا یزیـدهم به فی الجنه. و أکثروا ذکر الله ما اسـتطعتم فی کل ساعه من ساعات اللیل و النهار فان الله أمرکم بکثره الذکر له، و الله ذاکر من ذکره من المؤمنین. و علیکم بالمحافظه علی الصـلوات و الصـلاه الوسطی و قوموالله قانتین کمـا أمرالله به المؤمنین فی کتابه من قبلکم. و علیکم بحب المساکین المسـلمین فان من حقرهم و تکبر علیهم فقـد زل عن دین الله، و الله له حـاقر مـاقت. ایـاکم و العظمه و الکبر فـان الکبر رداء الله فمن نـازع الله رداءه قصـمه الله و أذله یوم القیامه. ایاکم أن یبغی بعضـکم علی بعض فانهـا لیست من خصـال الصـالحین، فـانه من بغی صب الله بغیه علی نفسه و صارت نصـره الله لمن بغی علیه و من نصـره الله غلب و أصاب الظفر من الله. ایاکم أن یحسد بعضـکم بعضا فان الکفر أصله الحسد. ایاکم أن تشره نفوسکم الی شی ء مما حرم الله علیکم فانه من انتهک ما حرم الله علیه هاهنا فی الدنیا حال الله بینه و بین الجنه و نعیمها و لذتها و کرامتها القائمه لأهل الجنه

أبد الآبدين. [صفحه ۴۷]

دعوه الامام الاصلاحیه

العقیده و السیاسه

اشاره

قال المفکرون الاجتماعیون: السیاسه انعکاس للحرکه الانسانیه، و الحرکه الانسانیه تعبیر عن فکر الانسان فی کل ما یخوض فی میادین حیاته، و فکر الانسان ولید عقیدته، فلا سیاسه اذن بلا عقیده. وساس السائس الجواد، عمل جاهدا فی خدمته فی المأکل و المشرب و بذل کل ما بوسعه من أجل راحته. وساس الرجل القوم، اجتهد فی تلبیه مصالحهم لیعیشوا فی راحه و طمأنینه و حریه و سعاده. و انطلاقا من هذا المعنی فالسیاسه تصبح واحده من الانعکاسات الحرکیه للانسان فی العمران و العلوم و الاقتصاد و الآداب و الفنون و الاکتشافات و غیرها من المخترعات التی تشکل معا ذلک الکم المتلاحم و المتآلف الذی یستوعبه الدین فینظمه و یربط فیما بین جزئیاته و کلیاته و یشرع لها و ینظم وسائلها و یرسم مناهجها و یوضح أهدافها و غایاتها. و الاسلام انتهج السیاسه لتکون تعبیرا جزئیا عن حیاه الانسان فی کل میادینها الواسعه فی العلوم و الفنون و الصناعه و الزراعه، و العدل و القضاء، و الاداره [صفحه ۴۸] و التنظیم و السلم و الأمن و شتی ألوان التعامل من جیرانها من الدول المجاوره و الأمم الأخری البعیده. و الدین الاسلامی بما یتضمنه من عقیده و عباده و معامله غایته الانسان بکل ما یحتاج من أنظمه و تنظیم و کل ما یحیط به من حرکه انسانیه فی مساراتها المختلفه و میادینها المتعدده. و هو دین العلم و العقل، و الروح، یعمل علی بناء الفرد الصالح و المجتمع الصالح، و هو دین العمل الصالح، و السیر الفالح، و الواقع السلیم، فهو ینظم علاقه المسلم بغیره من الناس فی هذا العالم الواسع

بآفاقه المتعدده و المختلفه، من ذلک علاقه المسلم بأهل الکتاب، و علاقه المسلم مع الخلائق عامه من حیوان و نبات و جماد، و عبر الأبعاد الزمنیه البعیده و القریبه فیما مضی، و ما هو آت الی یوم الحساب یوم یقوم جمیع الناس لرب العالمین. و أول ما حث علیه هذا الدین القویم: العلم الذی ینور طریق الانسان الی سبل الخیر و السعاده و الرشاد. جاء فی القرآن الکم «اقرا باسم ربک الذی خلق. خلق الانسان من علق. اقرأ و ربک الأکرم. الذی علم بالقلم. علم الانسان ما لم یعلم» [۵۵] . و قوله عزوجل:«ن و القلم و ما یسطرون» [۵۶] . و قوله تعالی: «ان هذا القرآن یهدی للتی هو أقوم» [۵۷] . کان و ما زال و سیبقی نور البصائر یخرج الناس من الظلمات الی النور،من ظلمات الجهل و الطیش و الضلال الی العلم و الحلم و الرشاد. قال تعالی: «لیخرج الذین آمنوا و عملوا الصالحات من الظلمات الی النور» [۵۸] هذا و کانت من أولیات الدعوه الاسلامیه قول رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم للناس: [صفحه ۴۹] «العلم فریضه علی کل مسلم و مسلمه». لقد جعله فریضه من الفرائض الواجبه علی کل مسلم و مسلمه لأنه یعلم أن العلم یفتح آفاق المعرفه بکل ألوانها: الدینیه و الفلسفیه و العلمیه و یذلل المصاعب التی تعوق سیر الانسان فی حیاته، و یکشف المجهول و یضیء له السبیل و ینقله الی مواقع جدیده و حیاه أرقی و أنقی و أبقی. قال بعض العرب عن شبه الجزیره العربیه أنها قاحله جرداء لا حیاه فیها، لأنهم کانوا لا یعلمون ما فی باطنها من مخزون

غنی یتهافت الیه الناس من أقاصی البلاد لیتزودوا به و یستفیدوا منه. و لما تزودوا بالعلم عرفوا الحقیقه و علموا أن هذه البلاد العربیه هی أغنی بلاد العالم قاطبه. ان العلم الذی هدف الیه الاسلام: هو وضع حرکه الحیاه الانسانیه علی الطریق الذین شرعه الله عزوجل لعباده لیکونوا خلفاء الله فی الأرض یعمروها و یسعدوا أهلها. قال تعالی: «و اذا قال ربک للملائکه انی جاعل فی الأرض خلیفه» [۵۹] و قال سبحانه مخاطبا نبی الله داود علیه السلام: «یا داود انا جعلناک خلیفه فی الأرض فاحکم بین الناس بالحق» [۶۰] من هذا کله نجد العلم فی الاسلام بانیا للحیاه، و الفکر فی الاسلام یربط بین فروع العلم بمختلف ألوانه و یدل طلابه علی غایاته الشریفه و أهدافه الانسانیه النبیله. کما یعمق جزئیاته المتعدده و یؤلف بین شعبه المتنوعه واضعا له دوره الوظیفی فی البناء الاجتماعی دافعا له فی دروب التقدم الانسانی و التطور الحضاری. ذلک أن العلوم الانسانیه و الاجتماعیه و العلمیه و التاریخیه و الفلسفیه ما لم تحتل موقعها علی الساحه الفکریه للانسان فانها سرعان ما تتحول الی أداه محدوده الوظائف و مقتصره علی فئه من الناس قلیله متخصصه. و أرقی ما توصل الیه الفکر فی الحیاه، قدرته علی رؤیه الحقائق العلمیه بأبعادها المختلفه ماضیا و حاضرا و مستقبلا، علی صعید الفرد کما علی صعید [صفحه ۵۰] الجماعه فی اطار الأسره و فی اطار المجتمع و علی الساحه الانسانیه و العوالم الأخری المحیطه بالانسان. و الامام جعفر الصادق علیه السلام یری أن الصراع السیاسی الذی قسم الأمه الاسلامیه فی العصر الأموی و شتت شملها و عرقل مسیرتها الحضاریه التی رسم خططها الاسلام، قد اعتمد فیه

الحکام المتسلطون علی سیاسه تفریغ الأمه من العلم و عزل الناس عن الفکر و ادخالهم فی المجالات الضیقه لیفقدوا دورهم الشرعی و الاجتماعی و بالتالی یضعوهم علی مسارات تنتهی بهم الی التناقض مع تطلعاتهم و تجعلهم یخسرون کل أمانیهم التی یطمحون الی تحقیقها. فی تلک الحال المتردیه انطلق الامام الصادق علیه السلام التی تأسیس مدرسه فکریه عظیمه فی مطلع القرن الهجری الثانی لیجدد بها مدرسه جده رسول الله علیه السلام. کانت مدرسه بعیده الأثر و المقاصد رسمت للأمه الاسلامیه المنهج الشامل المتکامل الذی قال فیه الله عزوجل فی کتابه الکریم: «الیوم أکملت لکم دینکم و أتممت علیکم نعمتی و رضیت لکم الاسلام دینا» [۶۱] . انها المدرسه الاسلامیه منهجها القرآن و غایتها الانسان قامت علی بناء حیاه الانسان بناء عقائدیا علمیا سلیما فهذبت روحه و غذت فکره و جعلته مترفعا عن کل النزاعات الفکریه و الصراعات السیاسیه و العصبیات القبلیه و العنصریه و النظرات الفردیه الخاصه. [صفحه ۵۱]

الانسان هو محور التغییر

اشاره

قال تعالی: «هو الذی بعث فی الأمیین رسولا منهم یتلوا منهم آیاته و یزکیهم و یعلمهم الکتاب و الحکمه و ان کانوا من قبل لفی ضلال مبین» [۶۲] ظهرت فی العصور الأخیره مدارس فکریه متعدده حول التغییر الاجتماعی و تنوعت آراء العلماء فی هذا الحقل حیث تبنی کل صاحب مدرسه و أتباعه مبادیء اعتبروها أساس کل تغییر فی مسیره مجتمعاتهم، بینما اعتبروا المبادیء الأخری ثانویه لا قیمه لها فی نظرهم أو تابعه لهم. فالمدرسه الفرودیه تبنت عامل الغریزه الجنسیه، و المدرسه الجغرافیه تبنت عامل تأثیر البیئه الطبیعیه، و المدرسه التاریخیه المادیه تبنت العامل الاقتصادی و اعتبرته العامل الأساسی فی حرکه التاریخ و مسیره البشریه [۶۳] ، و

مدرسه موندیل تبنت عامل الوراثه أساسا لها فی النبات و الحیوان و الانسان و بقراءه سریعه للفکر الفلسفی فی التاریخ نجده یتمحور حول ثلاث أفکار أساسیه هی المثالیه و المادیه و الواقعیه. فالمثالیه سارت فی اتجاهین: الأول: سوفسطائی یتبع محاوره الوجدان. و الثانی: عقلی یتبع أصاله الفکر. [صفحه ۵۲] و المادیه تنکرت وجود غیر الماده و کل ما یتعرف الیه الحس تقر بوجوده. أما الواقعیه فتقول ان العلم بمجالاته العقلیه و التجربیه یعیش مع فکره الآله فالتجربه تجر الانسان الی مشکله النشأه الأولی أی الی الآله. و قد نشأت المدارس الفلسفیه فی العالم تدور جمیعها فی فلک هذه الأصول الثلاثه التی أعطت بنتیجه تفاعلها حضارات عدیده و متنوعه و مختلفه. زعم أصحاب هذه المدارس أنهم اکتشفوا سر الحرکه الاجتماعیه و ظنوا أن مناهج مدارسهم قد استوعبت مسیره المجتمع بکل أطرافها. و الحقیقه وجدنا هذه المدارس قد باءت جمیعها بالفشل لأنها کرست کل جهودها علی الظواهر المادیه الخارجه عن حاجات الانسان المعنویه و الروحیه، و ألغت دوره الرائد الذی بمقدوره أن یتمرد علی کل هذه العوامل المعوقه و یستطیع الانفلات من کل المعادلات المادیه التی تحاول أن تحدد سلوکه و تغیر أخلاقه. فزعماء المارکسیه تراجعوا عن نظریاتهم فی تفسیر التاریخ تفسیرا اقتصادیا. یؤکد هذه الحقیقه خاصه و ان المارکسیه هی آخر المدارس التی فسرت التغییر الاجتماعی بالعامل الواحد و أکثرها ذیوعا و انتشارا. بعد هذا الفشل نستطیع القول أن النظریه القرآنیه قد جعلت من الانسان محورا مبارکا لکل تغییر اجتماعی، لکننا لا نعنی اهمال العوامل الأخری، لأن الانسان بامکانه أن یتخذ دوره الرائد و الموجه، کما بامکانه أیضا أن یضع شخصیته الممیزه و الرائده و

المستقله ازاء العوامل الأخرى؛ و عند ذلک يصبح عرضه للعوامل الخارجيه التى تتقاذفه باتجاهها. و بالتالى يبقى الانسان بسموه و انحطاطه هو المحور لكل تغيير فى مسيره المجتمع و التاريخ. قال تعالى: «ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» [۶۴] . و هنا يبدأ التاريخ فى تقدم الحضاره على يد الانسان الذى بمجهوده و معرفته يستطيع تقديم أو تأخير حركه التاريخ. [صفحه ۵۳] يرى العالم الاجتماعى «أوجست كونت» منشى ء علم الاجتماع ۱۷۹۸ م - ۱۸۵۸ م الذى وضع قانونا للتطور الانسانى: «الحضاره الانسانيه لا يتم سيرها وفقا لخط مستقيم، و انما وفقا لمجموعه من التأرجحات المتباينه و غير المتساويه، و عن طريق المعرفه الحقيقيه لمركز هذه الحركه يمكننا تنظيم هذا التأرجح الطبيعى مقدما كما يمكننا العمل على التقليل من تلك التأرجحات و من هذا التردد. و الأفراد فى نظر كونت لديهم القدره على تقديم أو تأخير حركه التاريخ» [۶۵] . و قد تبين لنا أن المدارس التى تؤمن أن الانسان محور التغيير الاجتماعى تؤمن أيضا أن الكائن البشرى يمتلک القدره على التجاوز نحو الأفضل و ضبط الشهوات و السيطره على العوامل الخارجيه. هذه القدرات هى كامنه فى ذات هذا الكائن بشكل طاقات داخليه تحتاج الى برنامج تربوى لتفجيرها تفجيرا خيرا نافعا، و اخراجها من مرحله الفعل الى مرحله القوه. و مما يبدو أن المنهج التربوى فى هذه المدارس الحديثه اتخذ مسارين مختلفين. فبعضها اقتنع بتربيه الانسان بمعزل عن المجتمع تماما. و بعضها الآخر آمن بتربيه الانسان فى خضم الأحداث و الوقائع الاجتماعيه. فما هو موقف الاسلام التربوى تجاه الكائن البشرى؟ اتخذ الاسلام منهجه التربوى منسجما مع خط الحياه ليتربى الانسان من

خلال ممارساته الحیویه و الاجتماعیه و الاقتصادیه و النفسیه، و هذا یتضح من خلال اقتران الایمان بالعمل الصالح فی آیات کریمات من القرآن الکریم، کما یتضح من خلال الجانب الأخلاقی و التربوی فی الاقتصاد الاسلامی. یهدف الاسلام فی جل أهدافه الی صیانه الفرد و المجتمع فی آن معا. فلا افراط و لا تفریط فی کل الممارسات و علی جمیع الأصعده، من هنا نراه یدفع [صفحه ۵۴] الانسان نحو الاکتشاف و نحو تفجیر کنوز الأرض المخبوءه. قال تعالی: «هو الذی جعل لکم الأرض ذلولا فامشوا فی مناکبها و کلوا من رزقه و الیه النشور» [۶۶] . و الی جانب ذلک یحرره من الانشداد البهیمی لیعرف واجباته و حقوقه، و ینهاه عن ممارسه أی لون من ألوان العدوان. قال تعالی: «یا أیها الذین آمنوا لا تحرموا طیبات ما أحل الله لکم، و لا تعتدوا ان الله لا یحب المعتدین» [۶۷] . و قال تعالی: «و ما أوتیتم من شی ء فمتاع الحیاه الدنیا و زینتها و ما عندالله خیر و أبقی أفلا تعقلون» [۶۸] . و قال تعالی أیضا: «و ابتغ فیما آتاک الله الدار الآخره و لا تنس نصیبک من الدنیا و أحسن کما أحسن الله الیک و لا تبغ الفساد فی الأرض ان الله لا یحب المفسدین» [۶۹] . هذا التوازن اللطیف العادل بین التحرک علی ساحه الحیاه و التحرر من التعلق البهیمی بالأرض و المتاع مشهود الیوم بوضوح علی خط المقاومه الاسلامیه فی جنوب لبنان و فی البقاع الغربی و هو بلا ریب دفاع مشروع عن الاسلام و الکرامه الانسانیه، و هو بالتالی امتداد لخط النبوه و الامامه فی الاسلام. فالله سبحانه و تعالی

أراد للمسلمين العزه و الكرامه ورد الاعتداء قال تعالى: «ولله العزه و لرسوله و للمؤمنين و لكن المنافقين لا يعلمون» [۷۰] . لقد جعل تعالى المؤمنين فى الدرجه العليا بعد رسوله صلى الله عليه و آله و سلم. فعلى الانسان الذى كرمه الله أن يحافظ على هذه العزه بكل ما لديه. و اليوم الجميع يعلم أن ظاهره الاتجاه نحو التهجد و التنفل و احياء مجالس الذكر و تلاوه الادعيه قد ازدادت [صفحه ۵۵] و انتشرت كازدياد المد الثورى العارم الذى حطم عروشا كبيره و بدأ يهز عروشا أخرى، و هكذا ظاهره تحول مبارك، تحول خنادق المجاهدين المسلمين الى محاريب للعباده يقيم فيها المقاتل صلواته و نوافله و أدعيته، و يحافظ على وضوئه بماء قارورته منتظرا ساعه اسباغ الوضوء بدم الشهاده. هذا التحول العظيم هو وليد الايمان العظيم تمثل فى الاندفاع نحو ساحات الهدم و البناء من أجل رفع كلمه الله و كسب رضاه. و هذا الاندفاع الغريب نحو الشهاده فى سبيل الفوز بالجنه و الانجذاب الكبير بالله، هو أعظم بكثير من التحول السياسى الكبير فى لبنان الجنوبى و البقاع الغربى، لأنه ينتهى بولاده الانسان الجديد... الانسان المؤهل لحمل أعباء الأمانه الكبرى، و مسؤوليه خلافه الله على الأرض. قال تعالى: «و اذا قال ربك للملائكه انى جاعل فى الأرض خليفه...» [۷۱] اذا راقبنا مسيره الصحوه الاسلاميه فى العالم العربى علمنا أن هذا الاتجاه التربوى الاسلامى ينطلق بالدرجه الأولى من توجيهات رجال الدين القاده حفظهم الله تعالى و ثبت خطاهم لما فيه خير الأمه، فهم يؤكدون على التوجه الى الله تعالى و احياء المساجد و مجالس الذكر. و كل غاياتهم نشر الاسلام من أجل تطبيق أحكامه

العـادله. فأوصوا بتطبيق شـعائر الاسـلام و أولها: «الصـلاه» فهى عمود الـدين، فان تركت ترك ما سواها و ان قبلت قبل ما سواها. تصـفى النفس بو تسـمو بها الى أسمى الدرجات و منها ينطلق كل الخير و العطاء المبارك. يلفتنى فى هذا المجال ما جرى: ظهر يوم عاشوراء حين حمى و طيس الحرب و اشـتد القتال، قال أحد أصـحاب الامام عليه السلام سيد الشهداء، قد حان وقت الصلاه أجـابه الامـام عليه السـلام ذكرتنا بالصـلاه، جعلك الله من المصـلين، و وقف فى ذلك الموقف و أدى الصـلاه و قال: من أجلها نريد أن نحارب. و لا غرابه! فالامام الحسـين هو ابن الامام على بن أبى طالب عليه السـلام. سـئل أميرالمؤمنين، عن مسأله دينيه و هو يخوض غمار الحرب، وقف و أجاب و لم [صفحه ۵۶] يتوان عن الاجابه بسبب الحرب و قد أكد عليه السلام أنه يحارب من أجـل ذلـك، أى من أجـل توعيه الأـفراد و بالتالى الجماعه. لم تكن الحرب هـدفا فى الاسـلام بل انها وسـيله لازاله العوائق التى تقف فى طريق الأمه، لازاله أولئك الـذين يصـدون عن سبيل الله و يقفون حجر عثره بوجه تقدم المسـلمين. ان الهدف الرئيسـى هو أن يطبق المسـلمون الاسـلام، و به يولـد «الانسان»، الانسان العاقل و العادل و المسالم و السـعيد فى الدنيا و الآخره. و الصـلاه الحقيقيه مصـنع كريم لخلق انسـان عظيم لأنهـا تنهى عن الفحشـاء و المنكر. لـذلك ركز القرآن الكريم فى آيات كريمات على اقامه الصـلاه نذكر منها [۷۲] . و نحن اليوم نعيش فى مرحله دقيقه و هـامه، نحقق انتصاراتنـا بـذكر الله و باسم الله. و الصـلاه هى أعظم ذكر الله. نبدأ بها بالنشيد الآلهى: «الله اكبر» الذى يقوى قلوب المجاهدين

و يـدب الخوف و الهلع فى قلوب المعتـدين. فعلينا ألا نتهاون بالصـلاه أبـدا لقد بات الأعداء يخافون من المساجد لأن بها تجمع المؤمنين و منها ينطلق نور الوعى الروحى و النفسـى و الاجتماعى، فعلينا أن نبقيها عامره، لأنها متاريس الـدفاع، و لا بد من مل ء هـذه المتـاريس الـتى تكـبر و تزيـد يومـا بعـد يـوم بـالمؤمنين المجاهـدين الحسـينيين. و المحـاريب اسم لمنطلق الحروب. فعلى المسـلمين المحافظه على هذه الحصون وصـيانتها و الاهتمام بها لأن الشياطين و المعتدين يهابونها و يحسبون لها ألف حساب. و بعـد هـذا لا ـ خوف من «فـانتوم» أمريكـا و لا ـ من «ميغ» روسـيا لكن الخوف كـل الخوف من ذلك اليوم الـذى نـدير فيه ظهورنا للمساجـد و للاسـلام. فالمساجـد أمكنه أصـيله ينبغى أن تـدار فيها الأمور و هى التى حققت النصـر لشـعوبنا، انها مراكز حساسـه ينبغى الاهتمـام بها. و هنا لا بـد لنا من وقفه عنـد العقيـده و الايمان بالغيب. [صـفحه ۵۷] هـذا الايمان هو أحد مقومات الذهنيه الاسـلاميه، و هو اضافه الى كونه ايمانا بحقيقه موضوعيه واقعيه، يؤدى الى توسـيع آفاق الفكر الانسانى و تحرير العقل من الاطار المادى الضيق و يدعو الانسان الى تطلعات بعيده و رقابه مستمره على أعماله و سلوكه و أحاسيسه. الايمان بالغيب عند المسلمين أقلـق خـواطر المفكرين الغربيين فـالغزو الفكرى الأـوروبى حمـل، معه الى العـالم الاسـلامى، فيمـا حمـل حربـا شـعواء على هـذا الانشـداد الغيبى و أشاع فى جميع الأوساط أن الـذهنيه الغيبيه تعارض الـذهنيه العلميه، و ان هـذا يؤدى الى التقاعس و التهاون و التكاسـل. ثم طرح مفاهيم مشوهه مغلوطه عن الغيب و الحساب و التفكير الغيبى. هـذا التبشـير الأوروبى المادى المـدسوس أدى الى ابتعاد الانسان عن

مصدر قدرته فی أكثر البلدان العربيه، و بدأ كل فرد يفكر فی شؤونه و حل مشاكله من خلال المعادلات الماديه التی أوحاها اليه الغزاه أنفسـهم. و بذلك شعر المسلم بالضعف و الهوان أمام الأفكار المدسوسه و بالتالی استسلم للمستعمرين. من هنا أكد رجال الـدين القاده علی ضـروره فهم الامداد الغيبی من أجل اتخاذ المواقف الحاسـمه الصـحيحه تجاه أی تهديد خارجی علی الوجود الاسـلامی، كما ركزوا فی تعاليمهم التربويه علی ضـروره الانشداد بالغيب. و المثل المشـرق الواضح: انتصار الثوره الاسلاميه فی ايران. و من أقوال الامام القائد الخمينی قدس الله سـره: «هذا النصر الآلهی الذی حققه شعبنا ليس له فی التاريخ مثيل سوی صدر الاسـلام، لقـد ألقی الله الرعب فی قلوب أعدائنا. و هذا الرعب هو الذی حقق لنا النصـر. و الله سـبحانه ينصـر جند الاسـلام أحيانا بالرعب الذی يلقيه فی نفوس أعدائهم. و لم يكن غير الله وراء انتصار قضـيه شـعبنا، و هل من الممكن القيام بمثل هذا العمل عن طريق تبليغ الناس؟. لا يمكن السـيطره علی سوق طهران حتی و لو بذلنا عشرين بسنه من الجهود، لكن جميع نقاط بلادنا أضحت خلال مده قصـيره مندفعه نحو هدف واحد... [صفحه ۵۸] و هذا يبين أن يدا غيبيه كانت وراء ما حدث» [۷۳] . و من حديث له فی أعضـاء مؤتمر أمريكا فی ايران لـدراسه جرائمهما قال: «اننا نتكل علی الله و نؤمن أن لهـذا الكون مـدبرا، ان الـذين لم ينتبهوا الی هذه الحقيقه سـينتبهون الآن، اذ كيف اسـتطاع شعب أعزل بصرخات «الله أكبر» لا غير، التغلب علی أعتی قوه شيطانيه تسندها القوی الكبری و الصغری... و كيف استطاع هذا الشعب الضعيف الأعزل من السلاح

أن ينتصر على جميع هـذه القوى؟. ألم يكن سر انتصار هـذا الشعب هو الرعب الـذى ألقاه الله فى قلوب هؤلاء الطغاه؟! أليس ذلك هو ذات ما حدث فى صدر الاسلام حيث انتصرت فئه قليله على فئه كثيره؟!. ألم يحن الوقت للذين لم يهتموا بالمعنويات، و لم يؤمنوا بالغيب أن يستيقظوا من غفوتهم؟!. من أسقط الطائرات العموديه (لكارتر) التى استهدفت الاعتداء على ايران؟ هل نحن أسقطناها!. ان الرمال جنود الله و كذلك الرياح هى جنود الله، و قد أبادت الرياح قوم عاد، ان الرياح و الرمال جنود الله... و ليجربوا» [۷۴] . ان المدرسه الاسلاميه مدرسه توحيديه و هى تختلف اختلافا بينا عن المدارس الفكريه الالحاديه المنحرفه؛ فرجال مدرسه التوحيد يعتبرون الشهاده فوزا عظيما لهم و يستبشرون بالشهاده فى سبيل الله، لأنهم يؤمنون بعالم ما وراء عالم الطبيعه، عالم أسمى و أرقى و أنقى و أبقى من هذا العالم الزائل عما قريب أو بعيد. الانسان المسلم المؤمن يرى فى شهادته تحررا من كل القيود التى تكبله فى هذا العالم. و الأمثله على ذلك كثيره فى ايران و فى باكستان و فى جنوب لبنان و فى [صفحه ۵۹] الجزائر و فى السودان و فى مصر و فى السعوديه... هذه الصحوه الاسلاميه حدثت و استمرت بفعل الايمان بالغيب. و هذه الأصوات المرتفعه التى نسمعها و نباركها هى صوت الله، انها قدرهالله، و هذه الانتصارات تحققت بقوهالله.

اقتران العلم بالأخلاق

ان انفصال العلم عن الأخلاق جر على العالم كل ما عاناه و يعانيه خلال العصر الأخير من وسائل الدمار المتطوره و وسائل الاباده المجاعيه عن طريق القنابل الذريه و الهيدروجينيه و النيوترونيه المعقده التى تمارسها اسرائيل المجرمه المعتديه. هذا الانفصال

بین العلم و الأخلاق هو الـذی أدی من جهه أخری الی ظهور (علمـاء) یخـدمون الظلمه و الطواغیت، و یسـندون حکمهم الجائر بفتاوی مختلفه و بدع عجیبه ما أنزل الله بها من سلطان. ثم یبررون ما اقترفوه من جرائم و آثام بتبریرات واهیه مرفوضه. فی ایران، قبل انتصار الثوره الاسـلامیه کانت الجامعات مرکزا لتجمع «المثقفین» و «التقـدمیین» البعیدین عن الأمه و عن أهدافها و آمالها. و کـانت الحوزه العلمیه - مرکزا للـدراسات الاسـلامیه الحره - تخرج علمـاء یؤیـدون الانحراف و یسـندون الطـاغوت و یتکلمون بلسـانه. و هـذا الانحراف فی الجامعه و الحوزه یعود فی جوهره الی سـبب واحـد و هو عـدم اقتران العلم فیهما بالتربیه الأخلاقیه. یؤکد علماؤنا الأفاضل فی أحادیثهم و خطبهم علی ضـروره هذا الاقتران و یرکزون علی خطوره المراکز التعلیمیه و الأخطار التی یمکن أن تنجم عن هذه المراکز و ان لم تقم علی قاعده تربویه صـحیحه. و عما قریب عمد آیهالله السـید محمد حسین فضل الله و الشـیخ محمد مهدی شمس الدین و السید محمد حسن الأمین و السید محمد صفی الدین و الشیخ عبدالأمیر قبلا و غیرهم من العلماء الأجلاء الی توعیه الناس للانشداد بالأخلاق [صـفحه ۶۰] الاسـلامیه النبیله و البعـد عن هذا الانفلات الأخلاقی الذی عم فی الاذاعات و التلفزیونات و الـدعایات... و جمیع وسائل الاعلام. ان البعـد عن الخط الاسـلامی و تقلید المجتمع الغربی المادی هو الذی سـبب هذا الانحراف الأخلاقی. فعلینا دوما أن نعمل من أجل اعداد جیل اسـلامی عاقل و عامل یتمتع بالأخلاق النبیله و یبتعد عن کل رذیله. فی جامعاتنا و فی مدارسنا و فی تربیه أطفالنا نطهرها من آثار العصر الجاهلی و الانحرافات الفکریه

و نتائج الجاهليه الحديثه فی عصرنا الحاضر. وکلنا أمل أن یتم هذا التغییر الکبیر و تزول المخاوف و التخوفات التی یحملها رجال الدین تجاه الجامعیین. و بذلک نعمل علی حل المشاکل و ندفع عجله الثوره الحضاریه الاسلامیه نحو الانتصار. [صفحه ۶۱]

بین دعوه الامام الاصلاحیه و دوله المنصور العباسیه

اشاره

کانت دعوه الامام الصادق علیه السلام الاصلاحیه فی عصر سادت فیه موجه عاتیه من الفتن و الاضطرابات، و اختلف الناس فیما بینهم، فتکالبوا علی حب الذات و الجاه و الظفر، و تطاحنوا علی الغلبه و التفوق، و عصفت الآراء و انطلقت الأفکار و ظهرت الفرق التی تلبس ثوب الاسلام، ولکنها تتنکر لمبادئه و تتجافی عن تعالیمه، هذه الفرق کانت أشد ضررا علی الاسلام من سائر الملل و الدیانات الأخری، و کان أعظمها علیه أولئک المندسین فی صفوف المسلمین (الطابور الخامس) و فیهم من یدعی حب أهل البیت، و الانتماء الیهم ولکنهم فی الواقع هم خصوم لهم و أعداء لدعوتهم، یتجسسون علیهم ویدسون السموم فی صفوف أنصارهم. لذلک کان اهتمام الامام الصادق علیه السلام بأمرهم عظیما، و موقفه تجاههم حاسما فحاربهم حربا ضروسا حتی محا صفحتهم. لکن خصوم الشیعه المغرضین اتخذوا ذلک وسیله للتحامل علیهم و الوقیعه بهم، و للأسف ان کثیرا من ذوی الثقافه تأثروا بتلک الدعایه حتی وقعوا فی اثم الاتهام الکاذب و تلبسوا بجرائم فادحه. فی هذا الجو المشحون بالبدع و الخرافات و الفتن و المشاحنات نهض الامام الصادق علیه السلام یدعو الی الاصلاح بین الناس و التمسک بتعالیم الدین الحنیف، و تطبیق المبادی ء الاسلامیه فی الحیاه الفردیه و الاجتماعیه و الاقتصادیه و العلمیه، و نبذ الآراء المدسوسه و البعد عن الهوی، والانقسام فی الدین، لتکون وحده اسلامیه صحیحه تجمع وحده المسلمین تحت

رایه القرآن الکریم، و تعالیم الرسول [صفحه ۶۲] البناءه؛ و لتحصیل الأخوه العامه، و المساواه التامه، و التضامن الاجتماعی و ما یقوم علیه من تعاون و تعاطف و تراحم و عدل و احسان، و صبر و بر، و صدق و خیر. لقد وضع الدین الاسلامی هذا المبادی ء الانسانیه و القواعد الأساسیه لتحصل الروابط الاجتماعیه المتینه، و تتوثق بین المسلمین الالفه و المحبه و یسود الأمن و الاستقرار و السعاده. و بهذا یکون الدین الاسلامی قد سبق جمیع الأمم الی هذا النظام الانسانی العادل و الدائم. فی هذا الجو الملبد بغیوم القلق و الفتن اعتزل الامام الصادق علیه السلام السیاسه و نهج منهج التعلیم، و هو الانسان العظیم الذی کانت تتجه الیه الأنظار و تنتظره العقول و القلوب، لما منحه الله تعالی من قوه العقل و حسن الادراک والفقه فی الدین و طهاره النفس و فضل القربی و شرف المحتد. مما جعل مدرسته المدرسه المثلی التی یؤمها الطلاب من مختلف الأقطار علی اختلاف نزعاتهم و تضارب آرائهم، فکان الصادق فی تعلیمهم و المرشد لهم من الجهل و الضلال الی سواء السبیل. و حسبنا دلاله علی ذلک انتماء العلماء المبرزین لمدرسته من الذین أصبحوا رؤساء مذاهب کسفیان الثوری و مالک بن انس و ابن عیینه و أبی حنیفه، و أئمه الفرق، و کل منهم اعترف بفضله و أقر بعلمه. هذه الحقیقه لا یمکن انکارها الا من قبیل المغالطه و المکابره، و التهرب عن الحق. لقد سار الامام الصادق فی طریق الدعوه الاصلاحیه و لم یزج نفسه فی المعترک السیاسی العباسی الذی عظم خطره و کثرت فتنه. و لا ریب فی ذلک فهو الامام المعصوم، کان یری أن الوقت غیر

ملائم و الثمار لم يحن قطافها، فلم يكن له من العده و العدد ما يستطيع أن يخوض تلك المعركه السياسيه ففضل خوض المعركه العلميه عن طريق التوجيه و الاصلاح الاجتماعى، ليهذب النفوس المرضى من نزعات الشر و الفساد. فلزم الدعوه الصامته. كان أثر هذه الدعوه الاصلاحيه التى كان ينشدها الامام الصادق عليه السلام عظيما جدا على المنصور، فلم ترق له بل أقلقته حتى ظهر غضبه الذى مره يكتمه و أخرى يظهره؛ لأنه يعتبر اقبال الناس الشديد على الامام عليه السلام و اعتراف الناس [صفحه ۶۳] بفضله و علمه، و تألق مدرسته و انتشار دعوته الى الاصلاح الاجتماعى، كل ذلك يعتبره منهاج ثوره يستفحل خطرها و ليس بامكانها اخماد نيرانها. لذلك بقى المنصور متخوفا من آل على بصوره عامه و من الامام الصادق بصوره خاصه الذى عبر عنه «بالشجى المعترض بحلقه» فأخذ يدبر المكائد و ينصب حبال الحيل و يقلب وجوه الرأى و يتحين الفرص المناسبه ليوقع الامام الصادق فى قبضته، فزور الكتب و أرسل اليه من يستميله الى الثوره. لكنه عليه السلام سرعان ما كشف القناع عن تلك الدسائس بسداد رأيه و صفاء تفكيره و علمه بما وراء الحوادث حتى أفشل المنصور بما افتعله من تهم ليدين الامام عليه السلام فيأخذه بحجه الخروج على الدوله التى كان يدعى دائما أنها دوله شرعيه، و الخروج عليها خروج على سلطان الله. افتعل المنصور هذه الخطط مع زعماء معروفين من آل على حتى أحدث من جراء ذلك ثورات دمويه استطاع المنصور بواسطتها أن يقضى على البقيه من آل على، و يقتلهم بصوره بشعه، بعد أن أذاقهم أنواع التعذيب و ضروب التنكيل. و هذا ما كان يخشاه الامام الصادق عليه السلام عندما أمرهم

بالتريث و نصحهم بعدم الاستجابه للدعاه فى الثوره التى دبرها المنصور. و نقطه هامه لا بد من ذكرها و هى أن الدوله العباسيه نشأتها الأولى كانت تنتحل وراثه النبى صلى الله عليه و آله و سلم و أن العباسيين هم أولى الناس بأمر الأمه، و هم الذين يمثلون الخلافه الراشده، من العدل فى الحكم، و االاستقامه فى الأمر، و المحافظه على تطبيق الشريعه الاسلاميه و قد حاولوا أن يصبغوا دولتهم بصبغه الدين، و أن يظهروا أمام الناس بمظهر المحافظه على مبادئه، و أن سلطانهم هو سلطان الله و يحكمون بأمر الله، و يسيرون على سيره الرسول و هداه، حتى أنهم منحوا أنفسهم ألقابا فضفاضه: الحماه عن الدين، و امامه المسلمين و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و أنهم بيت النبى ورثته. الى ما هنالك من ألقاب فارغه و ألفاظ باطله يحاولون من ورائها الاستئثار بالحكم، و عدم السماح لأى كان بالمطالبه بالحق أو رفع الصوت استنكارا لسوء السيره التى ساروا عليها فى حكمهم. فهم يريدون أن يبقى الناس جميعا مسخرين لارادتهم و أداه طيعه لهم، اذ يزعمون أن الله أوجب حقهم فى الحكم و أن سلطانهم هو سلطان الله، و أن الله أرسلهم لخير [صفحه ۶۴] الناس و خدمتهم و لا يعلمون الا لصالح الأمه الاسلاميه. فالخليفه عندهم ليس ملكا على دوله سياسيه فقط، بل هو ملك على دوله دينيه تحيط به رسوم دينيه و مظاهر دينيه، فهو فى نظرهم امام المسلمين، و خليفه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى قياده الأمه الاسلاميه قياده روحيه. و أن الله منحه منزله خاصه. فبينما كان الأمويون يتقلدون الصولجان و يلبسون الخاتم

رمزا للحكم، ترى العباسيين يتقلدون البرده، التى كان الرسول صلى الله عليه و آله و سلم منحها لكعب بن زهير، عندما مدحه بقصيده (بانت سعاد) و كان الخليفه العباسى الأول هو أول من سن هذا التقليد ثم ورثها الخلفاء من بعده، فكانوا يلبسون هذه البرده فى حفلات البيعه و غيرها، حتى فى الحفلات الحربيه و فى صلاه الجماعه. و قد أوعزوا الى الشعراء المكتسبين أن ينسجوا شعرهم على هذا المنوال. فقالوا: ان نصرهم من عندالله ينصرهم بجنود غير منظوره و تعيينهم من الله و عملهم فى سبيل الله. كما كلفوا علماء مأجورين يزورون الأحاديث النبويه لصالحهم حتى يظهروا للناس أنهم يعملون بسيره الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم. و قد وصفهم هلال الصبابى عند كلامه عن جلوس خلفائهم على كرسى الخلافه و ما يلبسونه فى المواكب الرسميه فقال: جرت العاده عند الخلفاء العباسيين جلوس الخليفه على كرسى مرتفع، و يكون لباسه السواد، و يجعل على رأسه عمامه سوداء و يتقلد سيف النبى صلى الله عليه و آله و سلم و يلبس خفا أحمر و يضع بين يديه مصحف عثمان، و على كتفيه برده النبى صلى الله عليه و آله و سلم [۷۵] . و بهذه المظاهر الخلابه و الصافات الفارغه استطاعوا التأثير على مشاعر الكثير من الناس البسطاء، فنظروا اليهم نظره التقديس و الاعتقاد بأنهم ورثه النبى صلى الله عليه و آله و سلم و هم أحق بهذا الأمر. و هنا يعتبر كل من أنكر أعمالهم أو خرج عليهم خارجا على المسلمين و متعد لحدود الله. و قد سرى هذا الاعتقاد فى نفوس البسطاء السذج منذ نشاه الدوله العباسيه يحدثنا عن ذلک

الطبری فیقول: [صفحه ۶۵] دخل و فد علی أبی العباس السفاح یقدمهم غیلان بن عبدالله الخزاعی، فقال للسفاح: أشهد أنک أمیرالمؤمنین و أنک حبل الله المتین، و أنک امام المتقین. فقال السفاح: حاجتک یا غیلان. قال: أستغفرک. قال السفاح: غفرالله لک [۷۶] . و قد قام علماء الدوله المتکسبین الذین تمکن الضعف من نفوسهم و أخذ الطمع بزمام عقولهم، فی نشر تلک الدعوه الکاذبه، فحاکوا الأساطیر و خلقوا الأحادیث، حتی استمر الاعتقاد یعمل عمله حتی أصبح من لا یؤمن بشرعیه السلطان العباسی زندیقا، و هذا ما نعبر عنه بالزندقه السیاسیه التی و سم بها کثیر من الناس الذین استنکروا علی العباسیین سوء سیرتهم، و أدرکوا علی مرور الأیام زیف ما یدعونه من الحکم العادل المزیف، و أنهم ورثه النبی و أهل بیته. فأنکروا علیهم سلطانهم الالهی و أحقیتهم بالحکم. فاتهموا هؤلاء المنکرین بالزندقه و کان نصیبهم القتل لأنهم عارضوا سلطان الله و خلیفه رسوله. و أنهم أبعد الناس عن الاسلام ففهی عهد السفاح سفکت دماء بریئه و هدمت قری آمنه و استبیحت حرمات و هتکت أعراض. و کان القواد یستعملون ماده الفناء و الاباده اتباعا لأمر الخلیفه العباسی و هی: «من اتهمته فاقتله» [۷۷] . حتی قال فیهم أحد الشعراء:
یا لیت جور بنی مروان دام لنا و لیت عدل بنی العباس فی النار

خدیعه یحیی بن محمد العباسی شقیق السفاح

لما ولی ابن محمد العباسی علی الموصل من قبل أخیه السفاح لم یظهر لأهله شیئا ینکرونه، و لم یعترضهم فیما یفعلونه، ثم دعاهم فقتل منهم اثنی عشر رجلا، فنفر أهل البلد و حملوا السلاح. و عندما وجد نفسه فی مأزق أعطاهم الأمان، و أمر فنودی: [صفحه ۶۶] من دخل الجامع فهو آمن،

فأتاه الناس يهرعون اليه، أقام الرجال على أبواب الجامع فقتلوا الناس قتلا ذريعا و أسرفوا فيه، فقيل أنه قتل عشرين ألفا ممن لهم خواتيم، فلما كان الليل سمع يحيى صراخ النساء اللاتى قتل رجالهن فسأل عن ذلک فأخبر به، فقال: اذا كان الغد فاقتلوا النساء و الصبيان. ففعلوا ذلک و استباح الزنوج نساء البلد، فلما فرغ يحيى من قتل أهل الموصل ركب فى اليوم الرابع و بين يديه الحراب و السيوف المسلوله، فاعترضته امرأه و أخذت بعنان دابته فأراد أصحابه قتلها فنهاهم عن ذلک فقالت له: ألست ابن عم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم؟ أما تأنف للعربيات المسلمات! فأمسک عن جوابها و سير معها من يبلغها مأمنها، فلما كان من الغد جمع الزنوج للعطاء و كان عددهم أربعه آلاف فأمر بهم فقتلوا عن آخرهم [۷۸] . أما فى عهد المنصور فقد كان أدهى و أمر، واجه الناس فى عهده ألوانا من الظلم، مما لا عهد لهم به من قبل، كما صب جام غضبه على العلويين فانتقم منهم انتقاما لم يشهد مثله التاريخ، طاردهم و ضيق عليهم و أذاقهم أنواع المحن و ضروب الأذى، فلم ينج من شره لا كبير و لا صغير، و لم يرحم صوت ثاكل و لا نياح الأيتام! و مع هذا الاحترام الفظيع، كان يسبغ على أعماله القداسه، و ينتحل السلطان الشرعى و أن ما يفعله باراده الله و اذنه (على مذهب الجبريه) و قد صرح بذلک على المنبر فى مواطن عده: جاء فى بعض خطبه يوم عرفه: «أيها الناس انما أنا سلطان الله فى أرضه أسوسكم بتوفيقه و تسديده، و أنا خازنه على فيئه أعمل بمشيئته، و أعطيكم

بـاذنه فقـد جعلنی الله علیه قفلا، اذا شاء أن یفتحنی لأعطیاتاکم و قسم فیئکم فتحنی، و اذا شاء أن یقفلنی أقفلنی، فارغبوا الی الله أیها الناس، و سـلوه فی هذا الیوم الشـریف أن یوفقنی للصواب و یسددنی للرشاد، و یلهمنی الرأفه فیکم، و الاحسان الیکم» [۷۹] فـأی صـواب و أی رشـاد، أو أیـه رأفـه و أی احسـان! انـه کلاـم الفجـار الظـالمین أمـام النـاس البسـطاء المظلـومین! و کمـا تری فالمنصور، یحاول أن یوجه الناس الی الاعتقاد بشخصـیته اعتقادا بجعلهم یؤمنون [صفحه ۶۷] بصحه أعماله، لأنها تصدر بمشیئه الله اذ جعله سـبحانه والیا للأمر علی المسـلمین، حاکما للأمه الاسـلامیه کل ذلک من أجل یرکز عرشه الذی بات یضـطرب فوق تیـارات تـائرات، و ثورات متلاـحقه، لسوء سـیرته التی لا تتناسب مع واقع ادعائه، و مع علمه بأن قلوب أکثر الناس مع أهل البیت کما أزعجه بصوره مباشـره مدرسه الامام الصادق علیه السـلام و انتشار ذکره و تجمع الجماهیر حوله من علماء و أدباء و فقهاء و أعیان القوم. و قـد افتعل أسالیب کثیره من أجل خداع الناس البسـطاء و المتکسبین من ذلک نراه یصـغی لوعظ عمرو بن عبید و یبکی أمامه من خشـیه الله کأنه بری ء و لم یرتکب أی جریمه. بلغه أن محمد بن عبدالله، النفس الزکیه، کتب الی عمرو بن عبید – رئیس المعتزله – یستمیله، فضاق المنصور بذلک ذرعا و أرسل الی عمرو بن عبید، فلما وصل الیه أکرمه و شرفه، و قال: بلغنی أن محمـد بن عبدالله کتب الیک کتابا، قال عمرو: قد جاءنی کتاب یشـبه أن یکون کتابه، فقال المنصور، فیم أجبته؟. قال عمرو: لم أجبه الی ما أراد. ثم قال المنصور لعمرو:

عظنـا يـا أباعثمـان. فقـال عمرو: أعوذ بـالله من الشـيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم «ألم تر كيف فعـل ربـک بعاد، ارم ذات العمـاد، التى لم يخلق مثلها فى البلاد...» [۸۰] . فبکى المنصور بکاء شديدا کأنه لم يسـمع تلک الآيات الا الساعه. ثم قال عمرو: اتق الله، فقد أعطاک الدنيا بأسـرها فافتد نفسک ببعضـها، و اعلم أن الأمر الذى صار اليک انما کان بيد غيرک ممن کان قبلک، ثم أفضـى اليـک. فعاد المنصور الى بکائه حتى کادت نفسه تفيض [۸۱] . هکـذا أظهر المنصور حيله، فبدا أمام زعيم من زعماء الطوائف بمظهر [صـفحه ۶۸] السـلطان الخـائف من الله، البـاکى من خشـيته، لتنطبع فى ذهنه صوره حقيقيه عن امـام المسـلمين، فيبلغها أصحابه حتى تبرد عزائمهم عن مؤاخذته، و انکار أعماله. و قد تنجح حيله المنصور فى بعض الأحيان و عند بعض الناس، ذلـک أن المعتزله أصـحاب الرأى و العقل لم يخرجوا عليه و لم يسـتنکروا أعماله حتى مات عمرو بن عبيـد. و فى کل الأحوال، المنصور لم يهدأ خاطره فلم يزل يقلب وجوه الرأى و يدبر الحيل للتخلص من الامام الصادق. لأن مدرسـته اکتسبت شهره علميه بعيده المدى فلم ترق له هذه الشـهره الواسعه. و لذلک حاول أن يحصر الفتوى بمالک بن أنس عندما رفع منزلته، و نادى مناديه (لايفتى الا مالک) کما طلب منه أن يضع کتابا يکون مرجعا رسـميا فى الفقه، و لا يمکن الرجوع لغيره أو الأخـذ عن أحد سواه. و لماذا خص مالکا دون غيره من علماء المدينه؟ ذلک لأنه يعلم بانحرافه عن آل على، و أن نزعته نزعه أمويه. و اسـتمر المنصور فى تقديم العلماء و بذل الجوائز السنيه لهم

ليسند عرشه الذى أصبح مهددا من خطر الدعوه لأهل البيت، و عدم الاعتراف له بأهليه الخلافه، لما صدر عنه من مخالفه أحكام الاسلام و ما اتصف به من العسف و الظلم و الجور. و الذى أثر فى نفسه تأثيرا عميقا كلمه الامام الصادق عندما سئل عمن يصلح للخلافه فأجاب عليه السلام: ان الامامه لا تصلح الا لرجل فيه ثلاث خصال: «ورع يحجزه عن المحارم، و حلم يملك به غضبه، و حسن الخلافه على من ولى حتى يكون له كالوالد الرحيم». هذه الكلمه الموجزه البليغه كافيه لتجرد المنصور من أهليه الخلافه لعدم اتصافه بواحده منها. فالورع عنده كان جورا، و الحلم كان غضبا و اجراما، و حسن الخلافه كانت سوء خلافه حتى بات بدل الوالد الرحيم ذئبا كاسرا. كما أنه منع الناس من الترافع الى الحكام و وصفهم بأنهم حكام جور و أئمه [صفحه ۶۹] ضلال، فحكمهم فى نظره غير نافذ، و طاعتهم غير واجبه و ان الركون اليهم ضياع للحق و معاونه على الظلم. و كان يؤنب أصحابه الذين يتعاونون مع رجال الدوله و ينهاهم عن ذلك. فقال لعذافر: بلغنى أنك تعامل أباأيوب و الربيع، فما بالك اذا نودى بك فى أعوان الظلمه [۸۲] . و نهاهم عن العمل حتى فى بناء المساجد و كرايه الأنهر، و عندما سئل عن ذلك أجاب بقوله: ما أحب أن أعقد لهم عقده، أو وكيت لهم و كاء. و يقول النبى صلى الله عليه و آله و سلم: العامل بالظلم و المعين له و الراضى به شركاء. و يقول صلى الله عليه و آله و سلم أيضا: من أعان ظالما على مظلوم لم يزل الله عليه ساخطا حتى ينزل

عن معونته. و خلاصه القول أنه عظم على الـدوله اختصاص مـدرسه الامام الصادق بطابع الانفصال عنها فلم تهن عليها كل هـذه الأمور التى تقف حاجزا فى سبيل تحقيق أهدافها. و الذى كان يحز فى نفوسهم أنهم لم يتمكنوا من التدخل فى شؤون المدرسه، أو تكون لهم يـد فى توجيهها، و تطبيق نظامها. و معنى ذلك: عـدم اعترافها بشـرعيه الدوله الجائره التى لا يمكن الركون اليها. و ان تظـاهر الحكـام بالمحـافظه على المبـادى ء الاسـلاميه، فتلك أمور سياسـيه لا أثر لها فى نفس الواقع. و قـد اشـتد الصـراع بين المـدرسه الصادقيه و الدوله العباسـيه على ممر الأيام، حتى أنها اسـتعملت شتى الحيل و أنواع الأساليب لا خضاع تلك المدرسـه لأوامر الـدوله، و السـير فى ركابهـا، لكن كل هـذه الأساليب لـم تنجـح و كل هـذه الوسائل لم تنفع. و اسـتمر الصـراع و مدرسـه الصادق عرضه لأخطار النقمه، و هدفا لسـهام [صـفحه ٧٠] الاتهـام. و قـد رمى المنتمون اليها بالالحاد و الزنـدقه و الخروج على سلطـان الله. لكن الحق يعلو و لاـ يعلى عليه، فالامـام الصادق بقى عالى الـذكر و مبادى ء مدرسـته ما زالت حيه يعتمـدها الفقهاء المخلصون لله و الرسوله. و المذهب الشيعى ازداد انتشارا و تألقا فى الآفاق.

اخباره مع المنصور

حـدث عبدالله بن الفضل بن الربيع عن أبيه قال: حج المنصور سـنه ١٤٧ ه فقـدم المـدينه و قال للربيع: ابعث الى جعفر بن محمد من يأتينـا به متعبـا قتلنى الله ان لم أقتله. فتغافـل عنه الربيع لينساه ثم أعاد ذكره للربيع و قال: ابعث من يأتينا به متعبا فتغافل عنه ثم أرسل الى الربيع رساله قبيحه أغلظ له فيها و أمره أن يبعث من يحضر جعفرا ففعل.

فلما أتاه قال له الربيع: يا أبا عبدالله اذكر الله فانه قد أرسل اليک بما لا دافع له غيرالله. فقال جعفر: لا حول و لا قوه الا بالله، ثم ان الربيع أعلم المنصور بحضوره. فلما دخل جعفر عليه أوعده و أغلظ له و قال: اى عدو الله، اتخذک أهل العراق اماما يجبون اليک زکاه أموالهم و تلحد فى سلطانى و تبغيه الغوائل. قتلنى الله ان لم أقتلک. فقال له: يا أميرالمؤمنين ان سليمان عليه السلام أعطى فشکر، و ان أيوب عليه السلام ابتلى فصبر، و ان يوسف عليه السلام ظلم فغفر. و أنت من ذلک السنخ، فلما سمع المنصور منه قال له: الى، و عندى أباعبدالله أنت البرى ء الساحه، السليم الناحيه، القليل الغائله، جزاک الله من ذى رحم أفضل ما جزى ذوى الأرحام عن أرحامهم، ثم تناول يده فأجلسه معه على فراشه. ثم قال: على بالطيب. فأتى بالغاليه فجعل يغلق لحيه جعفر بيده حتى ترکها تقطر ثم قال: قم فى حفظ الله و کلاءته ثم قال يا ربيع: ألحق أبا عبدالله جائزته و کسوته. انصرف أبا عبدالله فى حفظه و کنفه فانصرف. قال الربيع: فلحقته فقلت له: انى قد رأيت قبلک ما لم تره و رأيت بعدک ما لا رأيته. فما قلت يا أبا عبدالله حين دخلت؟ قال جعفر قلت: [صفحه ۷۱]

دعاء لدفع الظالم

اللهم احرسنى بعينک التى لا تنام و اکنفنى برکنک الذى لا يرام و اغفر لى بقدرتک على، و لا أهلک و أنت رجائى. اللهم أنت أکبر و أجل مما أخاف و أحذر. اللهم بک أدفع فى نحره و استعيذ بک من شره. و فى روايه: و اکفنى بکنفک الذى لايرام و لا يضام [۸۳]

. [صفحه ۷۲]

الحركه الاصلاحيه الكبرى عند الامام الصادق

اشاره

الحمدلله رب العالمين الذى من علينا بمحمد صلى الله عليه و آله و سلم دون الأمم الماضيه و القرون السالفه، و الصلاه و السلام على محمد، أمين الله على وحيه، و نجبه من خلقه، وصفيه من عباده، امام الرحمه، و قادر الخير و مفتاح البركه [۸۴] و على آله الطيبين الطاهرين «أزمه الحق، و أعلام الدين. و ألسنه الصدق» [۸۵] و «شجره النبوه، و محط الرساله، و مختلف الملائكه و معادن العلم، و ينابيع الحكم» [۸۶] اذا تابعنا سيره حفيد النبى صلى الله عليه و آله و سلم الامام أبى عبدالله الصادق، ابن محمد الباقر عليه السلام تنكشف لنا خطه اصلاحيه اجتماعيه واسعه، غنيه فى مضمونها حيه فى أهدافها، غضه فى أسلوبها، خطه اصلاحيه فريده، تحمل فى صفحاتها الناصعه تجربه الامام الصادق عليه السلام الناجحه و تتضمن بين جوانبها الخير العميم و العطاء الخصب تقدمه لأجيال المسلمين، أطروحه عمل اجتماعى و ثقافى و سياسى شامله كامله تغنى المسيره و تلهم السائرين و تهدى الصالحين العاملين بها. التقيت فى هذه الخطه التغييريه الاصلاحيه مع معالم راسخه لهذه التجربه الرائده التى لا أستطيع الاحاطه بها بل سوف أعرض الجوانب العريضه البارزه لهذه الخطه المباركه. فما هى المعالم البارزه لهذه الحركه التغييريه الاصلاحيه الكبرى التى انتهجها الامام السادس جعفر بن محمد عليه السلام؟ حين نطلق مصطلح الحركه التغييريه عند [صفحه ۷۳] أى امام من أئمه أهل البيت عليهم أفضل الصلاه و أزكى السلام، فانما نعنى مجموعه الأعمال و الفعاليات التى باشرها الأئمه عليهم السلام باتجاه اصلاح مفاهيم الناس و تغيير أفكارهم و توجيه حركتهم فى ضوء قيم الاسلام العادله و مفاهيمه السليمه و أحكامه الانسانيه الصالحه. و

كان فی مقدمه هذه العملیه الاصلاحیه التی باشرها الأئمه من أجل عباده الله الواحد الأحد الفرد الصمد، رب العالمین، تأتی الخطه فی ضوء تعالیم الاسلام لاقامه الحدود و اشاعه المعروف و النهی عن المنکر و ارساء قواعد الدین الحق فی اطار الظروف الاجتماعیه و السیاسیه و الحیاتیه التی یعیشها الناس فی عصر أی امام من أئمه أهل البیت علیهم السلام. فی ضوء هذه الحقائق فان الحرکه الاصلاحیه من ناحیه المهام و الطموحات قد تتبدل من امام آخر تبعا لطبیعه المراحل و الظروف التی یمر بها کل امام، حتی أن الامام الواحد قد یمارس مجموعه من النشاطات و البرامج تختلف من حیث التنفیذ حسب الظروف السیاسیه المحیطه به و ما یستجد من أوضاع مختلفه تحیط بالامام علیه السلام. فالامام علی بن أبی طالب علیه السلام قاتل القاسطین والناکثین و المارقین بسیف قاطع لا یقبل المساومه مع الحق. و الامام الحسن علیه السلام آثر الصلح مع معاویه و الی الشام و الذی نصب نفسه خلیفه المسلمین، و لم یرفع السیف للقتال لعدم توفر الظروف المناسبه لنجاح المهمه، ولیمنع هدر دماء المسلمین رخیصه فی ظروف صعبه تمر بها الأمه آنذاک. فقال علیه السلام: «انی خشیت أن یجتث المسلمون عن وجه الأرض، فأردت أن یکون للدین داع» [۸۷] . و یقول الامام علیه السلام لسفیان بن یالیل لما قال له: السلام علیک یا مذل المؤمنین، قال: ما أذللتهم، ولکن کرهت أن أفنیهم، و استأصل شأفتهم. [۸۸] . [صفحه ۷۴] و یقول علیه السلام لأبی سعید لما سأله عن السبب الذی حمله علی الصلح قال: و لولا ما أتیت، لما ترک من شیعتنا علی وجه الأرض أحد الا قتل [۸۹] و الامام الحسین علیه السلام شهر سیف الحق

و جاهـد فی سبیـل الله لأنـه لاـ یریـد أن یعطی یزیـد المارق الفاجر الضـلیل اعطاء الـذلیل و لا یقر اقرار العبیـد. فرض علیه القتال فجاهد من أجل رفع کلمه الحق، لتبقی کلمهالله هی العلیا. و حفیده الامام جعفر بن محمد الصادق علیه السلام رفع لواء المجامله و اللین و فتـح مـدرسه لتعلیم النـاس و هـدایتهم الی الطریق الاسـلامی المسـتقیم و ارشادهم للعمل بکتاب الله العزیز و سـنه النبی الکریم صـلی الله علیه و آله و سلم لقد انتهج منهجا مرنا محکوما بظروف سیاسیه خاصه. و هذه رساله خاصه وجهها علیه السلام الی شیعته و أصحابه یقول فیها: «أما بعد، فسلوا ربکم العافیه، و علیکم بالدعه [۹۰] و الوقار، و السکینه و الحیاء، و التنزه عما تنزه عنه الصـالحون منکم، و علیکم بمجامله أهل الباطل، تحملوا الضـیم منهم، و ایاکم و مماظتهم [۹۱] دینوا فیما بینکم و بینهم، اذا أنتم جالسـتموهم و خالطتموهم و ناعمتموهم الکلام فانه لابد لکم من مجالسـتهم و مخالطتهم و منازعتهم بالتقیه التی أمرکم الله بهـا فاذا ابتلیتم بـذلک منهم فانهم سـیؤذونکم و یعرفون فی وجوهکم المنکر، و لولا ان الله یـدفعهم عنکم لسـطوا بکم، و ما فی صدورهم من العداوه و البغضاء، أکثر مما یبدون لکم، مجالسکم و مجالسهم واحده» [۹۲] .

صیانه الخط الاسلامی أمر واجب و قیمه أساسیه

ان صـیانه خط الرساله السـماویه و الخاتمه أمر شرعی واجب یحرص أئمه أهل البیت علیهم السلام کل الحرص علی التمسک به مهمـا قست الظروف فبـذلوا مهجهم الطـاهره و نفوسـهم الزکیه و أنفقوا کـل غـال و نفیس من أجل صـیانه هـذه الرساله الحقه [صفحه ۷۵] لأنهم «شجره النبوه، و بیت الرحمه و مفاتیح الحکمه، و معدن العلم، و موضع الرساله و

مختلف الملائکه و موضع سر الله» [۹۳] و من المواقف التاریخیه من أجل صیانه الرساله السماویه موقف أبی عبدالله السبط الثانی لرسول الله صلی الله علیه و آله و سلم الحسین بن علی علیه السلام یوم کربلاء عام ۶۱ ه، کان من أوضح المواقف الخالده فی تاریخ الاسلام؛ عندما خرج علی الظلم و الظالمین طالبا الاصلاح فی أمه جده رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم مع علمه و وثوقه بالمأساه التی تواجهه مع آل بیته الصالحین الطیبین. و قد أعلن الهدف من تحرکه، کما أعلن من النتائج التی ستحصل فقال علیه السلام: «و انی لم أخرج أشرا و لا بطرا و لا مفسدا و لا ظالما، و انما خرجت لطلب الاصلاح فی أمه جدی صلی الله علیه و آله و سلم أرید أن آمر بالمعروف و أنهی عن المنکر و أسیر بسیره جدی و أبی علی بن أبی طالب، فمن قبلنی بقبول الحق فالله أولی الحق و من رد علی هذا أصبر حتی یقضی الله بینی و بین القوم و هو خیر الحاکمین» [۹۴] . و قد تذکر الامام محمد الباقر علیه السلام التضحیه السیاسیه التی ضحی بها الامام الحسن علیه السلام حین أحس بالخطر علی الاسلام اذا دخل فی صراع عسکری مع معاویه بن أبی سفیان حاکم بلاد الشام فی عصره فقال علیه السلام: «والله للذی صنعه الحسن بن علی علیه السلام کان خیرا لهذه الأمه مما طلعت علیه الشمس» [۹۵] . ان عملیه صیانه الخط کهدف أعلی عند أئمه أهل البیت علیهم السلام قد جسدها الامام جعفر الصادق علیه السلام فی مواقع عدیده من حرکته الاصلاحیه العظیمه، و لم یثنه عن ذلک تحقیق مکاسب سیاسیه هامه کما کان یظن البعض. لقد

عرضت علیه الخلافه بعد سقوط الحکم الأموی، لکنه أبی أن یثنیه الوضع الاستثنائی عن الاستمرار فی ارساء قواعد الرساله الاسلامیه مقدرا ضعف قواعد المؤمنین و عدم تمکنهم من النهوض بأعباء قیاده دوله اسلامیه بکل متطلباتها الشرعیه و القانونیه. [صفحه ۷۶] و یتمیز حرص الامام الصادق علیه السلام علی تحقیق الأهداف العلیا للحرکه الاصلاحیه فی عده مواقف نذکر منها:

– أقوال لا أفعال: روی سدیر الصیرفی قال: «دخلت علی أبی عبدالله فقلت له: و الله ما یسعک القعود قال: و لم یا سدیر؟ قلت: لکثره موالیک و شیعتک و أنصارک، و الله لو کان لأمیرالمؤمنین مالک بن الشیعه و الأنصار و الموالی، ما طمع فیه تیم و لا عدی. فقال: یا سدیر و کم عسی أن تکونوا؟ قلت: مائه ألف، قال: مائه ألف، قلت نعم، و مائتی ألف... فقلت: و مائتی ألف. قلت: نعم و نصف الدنیا قال: فسکت عنی ثم أجابه بأن الأنصار الذین یریدهم لا یتواجدون علی الساحه.

رفض عرض تاریخی عرضه علیه مؤسس الدوله العباسیه

جاءه أبومسلم المروزی الخراسانی مؤسس الدوله العباسیه و عرض علیه عرضا تاریخیا یدعوه فیه للخلافه و التصدی السیاسی لقیاده نتائج الثوره علی الأمویین. و مما قاله: «انی دعوت الناس الی موالاه أهل البیت، فان رغبت فیه فأنا أبایعک، فأجابه الامام علیه السلام: «ما أنت من رجالی و لا الزمان زمانی» [۹۶] . ان هم الامام علیه السلام کسابقیه من الأئمه علیهم السلام رعایه مصلحه الاسلام العلیا بعیدا عن الاغراءات المادیه و وجاهه الحکم، و بریق الدنیا و ظواهرها.

اسالیب الأئمه فی تدعیم العملیه الاصلاحیه

سلک أئمه أهل البیت علیهم السلام أسالیب متفاوته فی تدعیم العملیه الاصلاحیه و ذلک حسب الظروف التی تعیشها الأمه من سیاسیه و ثقافیه و نفسیه و اجتماعیه و ما الیها. [صفحه ۷۷] و اذا ما رصدنا تاریخهم علیهم السلام وجدنا صورا شتی لأعمال، کانوا قد سلکوها لمواصله الحرکه الاصلاحیه فی الأمه الاسلامیه مع ثبات الهدف و الاصرار علی صیانه خط الرساله الاسلامیه. و قد یتعذر علیهم نقل أفکارهم کما تلقوها عن النبی صلی الله علیه و آله و سلم مباشره لعدم توفر ظروف مناسبه، فیعتمدون قنوات أخری یقرها العرف العام و الأوضاع السائده. فالامام محمد الباقر علیه السلام کان یروی کثیرا من المفاهیم التی یرید ابلاغها للأمه عن طریق جابر بن عبدالله الأنصاری و عبدالله بن عباس و زید بن أرقم و أبی ذر الغفاری... فهو یروی عن جابر قوله: «ان النبی صلی الله علیه و آله و سلم کان یختم بیمینه» [۹۷] و عن زید بن أرقم قوله: «کنا جلوسا بین یدی النبی صلی الله علیه و آله و سلم فقال: ألا أدلکم من اذا استرشدتموه لن تضلوا و لن تهلکوا؟ قالوا: بلی یا رسول الله، قال: هذا. و أشار الی

علی بن أبی طالب، ثم قال: و آخوه، و وازره، و صدقوه، و انصحوه، فان جبریل أخبرنی بما قلت لکم» [۹۸] . و عن عمر بن الخطاب قوله: «سمعت النبی صلی الله علیه و آله و سلم یقول: کل سبب و نسب ینقطع یوم القیامه الا سببی و نسبی» [۹۹] . و الامام الصادق علیه السلام قد انتهج المنهج ذاته الذی انتهجه أبو الامام الباقر علیه السلام فاستخدم القنوات المألوفه فی عصره. و عن جعفر بن محمد عن عبیدالله بن أبی رافع عن ابن مخرمه قال: رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم. «انما فاطمه بضعه منی یقبضنی ما یقبضها و یبسطنی ما یبسطها» [۱۰۰] . [صفحه ۷۸]

مراعاه ظروف الأمه

اهتم الأئمه المعصومون علیهم السلام بصیانه مبادی ء الرساله الاسلامیه التی اعتمدوا علیها فی تبلیغ الأمه و توجیهها و تثقیفها وفق هذه المبادی ء مراعین فی ذلک ظروفها النفسیه و الفکریه و السیاسیه فعن یعقوب السراج قال: «سألنی أبو عبدالله عن رجل، فقال: انه لا یحتمل حدیثا، فقلت: نعم، قال: فلا یغفل، فان الناس عندنا درجات منهم علی درجه، و منهم علی درجتین، و منهم علی ثلاث، و منهم علی أربع، حتی بلغ سبعا» [۱۰۱] . و قدم الامام الصادق مثلا ـ واقعیا عن أسالیب العمل الخاطئه بقوله: و سأضرب لکم مثلا تعتبرون به: کان رجل مسلم و له جار کافر یرافقه دائما، فلم یزل یزین المؤمن للکافر الاسلام حتی أسلم، فغدا علیه المؤمن فاستخرجه من منزله و ذهب به الی المسجد لیصلی معه الفجر جماعه، فلما صلی قال له: لو قعدنا نذکر الله حتی تطلع الشمس، فقعد معه، فقال له: تعلمت القرآن الی أن تزول الشمس و صمت الیوم کان أفضل،

فقعد معه وصام حتى صلى الظهر و العصر، فقال له: لو صبرت حتى تصلى المغرب و العشاء الآخر كان أفضل، فقعد معه حتى صلى المغرب و العشاء الآخره ثم نهضا، و قد بلغ مجهوده، و حمل عليه ما لا يطيق، فلما كان من الغد غدا عليه و هو يريد مثل ما صنع بالأمس، فدق عليه بابه، ثم قال له: أخرج حتى نذهب الى المسجد، فأجابه أن انصرف عنى فان هذا دين شديد لا أطيقه، فلا تخرقوا بهم، أما علمت أن اماره بنى أميه كانت بالسيف و العسف و الجور، و ان امامتنا بالرفق و التآلف و الوقار و التقيه و حسن الخلطه و الورع و الاجتهاد، فرغبوا الناس فى دينكم و فى ما أنتم فيه» [۱۰۲] . [صفحه ۷۹]

التقيه

اشاره

تبنى أئمه أهل البيت عليهم السلام التقيه لتكون لهم جنه من الأعداء و هى تمثل أوضح الظواهر فى التمسک بخط الرساله الاسلاميه رغم التغيير للأساليب و الوسائل المناسبه للظروف السياسيه و الاجتماعيه و الثقافيه المحيطه بالأمه. و التقيه، كما يقول علماء اللغه مصطلح شرعى مستل من الوقايه فقد كانت وسيله ناجحه لاخفاء النبى صلى الله عليه و آله و سلم دعوته أول الأمر حتى دعاه الله تعالى الى أن ينذر فى دعوته عشيرته الأقربين. و التقيه هى التى حملت النبى صلى الله عليه و آله و سلم على اخفاء هجرته الى المدينه المنوره. كما حملت المسلمين على عدم اظهار أمرهم فى أول المسيره الاسلاميه. و التقيه اليوم و كل يوم هى التى تفرض على جميع المؤمنين العقلاء من البشر أن يخفوا كثيرا من مشاريعهم عن الطواغيت و الجهلاء، و الامام الصادق كان أكثر الأئمه ارساء لمفهوم

التقیه لخصوصیات عصره و تعقیداته السیاسیه و الاجتماعیه و الثقافیه. فقال علیه السلام [۱۰۳] : «التقیه دینی و دین آبائی، و لا دین لمن لا تقیه له، و ان المذیع لأمرنا کالجاحد به. رحم الله امرأ اجتر موده الناس الینا فحدثهم بما یعرفون، و ترک ما ینکرون. و ما قتل المعلی بن خنیس، الا ـ من جهه افشائه لحدیثنا الصعب». فمفهوم التقیه رکن وثیق یأوی الیه المستضعفون لیقیهم من عادیات الظلم و الظالمین، و طریق نجاه یسلکها المسلحون العاملون و قد نبه علیها القرآن الکریم «لا یتخذ المؤمنون الکافرین أولیاء من دون المؤمنین و من یفعل ذلک فلیس من الله فی شی ء الا أن تتقوا منهم تقاه» [۱۰۴] .

خطط الامام الصادق فی التغییر

اشاره

ان الحرکه التغییریه الاصلاحیه التی قام بها الامام أبو عبدالله جعفر بن محمد [صفحه ۸۰] الصادق تتطلب دراسه واسعه وجهدا طویلا و لیس بمقدور هذا البحث المتواضع الاحاطه بکافه خصوصیاتها. و اننی سوف أحاول أن أقدم بین أیدی المؤمنین نماذج من هذه الخطط «الصادقه» فی التغییر و نماذج أخری من نشاطاته العلمیه فی هذا المیدان الذی کان و سیبقی منهجا اصلاحیا عظیما یحتذی. أ- من خططه و مشاریعه التی قدمها للمسیره الاسلامیه عبر الأجیال و من خلال الوصایا و المواعظ و التوجیهات، تصلح لتکون لکل المجموعات الاسلامیه عبر مراحل التاریخ المختلفه نستلهم منها الخیر و ننهل من رحیقها الخصب و النماء.

خطه عمل یدعو شیعته للتمسک بضامینها

روی زید الشحام قال أبو عبدالله علیه السلام: «اقرأ من تری أنه یطیعنی منکم و یأخذ بقولی السلام، و أوصیکم بتقوی الله عزوجل و الورع فی دینکم، و الاجتهاد لله، و صدق الحدیث، و أداء الأمانه، و طول السجود، و حسن الجوار، فبهذا جاء محمد صلی الله علیه و آله و سلم. أدوا الأمانه الی من ائتمنکم علیها برا أو فاجرا، فان رسول الله کان یأمرهم بأداء الأمانه (الخیط و المخیط) صلوا عشائرکم، و اشهدوا جنائزهم و عودوا مرضاهم، و أدوا حقوقهم، فان الرجل منکم اذا ورع فی دینه و صدق الحدیث و أدی الأمانه و حسن خلقه مع الناس قیل: هذا جعفری و یسرنی ذلک، و یدخل علی منه السرور، و قیل: هذا أدب جعفر و اذا کان غیر ذلک دخل علی بلاؤه و عاره، و قیل هذا أدب جعفر فوالله لحدثنی أبی أن الرجل یکون فی القبیله من شیعه علی علیه السلام فیکون زینها، أداهم للأمانه، و أقضاهم للحقوق، و أصدقهم للحدیث،

الیه وصایاهم و ودائعهم، تسل العشیره عنه، و یقولون: «من مثل فلان انه أدانا للأمانه، و أصدقنا للحدیث» [۱۰۵] . [صفحه ۸۱]

خطه ثانیه لتابعیه

یقول لتابعیه فی هذا البرنامج الاصلاحی: «أما بعد فاسألوا الله ربکم العافیه، و علیکم بالدعه و الوقار و السکینه، و علیکم بالحیاء و التنزه عما تنزه عنه الصالحون قبلکم، و اتقوا الله و کفوا ألسنتکم عما یکرهه الله مما نهاکم عنه الا من خیر، و ایاکم أن تذلقوا ألسنتکم بقول الزور و البهتان و الاثم و العدوان، فان ذلق الله فیما یکرهه الله و فیما ینهی عنه مراده للعبد عندالله و مقت من الله، و صم و بکم و عمی یورثه الله ایاه یوم القیامه فتصیروا کما قال الله: «صم بکم عمی فهم لا یعقلون» [۱۰۶] یعنی لا ـ ینطقون و لا یؤذن لهم فیعتذرون. و علیکم بالصمت الا فیما ینفعکم الله به من أمر آخرتکم و یؤجرکم علیه، أکثروا من أن تدعوا الله، فان الله یحب من عباده المؤمنین أن یدعوه، و قد وعد عباده المؤمنین الاستجابه، والله مصیر دعاء المؤمنین یوم القیامه عملا یزیدهم فی الجنه، فأکثروا ذکر الله ما استطعتم فی کل ساعه من ساعات اللیل و النهار، فان الله أمر بکثره الذکر له، و الله ذاکر من ذکره من المؤمنین، و اعلموا أن الله لم یذکره أحد من عباده المؤمنین الا ذکره بخیر فاعطوا الله من أنفسکم الاجتهاد فی طاعته، فان الله لا یدرک شی ء من الخیر عنده الا ـ بطاعته و اجتناب محارمه التی حرم الله فی ظاهر القرآن و باطنه قال فی کتابه و قوله الحق: «وذروا ظاهر الاثم و باطنه» [۱۰۷] . و اعلموا ان ما

أمر الله به أن تجتنبوه فقد حرمه. و لا تتبعوا أهواءكم و آراءكم فتضلوا فان أضل الناس عندالله من اتبع هواه و رأيه بغير هدى من الله، و أحسنوا الى أنفسكم ما استطعتم، فان أحسنتم احسنتم لأنفسكم و ان أسأتم فلها، و اعلموا أنه لن يؤمن عبد من عبيده حتى يرضى عن الله فيما يصنع الله اليه و صنع به على ما أحب وكره، و لن يصنع بمن صبر و رضى عن الله الا ما هو أهله، و هو خير له مما أحب وكره. [صفحه ۸۲] و عليكم بالمحافظه على الصلوات و الصلاه الوسطى و قوما لله قانتين كما أمر الله به المؤمنين فى كتابه من قبلكم. و اياكم و العظمه و الكبر، فان الكبر رداء الله فمن نازع الله رداءه قصمه الله و أذله يوم القيامه، و اياكم أن يبغى بعضكم على بعض فانها ليست من خصال الصالحين، فان من بغى صير الله بغيه على نفسه و صارت نصرهالله لمن بغى عليه، و من نصره الله غلب، و أصاب الظفر من الله، و اياكم أن يحسد بعضكم بعضا، فان الكفر أصله الحسد، و اياكم أن تعينوا على مسلم مظلوم، فيدعو لله عليكم فيستجاب له فيكم، فان أبانا رسول الله كان يقول صلى الله عليه و آله و سلم: «ان دعوه المسلم المظلوم مستجابه» و ليعن بعضكم بعضا. فان أبانا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان يقول: ان معاونه المسلم خير و أعظم أجرا من صيام شهر و اعتكافه فى المسجد الحرام». و اعلموا أن الاسلام هو التسليم، و التسليم هو الاسلام، فمن سلم فقد أسلم و من لم يسلم

فلاـ اسـلام له، و من سـره أن يبلغ الى نفسه فى الاحسـان فليطع الله، فـان من أطاع الله فقـد أبلغ الى نفسه فى الاحسان، و اياكم و معاصـى الله أن ترتكبوها، فانه من انتهک معاصى الله فركبها فقد أبلغ فى الاساءه الى نفسه، و ليس بين الاحسان و الاساءه منزله، فلأهل الاحسان عند ربهم الجنه و لأهل الاساءه عند ربهم النار، فاعملوا لطاعه الله و اجتنبوا معاصيه» [۱۰۸] و للامام الصادق عليه السـلام نشاطات تغييريه طبقها عبر مشـروع اصـلاحى عام يهـدف الى بناء الاسـلام و ارساء قواعـده من هـذه النشاطات الهامه فى الاصلاح نذكر:

مصلحه الامه الاسلاميه و رعايه شؤونها

احتلت الأـمه الاسـلاميه فى خـط الامام عليه السـلام الاصـلاحى موقعا هاما بعـد مصـلحه الاسـلام كـدين و رساله. و تتجلى هـذه الأهميه فى محاور عده منها. [صفحه ۸۳] أ- محور الحرص على المسلمين كأمه. ب- محور الحرص على رفع غائله الظلم الذى يلحق بالمسـلمين بسـبب التطبيق المنحرف للتشـريع الاسلامى. و للأمام عليه السلام مصاديق عمل كثيره فى هذا المجال على كلا المسـتويين. - قـال سـعيد بن بيان: مر بنا المفضل بن عمر و أنا و ختن لى نتشاجر فى ميراث، فوقف علينا ساعه، ثم قال لنا: تعالوا الى المنزل، فأتيناه فأصـلح بيننا بأربعمايه درهم فدفعها الينا من عنده، حتى اذا استوثق كل واحد منا صاحبه، قال المفضل: أما انها ليست من مالى، ولكن أبا عبدالله الصادق أمرنى اذا تنازع رجلان من أصـحابنا أن أصلح بينهما و أفديهما من ماله، فهذا مال أبى عبدالله» [۱۰۹] . - و عـن طـاهر بـن عيسـى، عـن جعفر بن أحمـد، عن أبى الخير، عن على بن الحسن عن العبـاس بن عـامر، عن مفضل بن قيس بن رمانه قال: «دخلت

على أبى عبـدالله عليه السـلام فشـكوت اليه بعض حـالى و سـألته الـدعاء فقـال: يـا جاريه هاتى الكيس الـذى وصـلنا به أبوجعفر فجاءت بكيس فقال: هـذا كيس فيه أربعمائه دينار، فاسـتعن به قال: قلت: والله جعلت فداك، ما أردت هذا، ولكن أردت الدعاء لى فقال لى: و لا أدع الدعاء، ولكن لا تخبر الناس بكل ما أنت فيه فتهون عليهم» [۱۱۰] . - و عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمـد، عن محمـد بن اسـماعيل، عن حنـان بن شـعيب قـال: تكارينا لأبى عبـدالله عليه السـلام قوما يعملون فى بسـتان له و كان أجلهم الى العصـر فلمـا فرغوا قـال لمعتب: اعطهم أجورهم قبل أن يخف عرقهم» [۱۱۱] . - و عـن ابن فضـال، عن ابن بكير عن بعض أصـحابه قال: [صفحه ۸۴] «كـان أبو عبـدالله ربمـا أطعمنـا الفرانى و الأـخبصه، ثم يطعم الخبز و الزيت فقيـل له: لو دبرت أمرك حتى يعتدل فقال: انما تدبير أمرنا من الله اذا وسع علينا وسـعنا و اذا قتر قترنا» [۱۱۲] . - و عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمـد عن أبيه، عن على بن وهبان، عن عمه هارون بن عيسـى قال: قال أبو عبدالله عليه السـلام لمحمد ابنه: كم فضل معك من تلك النفقه؟ قال: أربعون دينارا قال: أخرج و تصـدق بها قال: انه لم يبق معى غيرها قال: تصـدق بها فان الله عزوجل يخلفها، أما علمت أن لكل شـى ء مفتاحا؟ و مفتاح الرزق الصدقه، فتصدق بها، ففعل فما لبث أبو عبدالله الا عشـره حتى جاءه من موضـع أربعه آلاـف دينـار، فقال: «يا بنى أعطينا لله أربعين دينارا فأعطانا الله أربعه آلاف دينار» [۱۱۳] . - و قال ابن بسـطام: «كان جعفر بن

محمد يطعم حتى لا يبقى لعياله شى ء». و كان اذا صلى العشاء و ذهب من الليل شطره أخذ جرابا فيه خبز و لحم و دراهم فحمله على عنقه، ثم ذهب به الى أهل الحاجه من المدينه فقسمه فيهم و لا يعرفونه فلما مات فقدوا ذلك فعرفوه» [۱۱۴] . - و قال له رجل من أصحابه جعلت فداك بلغنى أنك تفعل فى عين زياد - اسم ضيعه - شيئا أحب أن أسمعه منك. فقال عليه السلام: «نعم، كنت آمر اذا أدركت الثمره أن يثلم فى حيطانها الثلم ليدخل الناس و يأكلوا، و كنت آمر أن يوضع عشر بنيات يقعد على كل بنيه عشره كلما أكل عشره جاء عشره كلما أكل عشره جاء عشره أخرى يلقى لكل منهم مد من الرطب، و كنت آمر لجيران الضيعه كلهم: الشيخ و العجوز و المريض و الصبى و المرأه، و من لا يقدر أن يجى ء فيكال لكل انسان مد فاذا وفيت القوام و الوكلاء أجرتهم، و أحمل الباقى الى المدينه ففرقت فى أهل البيوتات و المستحقين على قدر استحقاقهم، و حصل لى [صفحه ۸۵] بعد ذلك أربعمائه دينار، و كان غلتها أربعه آلاف دينار» [۱۱۵] .

التدريج فى عمليه التغيير

التدرج فى الدعوه للمبادى ء و فى عمليه البناء و التغيير الاجتماعى ضروره تفرضها طبيعه مهمه تلك الدعوه، و ليس هى حاجه ظرفيه تستغنى عنها الرساله اذا تغيرت تلك الظروف. و هذا الأمر يستدعى نقطتين هامتين. أ- الأولى: اعداد المخاطبين بالأفكار الجديده اعدادا نفسيا لتقبل تلك الأفكار قبل طرحها عليهم دفعه واحده. ب - نقل المخاطبين من قناعاتهم السابقه و تطور عقلياتهم فى الرساله الجديده. فاذا تحقق هذان الهدفان للرساله صار بمقدور العمليه التغييريه

فی الناس أن تسیر فی اتجاه الرساله. أما اذا أرید أن تجری عملیه رفع الناس الی مستوی الرساله دون توفیر الهدفین المذکورین فان القاء الفکره الکلیه بتفاصیلها علی الناس دون مراعاه الظروف النفسیه و الأجواء الفکریه السائده سیؤدی الی رده فعل عنیفه تفقد الرساله أهم شروط النجاح فی مهمتها. قال تعالی: «ادع الی سبیل ربک بالحکمه و الموعظه الحسنه و جادلهم بالتی هی أحسن ان ربک هو أعلم بمن ضل عن سبیله و هو أعلم بالمهتدین» [۱۱۶] «فاذا الذی بینک و بینه عداوه کأنه ولی حمیم» [۱۱۷] . و قد نجحت تجربه أهل البیت علیهم السلام فی العمل الاجتماعی و فی اعطاء ضروره التدرج فی العمل التخطیطی و التطبیقی لأنها جاءت اتماما لمسیره المصطفی صلی الله علیه و آله و سلم فی هذا السبیل و ربما کان لظروف الأئمه علیهم السلام الخاصه، و طبیعه [صفحه ۸۶] معاناتهم و الأجواء العقلیه و النفسیه و السیاسیه التی عاشوها دورا أساسا فی اثراء تجربتهم فی هذا الجانب من مسیرتهم المبارکه. نستخلص هذا المنهج الذی کرسه أهل البیت علیهم السلام فی عملهم التدریجی فی سبیل الله تعالی من خلال وصایاهم و ارشاداتهم أو خلال الممارسه العملیه التی طبقوها فی ظروف خاصه.

التدرج فی التخطیط

فعلی مستوی التخطیط یعتمد الامام الصادق فکره التدرج فی العمل الاجتماعی و التغییر الاصلاحی علی أصعده شتی. قال علیه السلام: «یا عبدالعزیز: ان الایمان عشر درجات بمنزله السلم یصعد منه مرقاه مرقاه، فلا یقولن صاحب الاثنین لصاحب الواحده لست علی شی ء حتی ینتهی الی العاشره، فلا- تسقط من هو دونک، فیسقطک من هو فوقک و اذا رأیت من هو أسفل منک بدرجه، فارفعه الیک برفق، و لا تحملن علیه ما

لا یطیق فتکسره، فان من کسر مؤمنا فعلیه جبره».

التدرج فی التطبیق

اهتم الامام علیه السلام بتنفیذ مشروع التدرج فی تطبیق العمل الاجتماعی فعمل علی تبنی الحیثیات الموجبه لتبنیه فی نظرهم علی مستوی حرکتهم، و علی مستوی حرکه المندمجین فی خطهم من المؤمنین و قد وجدت مصادیق کثیره فی مراجع و مصادر عدیده أذکر منها: قال فی وصیه لحمران بن أعین: قال علیه السلام یا حمران انظر الی من هو دونک و لا تنظر الی من هو فوقک فی المقدره، فان ذلک أقنع لک بما قسم لک، و أحری أن تستوجب الزیاده من ربک. و اعلم: ان العمل الدائم القلیل علی الیقین، أفضل عندالله من العمل الکثیر علی غیر یقین. [صفحه ۸۷] و اعلم: أن لا ورع أنفع من تجنب محارم الله، و الکف عن أذی المؤمنین و اغتیابهم، و لا عیش أهنا من حسن الخلق، و لا مال أنفع من القنوع بالیسیر المجزی، و لا جهل أضر من العجب، و یقدم لنا الامام علیه السلام نموذجا عملیا حول أهمیه مفهوم التدرج فی العمل الاصلاحی. عن یعقوب بن الضحاک، عن أبی عبدالله علیه السلام قال: «یتولونا و لا یقولون ما تقولون تبرأون منهم؟» قلت نعم، قال: فهوذا عندنا ما لیس عندکم فینبغی لنا أن نبرأ منکم، الی أن قال: فتولوهم و لا تبرأوا منهم، ان من المسلمین من له سهم، و منهم من له سهمان، و منهم من له ثلاثه أسهم و منهم من له أربعه أسهم، و منهم من له خمسه أسهم، و منهم من له سته أسهم، و منهم من له سبعه أسهم، فلیس ینبغی أن یحمل صاحب السهم علی ما علیه صاحب السهمین، و لا صاحب السهمین

على مـا عليه صـاحب الثلاثه، و لا صاحب الثلاثه على ما عليه صاحب الأربعه و لا صاحب الأربعه على ما عليه صاحب الخمسه و لاـ صاحب الخمسه على ما عليه صاحب السته و لا صاحب السـته على ما عليه صاحب السـبعه و قـدم عليه السـلام نموذجا عمليا آخر قال فيه: «ان رجلا كان له جار و كان نصرانيا فدعاه الى الاسلام» [۱۱۸] .

العموميه و الخصوصيه فى عمل الامام

تميزت أعمـال الأئمه عليهم السـلام من أجل التغيير الاسـلامى بمحورين اثنين هما: أ- عموم أعمال الأمه. ب - الأعمال الخاصه. اهتم الامام الصادق عليه السلام كغيره من الأئمه السابقين عليهم السلام بالحقل العام. تناول المستوى الفكرى للأمه بكل همومها و شـجونها، و الحـدب عليهـا، و التخفيف من الظلم و الظـالمين و مـا الى ذلـك من أمور اجتمـاعيه هامه فى ظل ظروف سياسـيه صعبه. [صفحه ۸۸] ففى الاطار الخاص اهتم الامام فى اختيار الأشـخاص القادرين على تحمل أعباء المسؤوليه، و من ثم تأهيلهم تأهيلا ناجحا روحيا و فكريا و سلوكيا لتحمل المسؤوليه فى هموم الرساله و مباشره عمليه التغيير الايجابى فى مسيره الأمه. و حول هـذه الحركه التغييريه مصـاديق جمه استخلصـناها من سـيرتهم الطـاهره. و هـذه بعض مفردات حركه الامام الصادق عليه السـلام العامه: - عن زكريا بن ابراهيم قال: «كنت نصـرانيا، فأسـلمت و حججت فـدخلت على أبى عبـدالله الصادق عليه السـلام بمنى، و النـاس حوله كأنه معلم صبيان هـذا يسأله، و هـذا يسأله» [۱۱۹] . - قـال اسـحاق بن ابراهيم: كنت عنـد أبى عبـدالله الصادق عليه السلام اذ دخل عليه رجل من خراسان فقال: يا ابن رسول الله أنا من مواليكم، و بينى و بينكم شقه بعيده و قد قل ذات يدى، و لا أقدر أن أتوجه الى

أهلى الا أن تعينونى، فنظر أبو عبدالله و قال: أما تسمعون ما يقول أخوكم؟ انما المعروف ابتداء، فأما ما أعطيت بعدما سأل انما هو مكافأه لما يذل من ماء وجهه، أفيبيت ليلته متأرقا متململا بين اليأس و الرجاء لا يدرى أن يتوجه بحاجته، فيعزم على القصد اليك، فأتاك و قلبه يحب، و فرائصه ترتعد، و قد نزل دمه فى وجهه، و بعد هذا فلا يدرى أينصرف من عندك بكابه الرد، أم بسرور النجح، فان أعطيته رأيت أنك قد وصلته و قد قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «و الذى فلق الحب، وبرأ النسمه، و بعثنى بالحق نبيا، لما يتجشم من مسألته اياك أعظم مما نال من مصروفك» قال اسحاق: فجمعوا له خمسمائه درهم و دفعوها اليه. كان عليه السلام يوجه المجتمع بتعاليمه الى جميع مهمات الحياه، و يحث الانسان على عزه النفس فيقول: ان الله فوض الى المؤمن أموره كلها و لم يفوض اليه أن يكون ذليلا. أما تسمع قول الله: «و لله العزه و لرسوله و للمؤمنين». [صفحه ۸۹]

مفردات حركه الامام الخاصه

اشاره

و أما على مستوى التنظيم الداخلى و تأهيل الأفراد، من أجل بناء جهاز الأمه الخاص فللامام عليه السلام برنامج دقيق للتنميه كميا و كيفيا. و هذه بعض النصوص على سبيل الذكر: - و قال عليه السلام: «أدوا الأمانه الى من ائتمنكم عليها برا أو فاجرا، فان رسول الله كان يأمر بأداء الخيط و المخيط، صلوا عشائركم، و اشهدوا جنائزكم و عودوا مرضاكم، و أدوا حقوقهم، فان الرجل منك اذا ورع فى دينه، و صدق الحديث، و أدى الأمانه، و حسن خلقه مع الناس قيل: هذا جعفرى و يسرنى ذلك، و يدخل على

منه السرور و قیل: هذا أدب جعفر، و اذا کان غیر ذلک دخل علی بلاؤه و عاره، و قیل هذا أدب جعفر» [۱۲۰] . - و عن علی بن الحسین علیه السلام قال:«ان أولیاء الله و أولیاء رسوله من شیعتنا من اذا قال صدق، و اذا وعد وفی، و اذا ائتمن أدی، و اذا حمل احتمل فی الحق، و اذا سئل الواجب أعطی، و اذا أمر بالحق فعل، شیعتنا من لا یعدو عمله سمعه، شیعتنا من لا یمدح لنا معیبا، و لا یواصل لنا مبغضا، و لایجالس لنا خائنا، و ان لقی مؤمنا أکرمه، و ان لقی جاهلا هجره، شیعتنا من لا یهر هریر الکلب، و لا یطمع طمع الغراب، و لا یسأل أحدا الا من اخوانه و ان مات جوعا، شیعتنا من قال بقولنا و فارق أحبته فینا، و أدنی البعداء، فی حبنا و أبعد الغرباء فی بغضنا» [۱۲۱] . - و قال ابراهیم بن مهزم: «خرجت من عند أبی عبدالله علیه السلام لیله ممسیا فأتیت منزلی بالمدینه و کانت أمی معی فوقع بینی و بینها کلام فأغلظت لها فلما أن کان من الغد صلیت الغداه و أتیت أبا عبدالله فلما دخلت علیه قال لی مبتدئا: یا أبامهزم مالک و للوالده أغلظت فی کلامها البارحه، أما علمت أن بطنها منزل قد سکنته، و أن حجرها مهد قد غمزته و ثدیها و عاء قد شربته؟ قال: قلت بلی، قال: فلا تغلظ لها» [۱۲۲] . [صفحه ۹۰] و اذا تتبعنا حرکه الأئمه علیهم السلام من الناحیه التاریخیه وجدناهم جمیعا یهتمون بالحرکتین معا، العام و الخاص. و قد کانت مساحه عمل أی امام علی صعید هذا المحور أو ذاک،

تضيق أو تتسع حسب الظروف المحيطه به و الامكانات المتاحه له.

رد الشبهات فی صفحات ناصعات

اشاره

بسبب انفتاح المسلمین علی الحضارات الوافده و الأفکار الجدیده التی کانت تهیمن علی البلاد التی فتحها المسلمون خلال القرن الأول و الثانی الهجریین کثرت الشبهات و طغت موجه الأفکار المنحرفه فی بلاد المسلمین، فنشطت حرکه التصوف و ظهر الجبر و التفویض، ونشط الزنادقه و أصحاب التشبیه و التعطیل و ما الی ذلک... و فی هذا المجال کان للامام الصادق علیه السلام و تلامذته دور مشرف فعال فی الرد علی هذه الشبهات الکاذبه و صد تلک الموجات الفکریه الشاذه، و قد شهدت الحرکه الفکریه فی عصر الامام الصادق علیه السلام ظاهره ممیزه من المناظرات و الحوارات للرد علی تخرصات المارقین و شبهات المنحرفین، أصحاب النظریات الباطله. و کان علی رأس المحاورین الامام جعفر الصادق ابن الامام محمد الباقر علیه السلام. و هذه نماذج من هذه الحوارات و المناظرات الهادیه الی الحق التی کان لها دور أساسی فی الحرکه الاصلاحیه فی عصره. ناظر علیه السلام أهل الأدیان المختلفه، و الفرق المتعدده فی شتی العلوم و مختلف المواضیع، کما ناظر المرتابین و أهل الضلال و الملحدین و الزنادقه یدعوهم فیها الی سبیل الله و توحیده، و رفض الخضوع لغیر سلطان الله و عدم الشرک به، لیخرجهم بذلک من الظلمات الی النور، و یهدیهم الی صراط مستقیم، بأسلوب نافذ قوی مراعیا فی ذلک المستوی الفکری للمخاطبین و قابلیتهم... فکان له من الحجج البوالغ ما رفع به العذر، و أزال الریب. [صفحه ۹۱]

الرد علی الزنادقه

جاء أحد الزنادقه ممن یبثون الشبهات حول الدین الی الامام الصادق و هو فی البیت الحرام، و بعد أن قابله و تبادلا حدیثا قصیرا قال له الامام علیه السلام انتظر حتی أفرغ من الطواف، ثم ائتنا نحدثک فنری ما عندک.

و لما فرغ أبو عبدالله من طوافه و صلاته، أتاه الرجل و جلس تلامذه الامام مجتمعين عنده، و منهم هشام بن الحكم. قال أبو عبدالله عليه السلام: أتعلم أن للأرض فوقا و تحتا؟. قال: نعم. قال أبو عبدالله: فهل دخلت تحتها؟ قال: لا، قال الامام عليه السلام: ما يدريك ما تحتها؟ لا أدرى الا أنى أظن أن ليس تحتها شى ء. قال الامام عليه السلام: فالظن عجز فلم لا تستيقن؟. ثم أردف الامام الصادق يقول: أفصعدت الى السماء؟ قال: لا ـ قال: أفتدرى ما فيها؟ قال: لا. قال الامام عليه السلام: عجبا لك لم تبلغ المشرق و لم تبلغ المغرب، و لم تصعد الى السماء و لم تجز هناك، فلم تعرف ما خلفهن و أنت مع ذلك جاحد بما فيهن؟. ثم قال عليه السلام: أيها الرجل، لمن لا ـ يعلم حجه على من يعلم، و لا ـ حجه للجاهل، افهم عنا فانا لا نشك فى الله أبدا، أما ترى الشمس و القمر و الليل و النهار يلجان فلا يشتبهان ويرجعان و اضطرا ليس لهما مكان الا مكانهما؟ فان كانا يقدران على أن يذهبا فلم لا يصير الليل نهارا و النهار ليلا؟ لقد اضطرا الى دوامها و الذى اضطرهما هو أعظم منهما و أكبر. ثم أخذ عليه السلام يناظره فى أمور كثيره حتى أدى به الأمر الى الاعتراف بخطئه و رجع عن مقالته، فأمر هشام بن الحكم أن يتولى توجيهه [۱۲۳] . [صفحه ۹۲] و له عليه السلام مناظرات مع ابن أبى العوجاء [۱۲۴] فى التوحيد غيره، و كان ابن أبى العوجاء و من الزنادقه المشهورين فى عصره، و قتل على الزندقه و اعترف عند قتله بدسه الأحاديث الكاذبه فى أحاديث النبى صلى الله عليه و آله و

سلم. فمن تلک المناظرات: أنه کان هو و ابن المقفع [۱۲۵] فی المسجد الحرام یلاحظان الجمع الذی کان یقوم بالطواف حول الکعبه، فقال ابن المقفع لأصحابه: لا- واحد من هؤلاء یستحق اسم الانسانیه الا هذا الشیخ الجالس (أشار الی جعفر بن محمد الصادق) أما الباقون فرعاع و بهائم، فقام ابن أبی العوجاء الی الشیخ و تحدث معه رجع و قال: ما هذا ببشر! و ان کان فی الدنیا روحانی یتجسد اذا شاء ظاهرا، و یتروح اذا شاء باطنا فهو هذا. و حینما اقترب من الامام و أصبحا منفردین قال له الامام الصادق علیه السلام: لو کان الأمر کما یقول هؤلاء (و أشار الی الجمع القائم بالطواف) و هو حق کما یقولون – نجا هؤلاء و عطبتم، أما اذا انعکس الحال و کان علی ما تقولون – و هو لیس کما تقولون – فأنتم و ایاهم سواء. فسأله ابن أبی العوجاء: رحمک الله أیها الشیخ أی شی ء نقوله نحن، و أی [صفحه ۹۳] شی ء یقولونه هم؟. فأجابه الامام جعفر علیه السلام: انی لما تقولون أن یکون کما تقولون!؟ هم یقولون بالمعاد، و الوعد و الوعید، و ان للسماء الها، و بها عمرانا، بینما تزعمون أن السماء خراب و لیس بها أحد. فقال ابن أبی العوجاء: لو کان الأمر کما تقول، فما منع الله من الظهور لجمیع خلقه و دعوتهم الی عبادته حتی لا یصبح اثنان فیهم علی خلاف. لماذا اختفی عنهم، و مع ذلک أرسل الیهم رسلا؟ لو کان قد ظهر بذاته لهم، لکان ذلک أسهل الی الاعتقاد به. فأجابه الامام جعفر علیه السلام: کیف اختفی عنک من أظهر قدرته فی نفسک أنت، و فی نمائک؟!! و کان جوابا بلیغا حتی قال ابن

أبی العوجاء لأصحابه: و ظل یحصی لی قدره الله التی فی نفسی، و التی لم أستطع رفضها حتی ظننت أن الله قد نزل بینه و بینی».

- و عن عیسی بن یونس قال: «کان ابن أبی العوجاء من تلامذه حسن البصری، فانحرف عن التوحید، فقیل له: ترکت مذهب صاحبک و دخلت فیما لا أصل له و لا حقیقه؟. قال: ان صاحبی کان مخلطا یقول طورا بالقدر و طورا بالجبر، فما أعلمه اعتقد مذهبا دام علیه، فقدم مکه متمردا، و انکارا علی من یحجه، و کان العلماء یکرهون مجالسته لخبث لسانه، و فساد ضمیره فأتی أبا عبدالله علیه السلام فجلس الیه فی جماعه من نظرائه، فقال: یا أبا عبدالله ان المجالس بالأمانات، و لا بد لکل من به سعال أن یسعل أفتأذن لی فی الکلام؟ فقال تکلم، فقال: الی کم تدوسون هذا البیدر، و تلوذون بهذا الحجر، و تعبدون هذا البیت المرفوع بالطوب و المدر و تهرولون حوله کهروله البعیر اذا نفر، ان من فکر فی هذا و قدر و علم أن هذا فعل أسسه غیر حکیم و لا ذی نظر، فقل فانک رأس هذا الأمر و سنامه، و أبوک رأسه و نظامه!. فقال أبو عبدالله علیه السلام: ان من أضله الله و أعمی قلبه، استوخم الحق و لم یستعذبه و صار الشیطان ولیه، یورده مناهل الهلکه ثم لا یصدره، و هذا بیت استعبدالله به عباده لیختبر طاعتهم فی اتیانه، و حثهم علی تعظیمه و زیارته، جعله [صفحه ۹۴] محل أنبیائه و قبله للمصلین له، فهو شعبه من رضوانه، و طریق یؤدی الی غفرانه، منصوب علی استواء الکمال، و مجتمع العظمه و الجلال، خلقه الله قبل دحوالأرض بألفی عام،

فـأحق من أطيع أمر و النهى عما زجر، هو الله المنشـى ء للأرواح و الصور. فقال ابن أبى العوجاء: ذكرت الله فأحلت على الغائب. فقال أبو عبـدالله عليه السـلام: و يلك!! كيف يكون غائبا من هو مع خلقه شاهد و اليهم أقرب من حبل الوريد، يسـمع كلامهم و يرى أشخاصـهم و يعلم أسـرارهم؟!. فقال ابن أبى العوجاء: فهو فى كل مكان، أليس اذا كان فى السماء كيف يكون فى الأرض و اذا كـان فى الأـرض كيف يكون فى السـماء؟. فقـال أبو عبـدالله عليه السـلام: انما وصـفت المخلوق الـذى اذا انتقل من مكان اشتغل به مكان، و خلا منه مكان، فلا يدرى فى المكان الذى صار اليه ما حدث فى المكان الذى كان فيه، فأما الله العظيم الشأن، الملك الديان، فلا يخلو منه مكان و لا يشتغل به مكان، و لا يكون الى مكان أقرب منه الى مكان. - و عن يونس بن ظبيان قال: «دخل رجل على أبى عبدالله عليه السـلام: قال: أرأيت الله حين عبدته؟ قال: ما كنت أعبد شـيئا سلم أره، قال: فكيف رأيته؟ قال: لم تره الأبصار بمشاهـده العيان، ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان، لا يـدرك بالحواس، و لا يقاس بالناس، معروف بغير تشبيه» [۱۲۶] . قال الزنـديق: فمن أين أثبت أنبياء أو رسـلا؟. فقال عليه السـلام: انا لما أثبتنا أن لنا خالقا صانعا متعاليا عنا و عن جميع ما خلق، و كان ذلك الصانع حكيما لم يجز أن يشاهده خلقه، و لا أن يلامسوه، و لا أن يباشـرهم و يباشـروه و يحاجهم و يحاجوه، ثبت أن له سفراء فى خلقه و عباده يدلونهم على مصالحهم و منافعهم، و ما به بقاؤهم، و فى تركه فناؤهم، فثبت الآمرون و

النـاهون عن الحكيم العليم فى خلقه، و ثبت عنـد ذلـك أن له معـبرين، [صـفحه ۹۵] و هـم أنبيـاء الله وصـفوته من خلقه، و هم حكمـاء مـؤدبين بـالحكمه، مبعوثين عنه، مشـاركين للنـاس فى أحوالهم على مشـاركتهم لهم فى الخلق و الـتركيب مؤيـدين من عندالحكيم العليم بالحكمه و الدلائل و البراهين و الشواهد: من احياء الموتى و ابراء الأكمه و الأبرص، فلاتخلو الأرض من حجه يكون معه علم يـدل على صـدق مقال الرسول و وجوب عـدالته» [۱۲۷] . سـأله الزنـديق: أخبرنى عن قول الله تعالى: «فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى و ثلاث و رباع فان خفتم ألا تعـدلوا فواحده» [۱۲۸] و قال فى آخر السوره: «و لن تسـتطيعوا أن تعدلوا بين النسـاء و لو حرصـتم فلاـ تميلوا كل الميل». قال الصادق عليه السـلام: أما قول تعالى: «فان خفتم أن لا تعـدلوا فواحـده» فانما عنى بالنفقه. و قوله تعالى: «و لن تسـتطيعوا أن تعـدلوا بين النساء و لو حرصـتم». فانما عنى بها الموده، فانه لا يقدر أحد أن يعدل بين امرأتين فى الموده» [۱۲۹] . - قـال هشـام بن الحكم: قال أبوشاكر الـديصانى: ان فى القرآن آيه هى قوه لنا. قلت: و ما هى؟ فقال: «و هو الـذى فى السـماء اله و فى الأرض اله» فلم أدر بما أجيبه، فحججت فخبرت أبا عبـدالله عليه السـلام فقال: هـذا كلام زنـديق خبيث، اذا رجعت اليه فقل له: ما اسـمك بالكوفه؟ فانه يقول فلان. و ما اسـمك بالبصـره؟ فانه يقول: فلان. فقل كذلك الله ربنا فى السـماء اله، و فى الأرض اله، و فى البحار اله، و فى كل مكان اله. قال فقـدمت أباشاكر فأخبرته فقال: هـذه نقلت من الحجاز

[۱۳۰] .. - و جاء الـديصانى هشام بن الحكم فقال له: ألك رب؟... فقال: بلى. قال: قادر؟ قال: قادر قاهر. [صـفحه ۹۶] قال: هل يقدر أن يدخل الدنيا كلها فى البيضه، لا يكبر البيضه و لا يصـغر الدنيا؟ فقال هشام: النظره. قال له: انظرتک حولا، ثم خرج عنه. فركب هشـام الى أبى عبـدالله عليه السـلام فاسـتأذن عليه فـأذن له، فقـال: يـا ابن رسول الله أتـانى عبـدالله الـديصانى بمسأله ليس المعول فيها الا على الله و عليک. فقال أبو عبـدالله عليه السـلام ماذا سألک؟ فقال: لى: كيت كيت... فقال أبو عبدالله عليه السـلام كم حواسک؟ قال: خمس. فقال أيها أصـغر؟ فقال: الناظر. (العين). قال: و كم قـدر الناظر؟ قال: مثل العدسه أو أقل منها: فقال يا هشـام: فـانظر أمامـک و فوقـک أمامک و فوقک و أخبرنى بما ترى. فقال: أرى سـماء و أرضا و دورا و قصورا و ترابا و جبالا و أنهارا... فقال أبو عبـدالله عليه السـلام: ان الذى قدر أن يدخل الذى تراه العدسه أو أقل منها قادر أن يدخل الدنيا كلها البيضه، و لاـ يصـغر الـدنيا و لاـ يكبر البيضه. فـانكب هشـام عليه يقبل يـديه و رأسه ورجليه، و قال: حسبى يا ابن رسول الله. فانصـرف الى منزله، و غدا اليه الديصانى فقال: يا هشام انى جئتک مسـلما و لـم أجئک متقاضـيا. فقال له هشام: ان كنت جئت متقاضـيا فهاک الجواب. فخرج عنه الديصانى و أخبر أن هشاما دخل على أبى عبدالله عليه السلام، فعلمنا الجواب. فمضى عبدالله الديصانى حتى أتى باب أبى عبدالله عليه السـلام فاستأذن عليه فأذن له فلما قعد قال له: يا جعفر بن محمد دلنى على معبودى. فقال له أبو عبدالله عليه السلام: ما اسمک؟. فخرج عنه و

لم يخبره باسمه. فقال له أصحابه: كيف لم تخبره باسمك؟ قال: لو كنت له: (عبدالله) كان يقول: من هذا الذى أنت له عبد؟ فقالوا له: عد اليه يدلك على معبودك و لا يسألك عن اسمك فرجع اليه و قال له: يا جعفر [صفحه ۹۷] دلنى على معبودى و لا تسألنى عن اسمى فقال له أبوعبدالله عليه السلام اجلس، و اذا غلام له صغير فى كفه بيضه يلعب بها. فقال أبو عبدالله عليه السلام: ناولنى يا غلام البيضه فناوله اياها، فقال أبو عبدالله عليه السلام يا ديصانى هذا حصن حصين مكنون، له جلد غليظ، و تحت الجلد الغليظ جلد رقيق، و تحت الجلد الرقيق ذهبه مايعه، و فضه ذائبه، فلا الذهبه المايعه تختلط بالفضه الذائبه و لا الفضه الذائبه تختلط بالذهبه المعايعه، هى على حالها لم يخرج منه مصلح فيخبر عن اصلاحها، و لا دخل فيها مفسد فيخبر عن فسادها، لا يدرى للذكر خلقت أم للأنثى تنفلق عن أمثال ألوان الطواويس، أترى له مدبرا؟. فأطرق مليا ثم قال: أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، و أن محمدا عبده و رسوله، و أنك امام و حجه من الله على خلقه، و أنا تائب مما كنت فيه [۱۳۱] . هذه بعض نماذج من مناظرات الامام الصادق مع الزنادقه و الملحدين من حمله الباطل لكن له حوارات و مناقشات مع فقهاء عصره و مفكريهم من المسلمين و هذه نماذج من هذه الحوارات على سبيل الذكر.

حواره مع النعمان بن ثابت (أبى حنيفه)

– روى عن البشير بن يحيى العامرى عن ابن أبى ليلى قال: دخلت أنا و النعمان أبوحنيفه على جعفر بن محمد، فرحب بنا و قال: يا ابن أبى ليلى من هذا الرجل؟ فقلت:

جعلت فداک من أهل الکوفه له رأی و بصیره و نفاذ. قال علیه السلام: فلعله الذی یقیس الأشیاء برأیه؟ ثم قال: یا نعمان هل تحسن أن تقیس رأسک؟ قال: لا، قال: ما أراک تحسن أن تقیس شیئا فهل عرفت الملوحه فی العینین، والمراره فی الأذنین، و البروده فی المنخرین، و العذوبه فی الفم؟ قال: لا. قال: فهل عرفت کلمه أولها کفر و آخرها ایمان؟ قال: لا. قال ابن أبی لیلی: قلت: جعلت فداک لا تدعنا فی عمیاء مما وصفت. [صفحه ۹۸] قال: نعم حدثنی أبی عن آبائه علیه السلام أن رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم قال: ان الله خلق عینی ابن آدم شحمتین فجعل فیهما الملوحه، فلولا ذلک لذابتا و لم یقع فیهما شی ء من القذی الا أذابه، و الملوحه تلفظ ما یقع فی العین من القذی، و جعل المراره فی الأذنین حجابا للدماغ و لیس من دابه تقع فی الأذن الا التمست الخروج، و لولا ذلک لوصلت الی الدماغ فأفسدته، و جعل الله البروده فی المنخرین حجابا للدماغ و لولا ذلک لسال الدماغ، و جعل العذوبه فی الفم منا من الله تعالی علی ابن آدم لیجد لذه الطعام، و الشراب. و أما کلمه أولها کفر و آخرها ایمان فقول لا اله الا الله. ثم قال علیه السلام: یا نعمان ایاک و القیاس. فان أبی حدثنی عن آبائه علیه السلام أن رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم قال: من قاس شیئا من الدین برأیه قرنه الله تبارک و تعالی مع ابلیس، فانه أول من قاس، حیث قال: خلقتنی من نار و خلقته من طین، فدعوا الرأی و القیاس فان دین الله لم یوضع علی القیاس.

و فی روایه أخری أن الصادق علیه السلام قال لأبی حنیفه، لما دخل علیه: من أنت؟ قال: أبوحنیفه. قال علیه السلام: مفتی أهل العراق؟ قال: نعم. قال: بماذا تفتیهم؟ قال: بکتاب الله، قال علیه السلام: و انک لعالم بکتاب الله، ناسخه و منسوخه، و محکمه و متشابهه؟ قال: نعم. قال: فأخبرنی عن قول الله عزوجل «و قدرنا فیها السیر سیروا فیها لیالی و أیاما آمنین» [۱۳۲] أی موضع هو؟. قال أبوحنیفه: هو ما بین مکه و المدینه، أبو عبدالله الی جلسائه، و قال: نشدتکم بالله هل تسیرون بین مکه و المدینه و لا تأمنون علی دمائکم من القتل، و علی أموالکم من السرق؟ فقالوا: اللهم نعم، فقال أبو عبدالله علیه السلام: و یحک یا أباحنیفه ان الله لا یقول الا حقا. أخبرنی عن قوله تعالی: «و من دخله کان آمنا» [۱۳۳] أی موضع هو. قال: ذلک بیت الله الحرام، [صفحه ۹۹] فالتفت أبو عبدالله الی جلسائه و قال: نشدتکم بالله هل تعلمون: ان عبدالله بن الزبیر و سعید بن جبیر دخلاه فلم یأمنا القتل؟. قالوا: اللهم نعم. فقال أبو عبدالله علیه السلام: ویحک یا أباحنیفه، ان الله لا یقول الا حقا فقال أبوحنیفه: لیس لی علم بکتاب الله، انما أنا صاحب قیاس قال أبو عبدالله: فانظر فی قیاسک ان کنت مقیسا أیما أعظم عندالله القتل أو الزنا؟ قال: بل القتل: قال علیه السلام: فکیف رضی فی القتل بشاهدین، و لم یرض فی الزنی الا بأربعه؟ ثم قال له: الصلاه أفضل أم الصیام؟. قال: بل الصلاه أفضل. قال علیه السلام: فیجب علی قیاس قولک علی الحائض قضاء ما فاتها من الصلاه فی حال حیضها دون الصیام، و قد أوجب الله تعالی علیها

قضاء الصوم دون الصـلاه. ثم قال له عليه السـلام: البول أقـذر أم المنى؟ قال: البول أقذر قال عليه السـلام: يجب على قياسک أن يجب الغسل من البول دون المنى و قـد أوجب الله تعالى الغسل من المنى دون البول. قال أبوحنيفه انما انا صاحب رأى. قال عليه السـلام: فمـا ترى فى رجـل کـان له عبـد فتزوج و زوج عبـده فى ليله واحـده فـدخلا بامرأتيهما فى ليله واحـده ثم سافرا و جعلا امرأتيهمـا فى بيت واحـد ولـدتا غلامين فسـقط البيت عليهم فقتلت المرأتين و بقى الغلامـان، أيهمـا فى رأيک المالک و أيهما المملوک؟ و أيهمـا الوارث و أيهمـا الموروث؟. قـال: انما أنا صاحب حـدود. قال عليه السـلام فما ترى فى رجل أعمى فقأ عين صحيح و أقطع قطع يد رجل، کيف يقام عليهما الحد؟ قال: انما أنا رجل عالم بمباعث الأنبياء. قال عليه السلام: فأخبرنى عن قول الله لموسى و هارون حيث بعثهما الى فرعون [صفحه ۱۰۰] «لعله يتذکر أو يخشى» [۱۳۴] . و لعل منک شک؟. قال: نعم. قال: و کذلک من الله شک اذ قال: «لعله»؟ قال أبوحنيفه: لا علم لى. قال عليه السـلام: تزعم أنک تفتى بکتاب الله و لست ممن ورثه، و تزعم أنـک صـاحب قيـاس و أول من قـاس ابليس لعنه الله و لم يبن دين الاسـلام على القيـاس، تزعم انـک صاحب رأى و کان الرأى من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم صوابا، و من دونه خطأ، لأن الله تعالى قال: «فاحکم بينهم بما أراک الله» و لم يقل ذلـک لغيره. و تزعم أنـک صـاحب حـدود، و من أنزلت عليه أولى بعلمهـا منـک، و تزعم أنـک عـالم بمبـاعث الأنبياء و لخاتم الأنبياء

أعلم بمباعثهم منک، و لولا أن يقال: دخل على ابن رسول الله فلم يسأله عن شی ء ما سألتک عن شی ء، فقس ان كنت مقيسا. قال أبوحنيفه: لا أتكلم بالرأی و القياس فی دين الله بعد هذا المجلس [۱۳۵].

مناظراته مع المعتزله

شكل أهل الاعتزال فی عصر الامام عليه السلام خطا فكريا مميزا تجاه المدارس الفكريه الأخرى فكان للامام جولات متعدده و مناقشات دقيقه نذكر منها: - جاء فی كتاب الاحتجاج عن عبدالكريم بن عتبه الهاشمی قال: «كنت عند أبی عبدالله عليه السلام بمكه اذ دخل عليه أناس من المعتزله فيهم عمرو بن عبيد و واصل بن عطاء و حفص بن سالم، و أناس من رؤسائهم، و ذلک أنه حين قتل الوليد، و اختلف أهل الشام بينهم، فتكلموا فأكثروا و خطبوا فأطالوا فقال لهم أبو عبدالله:»انكم قد أكثرتم على فأطلتم فاسندوا أمركم الى رجل منكم، فليتكم بحجتكم و ليوجز». فأسندوا أمرهم الى عمرو بن عبيد فأبلغ و أطال، فكان فيما قال: قتل أهل الشام خليفتهم، و ضرب الله بعضهم ببعض، و تشتت أمرهم، فنظرنا فوجدنا رجلا [صفحه ۱۰۱] له دين و عقل و مروه، و معدن للخلافه و هو محمد بن عبدالله بن الحسن فأردنا أن نجتمع معه فنبايعه ثم نظهر أمرنا معه، و ندعو الناس اليه، فمن بايعه كنا معه و كان منا، و من اعتزلنا كففنا عنه، و من نصب لنا جاهدناه، و نصبنا له على بغيه، و نرده الى الحق و أهله، و قد أحببنا أن نعرض ذلک عليک، فانه لا غنى بنا عن مثلک، لفضلک، و لكثره شيعتک فلما فرغ قال أبو عبدالله عليه السلام أكلكم على مثل ما قال عمرو؟. قالوا: نعم، فحمدالله و أثنى

علیه و صلی علی النبی ثم قال: انما نسخط اذا عصی الله فاذا أطیع الله رضینا أخبرنی یا عمرو لو أن الأمه قلدتک أمرها فملکته بغیر قتال و لاـ مؤونه فقیل لک: و لها من شئت من کنت تولی؟. قال: کنت أجعلها شوری بین المسلمین، قال: بین کلهم؟ قال: نعم فقال: بین فقهائهم و خیارهم؟ قال: نعم. قال: قریش و غیرهم؟ قال: العرب و العجم. قال: فأخبرنی یا عمرو أتتولی أبابکر و عمر أو تتبرأ منهما؟. قال: أتولاهما. قال: یا عمرو ان کنت رجلا تتبرأ منهما، فانه یجوز لک الخلاف علیهما، و ان کنت تتولاهما فقد خالفتهما، قد عهد عمر الی أبی بکر فبایعه و لم یشاور أحدا، ثم ردها أبوبکر علیه و لم یشاور أحدا ثم جعلها عمر شوری بین سته، فخرج منها الأنصار غیر اولئک السته من قریش، ثم أوصی الناس فیهم بشی ء ما أراک ترضی أنت و لا أصحابک قال: و ما صنع؟. قال: أمر صهیبا أن یصلی بالناس ثلاثه أیام و أن یتشاور أولئک السته لیس فیهم أحد سواهم الا ابن عمر و یشاورونه و لیس له من الأمر شی ء و أوصی من کان بحضرته من المهاجرین و الأنصار ان مضت ثلاثه أیام و لم یفرغوا و یبایعوا أحدهم أن یضرب أعناق السته جمیعا، و ان اجتمع أربعه قبل أن یمضی ثلاثه أیام و خالف اثنان أن یضرب أعناق الاثنین، أفترضون بهذا فیما تجعلون من الشوری فی المسلمین؟. قالوا: لا. [صفحه ۱۰۲] قال: یا عمرو دع ذا، أرأیت لو بایعت صاحبک هذا الذی تدعو الیه، ثم اجتمعت لکم الأمه و لم یختلف علیکم منها رجلان فأفضیتم الی المشرکین الذین لم یسلموا و

لـم يـؤدوا الجزيـه، كـان عنـدكم و عنـد صـاحبكم مـن العلم مـا تسـيرون فيهم بسـيره رسـول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم فى المشـركين فى الجزيه؟. قالوا: نعم. قال: فتصـنعون ماذا؟ قالوا: ندعوهم الى الاسـلام فان أبوا دعوناهم الى الجزيه؟ قال: فان كانوا مجوسا و أهل كتاب و عبده النيران و البهائم و ليسوا بأهل كتاب؟ قالوا: سواء. قال: فأخبرنى عن القرآن أتقرؤونه؟ قال: نعم. قال: اقرأ: «قـاتلوا الـذين لاـ يؤمنون بـالله و لاـ بـاليوم الآـخر و لا يحرمون ما حرم الله و رسوله و لا يـدينون دين الحق من الـذين أوتوا الكتـاب حتى يعطوا الجزيه عن يـد و هم صاغرون» [۱۳۶] . قـال: فاسـتثنى الله عزوجل، و اشترط من الـذين أوتوا الكتاب فهم و الذين لم يؤتوا الكتاب سواء قال: نعم. قال عليه السـلام: عمن أخذت هذا؟ قال: سمعت الناس يقولونه. قال: فدع ذا، فانهم ان أبوا الجزيه فقـاتلتهم فظهرت عليهم كيف تصـنع بالغنيمه؟ قال: أخرج الخمس و أقسم أربعه أخماس بين من قاتل عليها. قال: تقسـمه بين جميع من قاتـل عليهـا؟ قـال: نعم. قـال: فقـد خـالفت رسول الله فى فعله و فى سـيرته، و بينى و بينـك فقهـاء أهـل المـدينه و مشـيختهم، فسـلهم فـانهم لاـ يختلفون و لاـ يتنـازون فى أن رسول الله انمـا صالـح الأـعراب على أن يـدعهم فى ديـارهم و أن لا يهاجروا، على أنه ان دهمه من عدوه دهم فيسـتفزهم فيقاتل بهم، و ليس لهم من الغنيمه نصـيب، و أنت تقول بين [صفحه ۱۰۳] جميعهم، فقد خالفت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى سيرته فى المشركين. دع ذا ماذا تقول فى الصدقه؟. قال: فقرأ عليه

هـذه الآيه: «انما الصدقات للفقراء و المساكين و العاملين عليها...» [۱۳۷] الی آخرها. قال: نعم، فکیف تقسم بینهم؟ قال: أقسـمها علی ثمانیه أجزاء فأعطی کل جزء من الثمانیه جزءا. فقال علیه السـلام: ان کان صنف منهم عشره آلاف و صنف رجلا واحدا أو رجلین أو ثلاثه، جعلت لهذا الواحد مثل ما جعلت للعشره آلاف؟. قال: نعم. قال علیه السلام و ما تصنع بین صدقات أهل الحضر و أهل البوادی فتجعلهم فیها سواء؟ قال: نعم. قال علیه السلام: فخالفت رسول الله فی کل ما أتی به، کان رسول الله صلی الله علیه و آله و سـلم یقسم صدقه البوادی فی أهل البوادی، و صدقه الحضـر فی أهل الحضر، و لا یقسم بینهم بالسویه انما یقسمه قدر ما یحضـره منهم، و علی قـدر مـا یحضـره. فـان کـان فی نفسـک شـی ء مما قلت لک فان فقهاء أهل المـدینه و مشـیختهم کلهم لا یختلفون فی أن رسول الله کذا کان یصـنع. ثم أقبل علی عمر و قال: اتق الله یا عمر و أنتم أیضا الرهط فاتقوا الله، فان أبی حدثنی و کان خیر أهل الأرض و أعلمهم بکتاب الله و سـنه رسوله: أن رسول الله قال: «من ضـرب الناس بسیفه، و دعاهم الی نفسه و فی المسلمین من هو أعلم منه، فهو ضال متکلف» [۱۳۸] : [صفحه ۱۰۵]

الامام الصادق موسوعه علمیه و علوم انسانیه

اشاره

کان للأئمه الاثنی عشـر أهل بیت رسول الله، دور هام فی بناء تاریخ الاسـلام و ترسـیخ معانیه فی قلوب الناس. و من یدرس هذا التاریـخ یجـد الامـام علی بن أبی طالب علیه السـلام قوه هائله ساهمت فی رفع رایه الاسـلام علی دنیا الله، و صارعت الظالمین و الکفار و الاستکبار، و ذلک بفضل بأسه الشدید

و علمه المستنير بنورانيه الاسلام. ثم جاء بعده الامام الحسن عليه السلام فمثل دورا بارزا فى حقن دماء المسلمين، و بقاء الاسلام قوه قاهره ضد الكفار و المارقين، بما أبرمه مع معاويه بن أبى سفيان من مواثيق لم يكد تجف مدادها حتى نكث معاويه كل ما أبرمه، و حكم حكما دكتاتوريا و كسرويا. و لم يكتف بذلك حتى نصب ابنه يزيد الفاجر المارق بحد السيف حاكما على المسلمين و قد وصفه المؤرخون بأنه: ماجن سكير عربيد ظهرت هذه الخصال كلها فى أقواله و أفعاله ظلما سقى مرارته جماهير الشعب بلا شفقه و لا رحمه. و جاء دور الامام الحسين عليه السلام فوجد كتاب الله يدعوه الى الثوره على مفاسد عصره و ظلم الحكام الأمويين و انحرافهم عن الخط الاسلامى فقدم نفسه شهيدا مجاهدا ليعيد الى الاسلام نضارته الرحمانيه و للمسلمين الحياه السعيده الهانئه التى نعموا بمذاقها أيام رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. و لبى الامام الحسين عليه السلام نداء القرآن، و قدم دمه الطاهر و دماء أهله و صحبه الأبطال قربانا لله فى سبيل الاسلام [صفحه ۱۰۶] و رفع رايه الاسلام. فكانت هذه الدماء الزكيه المسلسله من دم جده رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الطاقه القويه الصلبه التى أعادت للاسلام عزته و زحزحت كابوس الظلم و العذاب عن قلوب جماهير الشعب. يروى لنا التاريخ أن عبدالملك بن مروان كان يفتح القرآن الكريم و يتلو بضع آيات منه بين الحين و الحين... و بينما هو يقلب بصره فيه يوم بشر بأنه أصبح للمسلمين حاكما.. طبق القرآن و ألقى به جانبا و قال له: هذا آخر العهد بك». و قد سرت هذه

الروح أثناء حكمه فی خلایا طبقه المترفین.. فانصرفت قلوبهم الی الدنیا و شغلوا بمباهجها و ملذاتها. ثم تسربت عدوی تلک الروح الی سواد الشعب... و بصر الامام زین العابدین الشهوات الآئمه تستحوز علی مشاعر عامه الناس، فبدأ بمعالجه الوضع عن طریق الأدعیه التی تستمد مباهجها الساحره من أنوار الذکر الحکیم، فکان لها الدور الواضح فی تحویل الناس الی التمسک بحبل الله المتین بما أشعلته فی أعصابهم من الحنین الی الله رب العالمین و ما لبثوا أن اتخذوا منها دواء ناجعا لأوجاع الظلم التی ینفثها فی أحاسیسهم الحکام المستهترون. و یأتی دور الامام الباقر علیه السلام فیری ظلام الجهل یخیم فی أرض الاسلام فوق قبته الخضراء... مما دعاه الی انشاء مدرسه فقهیه تعنی بتربیه الأجیال الصاعده علی نهج الاسلام القویم و خطه المستقیم، فتقدمت البلاد فی عهده تقدما حضاریا مبارکا لا غبار علیه. ثم جاء بعده ولده الامام الصادق علیه السلام فی عصر تکاد تطفأ فیه شمعه الحکم الأموی و تشتعل شمعه الحکم العباسی. أمعن الامام الصادق النظر فی أوضاع المجتمع الاسلامی، فدرسها دراسه وافیه من جمیع نواحیها: الثقافیه و الاقتصادیه و العمرانیه و العلمیه فرأی تخلفا اجتماعیا و حضاریا، و لا دواء له سوی العلم وحده، فهو مفتاح کل الخزائن العمرانیه و الحضاریه و الاقتصادیه، مما دفعه الی عقد العزم علی توسیع مدرسه أبیه حتی یجعل منها جامعه اسلامیه علیا تضم فی أحضانها آلاف الطلاب [صفحه ۱۰۷] و تخرج آلاف الفقهاء و المجتهدین حتی استقطبت أربعه آلاف طالب من بینهم رؤساء المذاهب الأخری [۱۳۹] . و انطلاقا من حزمه الصادق و عمله الواعی و المخلص، و فی ظل الأوضاع السیاسیه السائده حینذاک، حقق باذن الله ما کان

یصبو الیه فی مدرسته الذائعه الصیت. روی الحسن بن علی الوشا الذی جاء بعد الامام الصادق فقال: «أدرکت فی هذا المسجد، مسجد الکوفه، تسعمایه شیخ کل یقول: حدثنی: جعفر بن محمد» [۱۴۰] . أما عن الأرصده التی کانت تعطی فی جامعه الامام الصادق علیه السلام کانت متنوعه کالأرصده التی تعطی الیوم فی جامعاتنا. و هی: ۱- الفقه و التشریع. ۲- تفسیر القرآن و علومه. ۳- الفلسفه و علم الکلام فی منهج قرآنی. ۴- أصول علم الفقه. ۵- علم الأخلاق. ۶- علم الطب. ۷- علم الکیمیاء. ۸- علم الفلک. ۹- العلوم الکونیه. ۱۰- علم الأحیاء. یحدثنا عن هذه العلوم أحد علماء الأزهر الشریف، الشیخ محمد أبوزهره [صفحه ۱۰۸] فیقول: «ان الامام جعفر الصادق کان قوه فکریه فی هذا العصر، لم یکتف بالدراسات الاسلامیه، و علوم القرآن و السنه، و العقیده بل اتجه الی دراسه الکون و أسراره، ثم حلق بعقله الجبار فی سماء الأفلاک، و مدارات الشمس و القمر و النجوم، ثم علم وحدانیه الخالق من ابداع المخلوق، و من تعدد الأشکال و الألوان، و انه و ان کان قد درس الکون، و أصل الکون، و خاض مع الفلاسفه الذین کانوا یشککون الناس فی اعتقادهم، متتبعین من سبقهم من مشرکی الیونان - قد عنی عنایه کبری بدراسه النفس الانسانیه» [۱۴۱] . و قد کان لمدرسه أو جامعه الامام الصادق صدی واسع المدی، بعث الحرکه العلمیه و الثقافیه التی ساهمت فی تطویر العالم الاسلامی تطویرا خلاقا مبدعا. و قد ورد فی کتاب مختصر تاریخ العرب للسید أمیر علی الهندی وصفا حیا لذلک البعث المبارک فقال: «لا مشاحه أن انتشار العلم فی ذلک الحین قد ساعد علی فک

الفکر من عقاله، فأصبحت المناقشات الفلسفیه عامه فی کل حاضره من حواضر العالم الاسلامی، و لا یفوتنا أن نشیر الی أن الذی تزعم تلک الحرکه هو حفید علی بن أبی طالب المسمی بالامام الصادق» ثم یزید شارحا عن فکر الامام الثاقب وسعه علومه: «و هو رجل رحب أفق الفکر، بعید أغوار العقل، ملم کل الالمام بعلوم عصره» و عن الجامعه التی باتت روضه معطاء علی ألسنه العالم یقول: «ان طلاب العلم کانوا یأتونها من کل فج عمیق لکی یغنوا عقولهم من ثرواتها العلمیه.. ثم یعودوا الی بلدانهم لینشروا فیها ذلک الغنی ثقافه و مدنیه و عمرانا وحبا. و لم یکن یحضر حلقاته العلمیه أولئک الذین أصبحوا مؤسسی المذاهب [صفحه ۱۰۹] الفقهیه فحسب، بل کان یحضرها طلاب الفلسفه و المتفلسفون من الأنحاء القاصیه» [۱۴۲] . و فی منجد الأعلام یقولون: ان جامعه الامام الصادق کانت امتدادا لمدرسه أبیه الامام الباقر علیه السلام و کانت عشا ذهبیا لطلاب العلوم، و قد سعدت بما کانت تنشده من تلقیح الأذهان بسحر البهاء الثقافی... و نجحت نجاحا کبیرا فی نشر الثقافه الاسلامیه. و قالوا: من شؤون الصادق نسخ الحیاه العلمیه.. و الفاعل الحی فی تقدمها و سموها... ألا ـ و هو التألیف و التدوین. الذی کان من أهم انجازات الامام الصادق.. و کان قبله قلیل الحدوث. و لا مناص لک من أن تأخذ الدهشه بلبک حین یطلعونک علی عدد الکتب التی ألفها تلامیذه فی ذلک الزمن، و بلغ ما ألفه تلامیذه أربعمائه کتاب لأربعمائه مؤلف» [۱۴۳] . و هذا ابن حجر، الشافعی المذهب، یخبرنا عن علوم الامام الصادق و انبساطها فی العالم انبساط ضیاء الصباح، قال: «و نقل الناس عن الصادق من العلوم

ما سارت به الركبان، و انتشر صيته فی جميع البلدان» [۱۴۴] و هكذا كما ترى تجاوز الحديث عن جامعه الامام الصادق الى خارج العالم العربی و الاسلامی، فعلماء الغرب قد رووا علم الامام الصادق و عرفوا أن وجوده كان مناره للمجتمع الانسانی بأسره، بما نثر من درر علومه و حكمته على طلابه فی أفياء بستانه الأنيق فی المدينه المنوره. و المستشرق المعروف (روندلسن) يعرض علينا لوحه فيها مشهد تاريخی بارز للامام الصادق و يؤكد وجود شبه بين مدرسه الامام و بين مدرسه الفيلسوف اليونانی سقراط. قال: «و من الوصف الذی تقرؤه عن اكرام جعفر الصادق ضيوفه فی بستانه الجميل فی المدينه، و استقباله الناس على مختلف [صفحه ۱۱۰] مذاهبهم يظهر لنا أنه كانت له مدرسه شبه سقراطيه» [۱۴۵] . و فی الفصل الرابع من كتابه تحت عنوان: «المدرسه الكبرى» صدره بقول الامام الشافعی: يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله، فی القرآن أنزله كفاكم من عظيم القدر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاه له و يتابع قائلا فی هذا الفصل ص ۲۰۵ «الامام جعفر يمثل صميم الاسلام يجتمع فی نسبه النبی صلى الله عليه و آله و سلم و أبوبكر و علی... و هو امام الدين و الفقه و بحر فی العلوم الطبيعيه... و هذا البحر امام يهتدی بهديه و اجتهاده أئمه أهل السنه كافه». و يطل علينا ثانيه الشيخ محمد أبوزهره ليقدم لنا جديدا عن الامام الصادق فيقارن بين الامام الصادق و سقراط و يقول: لا جدال أن سقراط أحدث ثوره فی الفلسفه بأسلوبه و فكره... و الامام الصادق جعل من الفلسفه منهاجا فخلق ثوره على الجمود و أذهل عقول

الملحدين... ولكن، هل وقف الامام عند حدود الفلسفه؟ يزيد الشيخ أبوزهره: «و اذا كان تاريخ الفلسفه يقرر أن سقراط قد أنزل الفلسفه من السماء الى الانسان، فالامام الصادق قد درس السماء و الأرض و الانسان و شرائع الديان. و لدراسته للكون و الانسان، فهم الأخلاق الانسانيه على وجهها، و ما يقوم الانسان، و ما يهديه، و فهم أثر الدين فيه، و فهم الطبائع و الغرائز و ما يهذبها» [۱۴۶] . فالفرق واضح تماما، فسقراط وقفت ثورته عند حدود الفلسفه أما الصادق فقد تجاوز حدود الفلسفه: «التوحيد... و الاجتماع و الاقتصاد... و كثير من العلوم... فدرس الكون ثم نفذ الى أعماق الروح الانسانيه فدرسها... و هذه الدراسه يسرت له فهم أخلاق الناس و طبائعهم و سيرهم. و هذا الفهم سهل عليه أن [صفحه ۱۱۱] يهذب أخلاقهم و أمزجتهم، و يقوم طبائعهم و عاداتهم، و فى ذلك فليتنافس المتنافسون. و الحقيقه أن أفضل كلمه نستطيع وصف الامام الصادق بها هى كلمه: عبقريه. لقد كان متألقا فى أخلاقه المحمديه.. الاسلاميه.. الانسانيه، متألقا فى أصول العلوم الدينيه، و السياسيه و الاجتماعيه، و الاقتصاديه، و العلميه... و فروعها... و الامام الصادق كان يصنع العلماء و يربيهم، لأنه يمتلك عبقريتين: عبقريه علميه و عبقريه أخلاقيه. فحياته المقدسه فى كل جوانبها الروحيه و الماديه خير و حق و نور. أنى سار و كيفما اتجه و حيثما حل. كان كالماء للأرض العطشى و كالهواء المنعش للانسان و كأشعه الشمس تتغلغل فى خلايا الكون فتنعشه... و تنيره. قال الأستاذ رمضان لاوند فى ذكره مدرسه الامام الصادق عليه السلام و من خرجتهم من كبار العلماء: «كانت حياه الامام الصادق اشعاعا لا ينقطع، يصوغ به العلماء،

و یشبع به حب المعرفه، کما کانت حیاته شعاعا لا ینقطع یضوغ به الحب سخاء فی الید، وسعه فی الصدر، و نبلا فی النفس، و نقاء فی الضمیر» [۱۴۷] . و فی تاریخ الاسلام نجد مدرسته تنطق خصبا و علما و وعیا، و ما من کاتب أو باحث یبحث عن یقظه الفکر العربی – الاسلامی، الا و یشیر باصبع من نور الی جامعه الصادق التی تتدفق منها جداول فی رحاب العالم فتعلو بها قباب العمران، و تخضر منها جنات الحضارات، و تسمو بها سماء الانسانیه. ذلک السمو العلمی المتعدد الجوانب یجعل من الامام الصادق دائره معارف، یسعی لینهل من نمیر علومها کل طالب نابه من طلاب عصره، یتطلع الی التخصص فی الماده العلمیه التی یتعشقها، فحقق لهم ما أرادوا فکان منهم الفقهاء و العلماء و الأدباء و طلاب العلوم فی جمیع أنواعها مثل الفقه و الفلسفه و علم الکلام و التفسیر و الکیمیاء... یذکر أصحاب «منجد الأعلام» فیقولون: «الصادق هو نسخ الحیاه العلمیه... و الفاعل الحی فی تقدمها و سموها ألا و هو: التألیف و التدوین» [۱۴۸] . [صفحه ۱۱۲]

امام العلماء و ملهم الکیمیاء

لم یکن علم الامام الصادق کسبیا و أخذا من أفواه الرجال و مدارسهم، بل ورث العلم عن آبائه عن رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم. و فی هذا المقام یقول علیه السلام: «و الله لقد أعطینا علم الأولین و الآخرین» [۱۴۹] و کان علیه السلام یقول: ان حدیثی حدیث أبی و حدیث أبی حدیث جدی و حدیث جدی حدیث أمیرالمؤمنین علی بن أبی طالب و حدیث علی أمیرالمؤمنین حدیث رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم و حدیث رسول الله قول

الله عزوجل [۱۵۰] و الامام الصادق الـذی عاش فی کنف والده محمد الباقر نحو من ثلاثین عاما جامعه فکریه و عبقریه رحمانیه من الصـعوبه بمکان الاحاطه بها من جمیع جوانبها. و احصاء فضله وسعه علومه، و آفاق فکره ضرب من المستحیل، قال أبوالفتح الأربلی: «کثره علومه المفاضه علی قلبه من سجال التقوی، حتی صارت الأحکام التی لا تدرک عللها، و العلوم التی تقصر الأفهام عن الاحاطه بحکمها تضاف الیه و تروی عنه» [۱۵۱] . و یکفی أن نعلم أنه تمیز بالحنکه السیاسیه و الصبر علی المکاره و المداراه، فلم یعرض نفسه للخطر، و رفض الخلافه عندما عرضت علیه، و نصح ابن عمه «النفس الزکیه» و اخوته من أبناء الحسن بالابتعاد عن المعارضه المسلحه ضد العباسیین. [صفحه ۱۱۳] و لما کان بیته علیه السلام کالجامعه یموج بالحکماء و أهل العلم کما یقول: الأستاذ محمد صادق نشأت فکان علیه السلام یلقی علی طلابه مختلف العلوم، و ینمیهم بفنون المعارف، و مضافا لما یلقیه علی طلابه فی الفقه، و الحدیث و التفسیر، یخص من یجد فیه القابلیه بالعلوم الحدیثه، و لقد وجد علیه السلام فی تلمیذه جابر بن حیان استعدادا و لیاقه، فأخذ یخصه بوقت یدرسه فیه الکیمیاء، و غیرها من العلوم، حتی کتب جابر من محاضرات الامام علیه السلام مئات الرسائل، و قد طبعت خمسمائه رساله منها فی المانیا قبل ثلاثمائه سنه أو أکثر، و هی موجوده فی مکتبه الدوله ب(برلین) و مکتبه(باریس) [۱۵۲] و بلغت مؤلفات جابر ۳۹۰۰ رساله» [۱۵۳] . [صفحه ۱۱۴]

نسبه هذه العلوم الی الامام الصادق

هذه کلمات بعض أعلام الشرق و الغرب تفید نسبه هذا العلم الی الامام الصادق علیه السلام و أن جابر بن حیان أخذه عنه، و منه تعلم

الأوروبيون. نـذكر من ذلک: – قال شـمس الـدين أحمـد بن أبی بکر بن خلکان المتوفی سـنه ۶۸۱ ه بعـد أن تحدث عن الامام الصادق علیه السـلام: و کان تلمیذه أبوموسـی جابر بن حیان الصوفی الطرطوسـی [۱۵۴] قـد ألف کتابا یشـتمل علی ألف ورقه، تتضـمن رسائل جعفر الصادق [صـفحه ۱۱۵] و هی خمسـمائه رسـاله [۱۵۵] . و قـال الأـدیب بطرس البسـتانی: و لقب بالصادق لصـدقه فی مقـالته، و فضـله عظیم و له مقالات فی صـناعه الکیمیاء [۱۵۶] . – و نشـرت جریـده الثوره (البغـدادیه) تحت عنوان: العرب رواد الحضـاره الأـوروبیه قـالت: الامـام جعفر الصـادق أول مکتشف (حـامض النتریـک) والماء الملکی و قالت: ان کتب العملاـق العربی، جـابر بن حیان، تترجم الی اللاتینیه حال الحصول علیها، و ان الکیمیائی الانکلیزی، بریسـتلی، یتعلم اللغه العربیه لیطلع بنفسه علی روائع جـابر بن حیان [۱۵۷] . و قـالت أیضا: عالم کیمیائی غربی یعتبر عصـر الامام الصادق علیه السـلام مساویا لعصـر (بریسـتلی) و (لافوازییه). – و قال السـید محسن الأمین فی ترجمته لجابر: من أصـحاب الامام جعفر الصادق علیه السلام و أحد أبوابه، و من کبار الشـیعه، و ما یأتی عند تعدد مؤلفاته یدل علی أنه کان عجائب الکون و نوادر الدهر، و ان عالما یؤلف ما یزید علی ۳۹۰۰ کتاب فی علوم جلها عقلیه و فلسفیه لهو حقا من عجائب الدنیا... و مع ذلک یشتغل بصناعه الکیمیاء، حتی صار أشـهر من أن ینسب الیه هـذا العلم و ذلک یحتاج الی زمن طویل، و جهد عظیم، و یکفی فی تفرد الرجل أن کتبه بقی کثیر منها محفوظا فی مکاتب الغرب و الشرق و طبع جمله منها و ترجم جمله منها» [۱۵۸] . – و

قال هبه الدين الشهرستانی: أبوموسی جابر بن حیان الصوفی الکوفی، من أشهر مشاهیر تلامیذ الامام جعفر بن محمد الصادق علیه السلام و قد سماه الافرنج: أستاذ الحکمه، و لذکره تجلیل و تبجیل لدیهم، و اعترفوا له بأنه المکتشف لتسعه عشر عنصرا من عناصر المواد التی بلغت الیوم فوق المائه. و له مؤلفات کثیره فی [صفحه ۱۱۶] الهیئه و النجوم طبعت فی المانیا قبل مئات السنین [۱۵۹] . و قال: لقد نسبوا الی جابر کشف الرادیوم أیضا. حیث قال فی بعض رسائله: ان الذی یحب أن یری الشمس فی منتصف لیل حالک، فلیضع کذا و کذا، و الرادیوم المذکور کشفته مدام کوری البولونیه فی عصرنا و أنه یشع بنور أبیض أبدی، و یدفی ء حجرتها الی عشرین درجه من الحراره دون أن یقل وزنه أو حجمه أو حرارته. و ذکر ابن الندیم المصادر التی ترجمت لجابر و ذکرت اشتغاله بالکیمیاء قال: ۳۰۰ کتاب تقریبا فی الکیمیاء و ذکر أنه ألف ۳۰۰ کتاب فی الفلسفه و ۱۳۰۰ کتاب فی الحیل، و ۱۳۰۰ کتاب فی صنائع مجموعه و آلات الحرب و ۵۰۰ کتاب فی الطب [۱۶۰] . [صفحه ۱۱۷]

مؤلفات الامام الصادق

کان عصر الامام الصادق عصر ظلم و جور، و تشدد الحکام و بصوره خاصه علی آل البیت و من یلوذبهم ممن عرفوا الحق و عملوا به. من أجل ذلک کان الامام مضطرا لأن یعمل بالخفیه، و أن یجعل التقیه سیاسه خاصه له و لأبنائه و شیعته. فقال علیه السلام: «التقیه دینی و دین آبائی»و ذلک ابعادا للشبهه و التهم عنهم، و حفظا لحیاتهم من تهدید السلطان لهم بالسجن أو المضایقه أو الاهانه. لهذا لم یکن للامام الصادق مجلس الا الجامع یجتمع

فیه مع طلابه و مریدیه، و کان ینتهز بعبض الفرص للتصریح عن أفکاره و آرائه الدینیه أو الفلسفیه أو الاجتماعیه أو العلمیه لطلابه حتی أنه بلغ عددهم ما یقارب أربعه آلاف رجل [۱۶۱] و ذکر أسماء بعضهم من الرجال و النساء الشیخ الطوسی فی (رجاله). و تحدث الشیخ المظفری عن مؤلفاته علیه السلام فقال: ما روی عنه بلا واسطه ثمانون کتابا و بواسطه سبعون، أضف الی ذلک الأصول الأربعمائه التی ذکرها أهل الفهارس و السیر و جلها رواها تلامیذه عنه [۱۶۲] . و فی موسوعه أعیان الشیعه لائحه تضم أربعا و عشرین مؤلفا بین کتاب و رساله بالاضافه الی الوصایا و عدد، لا یحصی من الحکم و المواعظ. و هذه المؤلفات هی: ۱- رساله الی النجاشی و الی الأهواز المعروفه برساله عبدالله بن النجاشی. [صفحه ۱۱۸] ۲- رساله له علیه السلام أوردها الصدوق فی الخصال و أورد سنده الیها عن الأعمش عن جعفر بن محمد علیه السلام تتضمن شرائع الدین من الوضوء و الغسل بأقسامه، و الصلاه بأقسامها، و الزکاه زکاه المال و زکاه الفطره و الحیض و الصیام و الحج و الجهاد و النکاح و الطلاق و أحکام الصلاه علی النبی صلی الله علیه و آله و سلم و حب أولیاء الله و البراءه من أعداء الله وبر الوالدین و حکم المتقین و أحکام الأولاد و أفعال العباد و الجبر و التفویض و حکم الأطفال و عصمه الأنبیاء و الأئمه و خلق القرآن و وجوب الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر و معنی الایمان و عذاب القبر و البعث و التکبیر فی العیدین و أحکام النفساء و الأطعمه و الأشربه و الصید و الذباحه و الکبائر

و غير ذلك. ٣- كتاب توحيد المفضل [١۶٣] من تأليف الامام الصادق عليه السلام و هو أحسن كتاب فى رد الدهريه و اثبات الصانع، موجود بتمامه فى البحار، و قد طبع مستقلا على الحجر بمصر، و قد ورد فى مجله المقتبس أنه طبع فى استنبول. ۴- الاهليلجه بروايه المفضل بن عمر أيضا، و قد ورد نصه فى الجزء الثانى من كتاب البحار. و خلاصته أن المفضل كتب الى أبى عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يعلمه فيه أن أقواما ظهروا من أهل هذه المله، يمجدون الربوبيه و يجادلون على ذلك، و يسأله أن يرد على قولهم ليحتج عليهم فيما ادعوا به. فأجابه الامام عليه السلام بكتاب ذكر فيه أن طبيبا من بلاد الهند كان يجادله بالموضوع نفسه، و بينما هو يوما يدق اهليلجه، ليخلطها بداواء احتاج اليه، تعرض لانكار الربوبيه، فأدلى اليه الامام بعدد من البراهين العقليه و الدلائل الحسيه ما أفحمه، و جعله يقر الربوبيه و التوحيد. و فى هذا الحديث ذكر الامام أسماء عدد من العقاقير الطبيه، و أسماء الأماكن التى تنمو أو تجلب منها، بالاضافه الى ذكر بعض المعلومات الطبيه و الصيدليه، مما يدل على ثقافته الجيده بهذين العلمين الأصيلين. [صفحه ١١٩] ۵- كتاب مصباح الشريعه و مفتاح الحقيقه [١۶۴] : فى الأخبار و المواعظ، كتاب معروف متداول، و عن الكفعمى فى مجموع الغرائب أنه قال: و من كتاب مصباح الشريعه و مفتاح الحقيقه قال الصادق عليه السلام: و نقل منه أشياء كثيره بلفظ قال: الصادق عليه السلام. و عن الشهيد الثانى فى كشف الريبه و منيه المريد و مسكن الفؤاد و أسرار الصلاه أنه نقل جمله من أخباره ناسبا لها الى الامام الصادق عليه السلام

بصوره الجزم و قال فی آخر بعضها: هذا کله من کلام الصادق علیه السلام بشهاده الشارح الفاضل یعنی الشهید الثانی و السید بن طاووس و مولانا محسن القاشانی و غیرهم فلا وجه لتشکیک بعض المتأخرین بعد ذلک. ۶- رساله الی أصحابه رواها الکلینی فی أول روضه الکافی بسنده عن اسماعیل ابن جابر أبی عبدالله علیه السلام أنه کتب بهذه الرساله الی أصحابه و أمرهم بمدارستها و النظر فیها و تعاهدها و العمل بها و کانوا یضعونها فی مساجد بیوتهم فاذا فرغوا من الصلاه نظروا فیها. و بسنده عن اسماعیل بن مخلد السراج قال: خرجت هذه الرساله من أبی عبدالله علیه السلام الی أصحابه: بسم الله الرحمن الرحیم أما بعد فاسألوا الله ربکم العافیه. و ذکر الرساله بطولها و أورد شیئا من أولها فی تحف العقول بعنوان رسالته الی جماعه من شیعته و أصحابه. ۷- رساله الی أصحاب الرأی و القیاس. ۸- رسالته علیه السلام فی الغنائم و وجوب الخمس أوردها و ما بعدها الی السادس عشر فی تحف العقول. ۹- وصیته لعبدالله بن جندب، و قد ورد ذکرها. [صفحه ۱۲۰] ۱۰- وصیته لأبی جعفر محمد بن النعمان الأحول. ۱۱- نثر الدرر کما سماه بعض الشیعه و کله حکم بالغه الأهمیه. ۱۲- کلامه فی وصف المحبه لأهل البیت و التوحید و الایمان و الاسلام و الکفر و الفسق... ۱۳- رسالته فی وجوه معایش العباد و وجوه اخراج الأموال جوابا لسؤال من سأله: کم جهات معایش العباد التی فیها الاکتساب و التعامل بینهم و وجوه النفقات. ۱۴- رساله فی احتجاجه علی الصوفیه فیما ینهون عنه من طلب الرزق. ۱۵- کلامه فی خلق الانسان و ترکیبه. ۱۶- حکمه القصیره، موجود الکثیر منها

فی تحف العقول، و هناک کتب مرویه عن الصادق علیه السلام، جمعها أصحابه مما رووه عنه فیصح بهذا الاعتبار نسبتها الیه لأن الاملاء أحد طرق التألیف و قد ذکر منها النجاشی خمسه و یحتمل تداخلها مع بعض ما تقدم. ۱۷- نسخه ذکرها النجاشی فی ترجمه محمد بن میمون الزعفرانی فقال: عامی غیر أنه روی عن أبی عبدالله علیه السلام نسخه. ۱۸- نسخه رواها الفضیل بن عیاض عنه علیه السلام قال النجاشی فی ترجمه الفضیل: بصری، ثقه عامی روی عن أبی عبدالله علیه السلام نسخه. ۱۹- نسخه رواها عبدالله بن أبی أویس بن مالک بن أبی عامر الأصبحی حلیف بنی تمیم بن مره أبوأویس عنه علیه السلام قال النجاشی له نسخه عن جعفر بن محمد. ۲۱- نسخه یرویها ابراهیم بن رجاء الشیبانی قال النجاشی: له عن جعفر علیه السلام نسخه. ۲۲- کتاب یرویه جعفر بن بشیر البجلی قال الشیخ فی الفهرست: له کتاب ینسب الی جعفر بن محمد روایه علی بن موسی الرضا علیهم السلام. ۲۳ - تقسیم الرؤیا فی کشف الظنون؛ تقسیم الرؤیا للامام جعفر [صفحه ۱۲۱] الصادق علیه السلام. و فی الذریعه: لم نجد سندا لهذه النسبه فی غیره فالظاهر أنه من تصنیف بعض الشیعه بالروایه عنه. هذا ما عرف من الکتب التی دونت وحدها و عرفت بأسماء مخصوصه و الا فالذی جمع مما رواه عنه العلماء فی فنون شتی من فنون العلم فی الکلام و التوحید و سائر أصول الدین و الفقه و أصول الفقه و الطب و الاحتجاج و الحکم و المواعظ و الآداب و غیر ذلک لا یکاد یحیط به الحصر. ۲۴ - کتاب رسائل الامام الصادق علیه السلام الی جابر بن حیان الکوفی. و قد جاء فی موسوعه أعیان الشیعه أن

اليـافعی فی کتـابه مرآه الجنان يقول عن الامام الصادق: «و قـد ألف تلميـذه جابر بن حيان کتابا يشـتمل علی ألف ورقه يتضـمن رسائله، و هی خمسـمائه رساله». و يقول صاحب الموسوعه:«لم يذکر أحد من أصـحابنا، الذين ألفوا فی رجال الشيعه و أصحاب الأئمه، کالطوسـی و النجاشی، و من عاصرهم أو تقدمهم أو تأخر عنهم، جابر بن حيان من تلاميذ الصادق و لا من أصحابه، و لا ذکروه فی رجـال الشـيعه. و من العلماء الـذين تکلموا علی أعمال جابر و أيـدوا صـحبته للامام جعفر عليه السـلام ابن النـديم، و القفطی، و ابن خلکان، کما أن الحارث بن المحاسبی و سـهل بن عبدالله التستری ذکر الکلمه صـحيحه جابر بن حيان، و وصـفاه بأنه کان متقدما فی العلوم الطبيعيه، بارعا فی صـناعه الکيمياء. أما القول بأن جابر بن حيان کان من أعيان الشـيعه، و من أصحاب الامـام الصـادق، و قـد أيـد ذلک العلامه السـيد محسن الأمين و السـيد ابن طاووس الحسـنی الحلی، فی کتابه (فرج المهموم فی معرفه الحلال و الحرام من علم النجوم) و کذلک روی الحسـين بن بسطام بن سابور و أخوه عبدالله عن جابر بن حيان عن الامام الصـادق، أمورا کـثيره وردت فی کتابهمـا المعروف بطب الأـئمه، و الأـمثله علی ذلـک کـثيره، و کلهـا وردت فی کتـاب أعيـان الشيعه. يقول الدکتور يحيی الهاشمی فی کتابه: الامام الصادق ملهم الکيمياء، ما يلی: [صفحه ۱۲۲] «من الأمور التی تلفت النظر فی تاريخ العلوم مشکله الامام جعفر الصادق و علاقته الکبری مع جابر بن حيان، أبوالکيمياء فی العصر الوسيط، لقد تصدی لهذا الموضوع عدد من المستشرقين و الکيمائيين فلم يوفوه حقه، لأنهم عالجوا المشکله دون أن يکلفوا أنفسهم عناء البحث فی

رسائل جابر نفسها». ان أول من لفت الأنظار الى جابر بن حيان كان العالم الفرنسى برتلو (١٨٣٧ (Berthelot م ١٩٠٧ م فى كتابه: الكيمياء فى القرون الوسطى و الذى نشره عام ١٨٩٨ م و يعتقد العالم (هو لميارد) أنه برتلو لم يقدر شخصيه الصادق حق قدرها، لأنه لم يتح له أن يدرسها الدراسه الكافيه. اطلع برتلو على كثير من الخطوطات اللاتينيه التى تضم مؤلفات جابر، كما حصل على مخطوط مدون باللغه العربيه يضم مجموعه من مؤلفات جابر، موجود فى مكتبه (ليدن). أما المؤلفات فهى: كتاب الرحمه، و كتاب الملك، و كتاب الزئبق، و كتاب الأرض، و كتاب الموازين، و قد قام بترجمتها و نشرها. لكن العالم برتلو كان يجهل اللغه العربيه لذلك استعان بالأستاذ هودا (Houdas) الذى كان يتقن العربيه، و يجهل علم الكيمياء، فجاءت ترجمته مملوءه بالأخطاء. اهتم المستشرقون الباحثون فى مؤلفات جابر فقام (هولميارد) بتصنيف مؤلفات جابر الهامه فقسمها الى أربعه أقسام: أ – مجموعه المائه و الاثنى عشر كتابا. ب – مجموعه السبعين كتابا. ج – مجموعه العشر كتب فى المصححات. د – الكتب الأربعه فى الميزان. و قال: ان بعض كتب الفئه الأولى قد أهداها جابر الى البرامكه و هى بمجموعها مقتبسه من (لوح الزمرد) الذى ألفه (هرمس). و يرى (هولميارد) أن جابرا قد استقى علومه من الامام جعفر الصادق، و أن مؤلفاته فى الكيمياء أصيله. [صفحه ١٢٣] أما الزمره الثانيه: فقد اهتم بها الراهب الايطالى جيرار الكريمونى فقام بترجمتها الى اللغه اللاتينيه خلال القرن الثانى عشر. و المجموعه الثالثه: كانت تضم الانجازات الكيماويه التى نسبها جابر الى بعض الكيميائيين المزعومين أمثال: فيتاغورس و سقراط و أفلاطون و أرسطوطاليس. و

فی کتب الفئه الرابعه یوجد شرح نظریه المیزان التی جاء بها جابر. و التی تعنی حسب رأی (هولمیارد) بضروره الوصول الی توازن الطبائع فی الأعمال الکیمیائیه للحصول علی الذهب. ان أهم نظریه جاء بها جابر بنظر الکیمائیین هی أن المعادن تتشکل فی باطن الأرض من اتحاد الکبریت بالزئبق. و للحصول علی الذهب لا بد من تنقیه کل من هذین العنصرین. و یقول جابر: ان المعادن تتشکل فی باطن الأرض من اتحاد و تزاوج الکبریت بالزئبق تحت تأثیر الکواکب، فیتحولان الی جسم صلب هو أصل لجمیع المعادن. و ینشأ اختلاف معدن عن آخر من اختلاف نقاوه کل من الکبریت و الزئبق، و للحصول علی الذهب الصافی لا بد من تنقیه کل منهما. و بعد وفاه الامام جعفر علیه السلام، کان للبرامکه الفضل فی وصول جابر الی بلاط الرشید. و قد قام جابر بتقدیم کتاب (الزهره) أی النحاس له. و هو أفضل کتاب ألفه جابر فی علم الکیمیاء. و لهذا الکتاب مع کتاب الحدید و بقیه المعادن، شرح مطول ینسب الی سلمه بن أحمد المجریطی، و المدون فی مخطوط، و محفوظ فی المکتبه الوطنیه بباریس تحت رقم (۴۱۲۱) و فی هذا المخطوط شرح مفصل عن صفات و طریقه استحصال و تنقیه المعادن السبع المعروفه و هی:. الفضه - الذهب - الرصاص - القصدیر - النحاس - الحدید (و الخارصینی؟) لم یستطع الباحثون التأکد من الاسم الحقیقی للمعدن الأخیر، و الذی یعنی: الحدید الصینی، و ربما کان التوتیاء الذی نعرفه الیوم. و یقول بعض المؤلفین العرب أن هذا المعدن کان یستعمل فی صنع المرایا التی تشفی الاضطرابات [صفحه ۱۲۴] البصریه عند النظر فیها. کما یدخل فی ترکیب الأجراس

ذات الأصوات المطربه. و الأمر الهام جدا الذى شغل أذهان الكيمائيين بما فيهم جابر بن حيان، صنع الاكسير. يقول العالم هولميارد: كان الاسكندرانيون و الحرانيون يستعملون فقط موادا معدنيه يرجحونها على غيرها، ولكن جابرا أراد أن يطور الصنعه فأدخل موادا من أصل حيوانى أو نباتى فى صنع الاكسير. فمن المواد ذات الأصل الحيوانى استعمل بالدرجه الأولى المنى، و مخ العظام، و الدم، و البول و الجلد. و من النباتات، استعمل خانق الذئب، الفلفل، الخردل، الكمثرى، الشقار (Amemone). و فى عام ۱۹۸۸ م قام الباحث الفرنسى (بيير لورمى) بتحقيق مجموعه من مؤلفات جابر فى الكيمياء بلغ عددها ۱۴ كتابا، و جمعها فى كتاب واحد أطلق عليه اسم «تدبير الاكسير الأعظم». هذا الكتاب العظيم قام بطبعه و نشره المعهد العلمى الفرنسى بدمشق على نفقته الخاصه. يقول السيد لورمى فى مقدمه هذا الكتاب: «لقد جمعنا هنا عددا من الرسائل التى تعالج موضوع التدبير الأعظم، أى الحصول على الاكسير الذى من شأنه أن يحول المعادن الخسيسه الى ذهب... و تكمن أهميه هذه الرسائل فى أنها تعرض التدبير الأعظم فى مجمله و لو بطريقه مقتضبه ولكنها واضحه... و لهذه النصوص أصول مختلفه: فالنصوص ذات الرقم من (۱ الى ۱۰) تنتمى الى مجموعه السبعين كتابا و هى تتألف من سبعين فصلا كما يدل عليها اسمها. و هذه أسماء هذه المجموعه. كتاب اللاهوب، كتاب الباب، كتاب الثلاثين كلمه، كتاب المنى، كتاب الهدى، كتاب الصفات، كتاب العشره، كتاب النعوت، كتاب العهد، كتاب السبعه، كتاب تدبير الأركان و الأصول، كتاب المنفعه، كتاب هتك الأستار، كتاب الصافى. و للعلماء العرب و الأجانب شهادات رفيعه المستوى لجابر تفيد عن بعد [صفحه ۱۲۵] معرفته و عمق

خبرته فی علم الکیمیاء. من هؤلاء أذکر العلامه المعروف: (لوبون) الذی قال: «تتألف من کتب جابر موسوعه علمیه، تحتوی علی خلاصه ما وصل الیه علم الکیمیاء عند العرب فی عصره، و قد اشتملت کتبه علی بیان مرکبات کیماویه کانت مجهوله قبله، و هو أول من وصف أعمال التقطیر و التبلور و التذویب و التحویل الخ» [۱۶۵] .

السموم و دفع مضارها

اشاره

ظهرت براعه جابر بن حیان فی علمی الکیمیاء و الطب فی کتابه القیم (السموم و دفع مضارها) وصف فیه أنواعا من المواد الکیماویه، کالزاج و الزنجار و الاسفیداج، و بین طرق تنقیتها و تصنیع بعضها بالطرق الکیماویه. کما تکلم علی الزئبق بأنواعه: المقتول، و المصعد و الحی. و قال بأن الزئبق الحی غیر ضار البته، اذا أخذ عن طریق الفم، الا أن صبه فی الأذن و الأنف فتاک. و القول الأخیر ینسب الی أبی بکر الرازی، و الأولی أن یعتبر من انجازات جابر. و لقد وصف جابر وصفا واضحا التأثیر الفارماکوجی لکثیر من السموم، و صنفها بحسب تأثیرها. و هو عمل ضخم جدا لم یقم بمثله الرازی و ابن سینا. و یشیر جابر فی کتاب السموم الی بعض مؤلفاته الطبیه منها کتاب الطب الکبیر و کتاب المزاج. ولسنا بحاجه الی الحدیث عن الصله الوثیقه بین جابر التلمیذ و الامام جعفر علیه السلام الأستاذ، فکل مؤلفات جابر کانت تخضع لتوجیه و رقابه أستاذه الامام جعفر بن محمد الصادق علیه السلام. و فی سنه ۱۹۲۴ م قام المرحوم اسماعیل مظهر بتألیف کتاب «تاریخ الفکر العربی». خصص فیه فصلا کاملا للکلام عن جابر بن حیان و ناقش فیه آراء روسکا. و قد أکد کلامه المرحوم الدکتور یحیی الهاشمی فی کتابه: الامام الصادق [صفحه

۱۲۶] ملهم الكيمياء. فوافق على ما قاله و أضاف اليها بعض آرائه السديده. و لا يخفى على أحد أن العلماء يستفيدون من خبرات بعضهم لبعض، و لولا ذلك لما تطورت الحضاره الانسانيه و اكتشفت الأبحاث العلميه. يقول الدكتور بدوى: ان العالم الالمانى كراوس قد سعى الى معرفه المصادر التى استقى منها جابر نظرياته فى المعادن و الاكسير، فعرض بصوره موجزه تطور علم الكيمياء عند اليونان، ثم بحث فى صله كيمياء جابر بأدوار ذلك التطور. و اهتم بصوره خاصه بصله جابر بكيمياء ذو سيموس و بليناس، و هما من علماء القرن الأول للميلاد غالبا، و انتهى ببحثه الى أن هنالك اختلاف كبير جدا بين كيمياء جابر و كيمياء اليونان القديمه. ثم قال: «ان كيمياء جابر تمتاز بالميل الى الناحيه التجريبيه، و استبعاد الخوارق و الاتجاه العلمى العقلى. كما أن جابرا استعمل ملحا لم يعرفه قدماء اليونان و الشرقيون، و يعنى ملح النوشاد». و ما نخلص اليه أن لجابر بن حيان فضلا كبيرا فى وضع الأسس الصحيحه لعلم الكيمياء الحديث، و أن أعماله العلميه و الفلسفيه كانت تتم تحت اشراف أستاذه الامام الصادق عليه السلام الذى عاش فى عصر انفتح فيه الفكر العربى على جميع العلوم الظاهره و الخفيه، فاستفاد منها كثيرا و أفاد كثيرا. يقول محمد أبوزهره بعد أن نقل كلام السيد هبه الدين الشهرستانى فى تلمذه جابر على الامام الصادق عليه السلام: و ان ذلك الكلام يستفاد منه: اتصال جابر بالامام الصادق، و أنه كان يدارسه و يختصه بالانفراد فى الدراسه، مما يدل على أن ما كانا يتدراسانه لا يطيقه كل الناس، لدقه حقائقه، و عمق ما يحتاج اليه من تفكير. و يستفاد منه: ان للامام الصادق

علیه السلام مشارکه فکریه فی الرسائل التی کتبها جابر [۱۶۶] و أن الذی نرید أن نسجله فی هذا المقام هو: أن الامام جعفر کان قوه [صفحه ۱۲۷] فکریه فی هذا العصر لم یکتف بالدراسات الاسلامیه، و علوم القرآن و السنه، و العقیده، بل اتجه الی دارسه الکون و أسراره، ثم حلق بعلقه القوی الجبار فی سماء الأفلاک، و مدارات الشمس و القمر و النجوم، و بذلک علم مقدار نعمه الله علی عبیده من الانسان فی تسخیر ما فی الکون لهم، ثم علی وحدانیه الخالق من ابداع المخلوق، و من تعداد الأشکال و الألوان و القوی فی المحدثات» [۱۶۷] . [صفحه ۱۲۸]

الامام الصادق فی محراب العلوم الطبیعیه (الکونیه)

فی رحاب الطب

من المعلوم أن علم الطب من العلوم التی برع فیها الامام الصادق علیه السلام، ولکن من هو أستاذه فی هذا العلم؟ و أین تعلم الطب؟ و کیف؟ کل هذه الأسئله نرغب بشوق الی معرفتها. فی مجلس الحاکم العباسی أبی جعفر المنصور طبیب هندی، کان یقرأ فی کتاب طبی مفتوح بین یدیه، و المجلس غاص بأعیان الدوله و علمائها. و الامام الصادق علیه السلام جالس معهم الی یمین المنصور مصغ الیه. قال الطبیب الهندی للامام علیه السلام: یا أباجعفر أترید مما معی شیئا؟ دون سائر الحاضرین من علماء و فقهاء و سیاسیین؟. مما یبدو أن المنصور قد تآمر مع الطبیب الهندی ضد الامام الصادق لیظهره مظهر الضعیف أمام الحاضرین، و لیجعل من ذلک دعایه یشوه بها سمعته عند الفقهاء خاصه... و جماهیر الشعب عامه، و لا یخفی أن الجمیع یصفی الامام الحب و الاجلال و یستمد منه شعاعا مقدسا من جده رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم، و هذه الرؤیه الجماهیریه کانت تؤذی المنصور،

تجعله يتجرع غصصا لا يطيقها، لـذلك كان ينصب له شراكا متتابعه للكيد منه بين الحين و الحين. و يعيد الهندی السؤال بأعلی صوته: يا أباجعفر أتريد مما معی شيئا؟. فأجابه الامام بثقه مطلقه، و لا يخفی عليه ما كان يرمی من سؤاله: «لا، ما [صفحه ۱۲۹] معی خير مما معک». عظم وقع كلمات الامام علی الهندی، و هو فی مجلس عامر بأركان الدوله و علی رأسهم المنصور، المتلهف لفشل الامام. الامام الصادق يعرف نفسه قمه رفيعه فی علم الطب، فهل يكون عند الهندی ما لا يعرفه؟؟. نظر الهندی الی الصادق و قال له: و ما هو؟؟. قال الامام عليه السلام: أداوی الحار بالبارد. و البارد بالحار، و الرطب باليابس... و اليابس بالرطب... و أرد الأمر كله الی الله عزوجل و اعلم أن المعده بيت الداء، و أن الحميه هی الدواء، و أعود البدن ما اعتاد». فقال الهندی: و هل الطب الا ـ هذا؟؟. فقال الصادق: أترانی عن كتب الطب أخذت؟. قال: نعم. قال: لا والله ما أخذت لا عن الله سبحانه، فأخبرنی أنا أعلم بالطب أم أنت؟. قال الهندی: أنا. فقال الصادق: فأسألك شيئا. فألقی عليه الامام ثمانيه عشر سؤالا تتعلق كلها بجسم الانسان، من رأسه حتی أخمص قدميه، و كان جواب الهندی علی كل سؤال: لا ـ أدری. و روح الهندی و أرواح المجلس جميعا متعطشون ليرتووا من معين الامام الصادق فيقول الهندی، خفيض الجناح أمام الحاضرين: «لو أنعمت علی بمعرفه جواب هذه الأسئله». نظر الامام عليه السلام الی المنصور و كل من فی المجلس فوجدهم يتطلعون بعيون جائعه الی نعيم المعرفه.. و كأنهم رفيف فراشات ترف علی مصباح يتوقد نورا، و الامام يشرق وجهه غبطه و

نفسه تتألق بهجه و عزه؛ و يشرح ببيان وحدانيه الله.. و منطق التشريح جواب كل سؤال... و عندها تهب أنسام الحبور في المجلس اعجابا بحفيد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. أما الهندى فبهت و سكر من وهج الدهشه [صفحه ۱۳۰] و حراره الاعجاب و قال بأعلى صوته: «من أين لك هذا العلم؟؟. فأجابه عليه السلام: أخذته عن آبائى، عن أجدادى عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عن جبرائيل، عن رب العالمين جل جلاله الذى خلق الأبدان و الأرواح». و كما حدث لسحره فرعون، حين رأوا آيه عصا موسى التى عجز عنها البشر عندما ألقاها عليه السلام من يده فاذا هى حيه تسعى باذن الله. و قال السحره: آمنا برب العالمين. هكذا كان شأن الطبيب الهندى، فقد انسلخ من جلد الحاده و قال للامام: «صدقت. و أنا أشهد أن لا اله الا الله، و أن محمدا عبده و رسوله، و أنك أعلم أهل زمانه» [۱۶۸] . و ما يثير الدهشه و الاعجاب أنه لم يكن فى عصر الامام الصادق مختبرات و أشعه و أدوات طبيه للتشريح... و بالرغم من ذلك فاننا نرى فى أقواله ما يجعلنا نقول: انه عالم كبير فى علمى الطب و التشريخ... يقول الدكتور محمد يحيى الهاشمى: «ان مثل هذه الأخلاق فى الحقيقه هى التى تفتق كنوز الحكمه، و هى أساس الالهام فى التحرى العلمى، و فيها أيضا اشاره لطيفه للاعتبار بآيات الكون، و الانتقال من الظاهر الى الباطن، من المصنوع الى الصانع الحكيم، حتى أن الصادق لم يقل طريده اقرأ كتاب الفقه الفلانى، أو كتاب تفسير، أو حديث، أو غير ذلك، بل طلب منه التوغل

فی العلوم الکونیه، لأنها الأساس فی اقناع الملحدین، لکنه لم یطلب منه تعلم العلوم الطبیعیه و الوقوف عندها فی شکلها الظاهری فقط، بل الانتقال الی الباطن لیکون من المعتبرین «و اعتبروا یا أولی الأبصار» [۱۶۹] . و الامام الصادق علیه السلام یدعونا أن نطلق لعقولنا حریه التفکیر فی حواس [صفحه ۱۳۱] الانسان الخمس التی یطیب بها عیش الانسان و هی کنوز الشمس فی حیاه المخلوقات. اذا فقدت احداها حرم صاحبها من متعه کبیره جدا لا تضاهیها متعه أخری.

حاسه العین

اشاره

لنتأمل حکمه الخالق سبحانه و تعالی من جعله العینین فی تجویفین من الرأس... ثم هذا الشکل الکروی.. و القسم الأمامی منها بلوری الجسم.. و لماذا هی مؤلفه من طبقات متعدده عجیب ترکیبها؟ ثم الجفنان و الأهداب.. ثم الغدد الدمعیه.. لا سبیل للقول الا أن الله وحده وراء هذا الخلق البدیع الساحر بکماله.. و المذهل بجماله.. یقول الامام علیه السلام: «فانظروا الی هذه الحواس التی خص بها الانسان فی خلقه، و شرف بها علی غیره، کیف جعلت العینان فی الرأس کالمصابیح فوق المناره لیتمکن من مطالعه الأشیاء، و لم تجعل فی الأعضاء التی تحتها، کالیدین و الرجلین، فتعترضها الآفات، و یصیبها من مباشره العمل و الحرکه و ما یعلهما، و یؤثر فیهما، و ینقص منهما، و لا فی الأعضاء التی وسط الید، کالبطن و الظهر فیعسر تقلبها و اطلاعها نحو الأشیاء». ثم ینتقل علیه السلام بعد الکشف لنا عن سر وجود العینین فی الرأس... الی بقیه الحواس، و الأمکنه التی أنبتها الله فیها فیقول علیه السلام: فلما لم یکن لها فی شی ء من هذه الأعضاء موضع... کان الرأس أسنی المواضع للحواس.. و هو بمنزله الصومعه لها... ثم یشرح لنا وظیفه

البصر و السمع فيقول عليه السلام: «فخلق البصر ليدرك الألوان، فلو كانت الألوان، و لم يكن بصر يدركها لم يكن فيه منفعه... و خلق السمع ليدرك الأصوات، فلو كانت الأصوات، و لم يكن سمع يدركها يكن فيها أرب.. و كذلك سائر الحواس... ثم هذا يرجع متكافيا.. فلو كان بصر، و لم تكن الألوان، لماكان للبصر [صفحه ۱۳۲] معنى، و لو كان سمع و لم تكن أصوات، لم يكن للسمع موضع». ثم يظهر لنا أن لكل حاسه حقلا- خاصا بها تعمل فيه.. و أنه تعالى خلق لها من الأشياء ما يكملها به.. ثم يقدم البرهان على ذلك فيقول: «فانظر كيف قدر بعضها يلقى بعضا، فجعل لكل حاسه محسوسا تعمل فيه.. و لكل محسوس حاسه تدركه، لا تتم الحواس الا بها» ثم يقدم مثالا توضيحا على ذلك فيقول: «كمثل الضياء و الهواء، فانه لو لم يكن ضياء يظهر اللون للبصر، لم يكن البصر يدرك اللون، و لو لم يكن هواء يؤدى الصوت الى السمع، لم يكن السمع يدرك الصوت». ثم يتساءل عليه السلام: هل يمكن أن يصدر هذا الخلق المتقن، و التنسيق العجيب الا من مدبر لطيف خبير هو: الله. يقول عليه السلام: «فهل يخفى على من صح نظره، و أعمل فكره، أن مثل هذا الذى وصفت من تهيئه الحواس و المحسوسات بعضها يلقى بعضا، و تهيئه أشياء أخرى بها تتم الحواس، أن هذا لا يكون الا بعمل و تقدير من لطيف خبير». و بعد أن وضح منافع و ايجابيات الحواس فى حياه الانسان، تحدث عن الانسان حين يفقد حاسه منها. أو كلها.. قال للمفضل: «فكر يا مفضل فيمن عدم البصر من الناس، و ما يناله من الخلل فى

أموره، فانه لا يعرف موضع قديمه، و لا يبصر ما بين يديه و لا يفرق ين الألوان، و بين المنظر القبيح و الحسن، و لا يرى حفره الا هجم عليها، و لا عـدوا الا أهوى عليه بسـيف، و لا يكون له سبيل الا أن يعمل شـيئا من هـذه الصـناعات مثل: الكتابه و التجاره و الصـياغه.. حتى أنه لولا نفاذ ذهنه أصـبح كالحجر الملقى». ذلك هو الانسان اذا فقد بصـره، ترى ماذا يكون شأنه خسر سمعه؟؟. يقول الامام فى ذلك: «و كذلك من عدم السمع يختل أمور كثيره فانه يفقد روح المخاطبه و المحاوره.. و يعدم لذه الأصوات و اللحون المشجيه و المطربه، تعظم المؤونه على الناس فى محاورته حتى يتبرموا به، و لا يسمع شيئا [صفحه ۱۳۳] من أخبار الناس و أحاديثهم» يصف الامام حاله هذا الانسان المسكين المحروم من لذه السمع فيقول عليه السلام: «يكون كالغائب و هو شاهد، أو كـالميت و هو حى» و يقتصـر الامـام على ذكر هـاتين الحـاستين: البصـر و السـمع... و وظيفتهمـا... و تأثيرهما فى حياه الانسان... ايجابـا.. و سـلبا ليخلص الى الحـديث عن العقـل. انه يربط بين الحواس و العقل ربطا محكما فى حياه الفرد.. و الجماعه و التطور المدنى.. و الحضارى.. و يرى أن الانسان الذى حرم شـرف العقل يهبط الى مسـتوى الحيوان، لأن الله ميزه سـبحانه و تعالى بنعمه العقـل، «فأمـا من عـدم العقل، فانه يلحق بمنزله البهائم.. بل يجهل كثيرا مما تهتـدى اليه البهائم». من هنا كان قول الحكماء: خلق الله الملائكه من عقل بلا شـهوه، و خلق الحيوان من شـهوه بلا عقل، و خلق الانسان من كليهما فمن غلب عقله شـهوته كان خيرا من الملائكه،

و من غلبت شـهوته عقله كان شـرا من البهائم. و هـذا الانسان الـذى خلقه الله فى أحسن تقويم، كيف يصـبح اذا فقد جارحه من جـوارحه؟ سـرعان مـا تختـل حيـاته و يصـبح عـاله على غيره! فخلق الله عزوجـل الجوارح... و مـا أدراک مـا الجوارح لكـل منها اختصاص يؤدى وظيفته... و يتعاون الجميع على اصلاح الجسد، و بذلک تستمر مركبه الحياه، و يتأكد أن لها خالقا مدبرا... وزع عليهـا أدوار العمـل.. و هى تقوم بـدورها فتؤديه باتقـان لاـ نظير له. يقول الامام الصادق عليه السـلام فى هـذا المجال: «أفلا ترى كيف صـارت الجوارح و العقـل، و سـائر الخلاـل التى بها صـلاح الانسان، و التى لو فقـد منها شـى ء لعظم ما يناله من ذلک من الخلـل... يوافى خلقه على التمـام حتى لاـ يفقـد شـيئا منهـا». و يتساءل عليه السـلام: لم كان ذلک؟ و يجيب بثقه: انه خلق بعلم و تقـدير». و نحن بـدورنا نسأل: لماذا يفقـد بعض الناس جارحه من جوارحهم؟. و يسأل معنا المفضل عن السـر الـذى يفقـد بعض النـاس جـارحه من جسـدهم؟ فيقول: «فلم صـار بعض النـاس يفقـد شـيئا من هـذه الجوارح، فيسـبب له ذلـک ألما نفسـيا، و قلقا جسديا؟. [صـفحه ۱۳۴] يجيب الامـام عليه السـلام: «ذلـک للتـأديب و الموعظه لمن يحـل ذلـک به و تغيره بسـببه، كمـا يؤدب الملوک النـاس للتنكيـل و الموعظه فلا ينكر ذلک عليهم، بل يحمـد من رأيهم، و يتصوب من تـدبيرهم» هكـذا - هؤلاء تمردوا على القوانين الالهيه فرفضوا العلم به وصـبوا على الناس ضـرام الأذى أفرادا و جماعات... فاستحقوا العقاب على تمردهم.. و على أذاهم لاخوانهم فى الانسانيه... ثم ضرب مثلا على ذلک - الحاكم العادل يعاقب السارق... فيحمده الناس، و يرون

عمله عين العدل، لأنه عاقب انسانا فاسدا. يضر بأبناء المجتمع... و ينزل بهم آلاما فادحه. ولكن هل فی هذه العقوبه الزاجره خير لمن تنزلها العداله بهم؟. الحقيقه انها تأتيهم بأفضل الخير... لأنها تمحو الذنوب التی اقترفوها... و فی هذا الموقع يجيب الامام الصادق عليه السلام: «ان الذين تنزل بهم هذه البلايا من الثواب بعد الموت – ان شكروا و أنابوا ما يستصغرون معه ما ينالهم منها، حتی أنهم لو خيروا بعد الموت لاختاروا أن يردوا الی البلايا ليزدادوا من الثواب» لكن هل كل واحد منهم يستحق الثواب؟. هنالك شرط أساسی لا بد منه و هو: أن يتوبوا. توبه نصوحا، و لا يعودوا الی اقتراف الذنوب ثانيه. يقول الامام عليه السلام: «ان شكروا و تابوا» أی ان عليهم أن يعيشوا حياه قول الله جل و علا: «و انی لغفار لمن تاب، و آمن، و عمل صالحا، ثم اهتدی» [۱۷۰] ثم يكمل عليه السلام عن دقه صنع الخالق و حكمته فی:

اعضاء جسد الانسان

اشاره

جسم الانسان، المركب المتناسق العجيب فيه أعضاء كثيره منها ما هو مفرد لا ثانی له... و منها ما هو مزدوج. فاذا دققنا النظر فی هذه الأعضاء وجدناها متناسقه تناسقا تاما مما يجعلنا خاشعين أمام الباری عزوجل الذی «خلق فسوی» [۱۷۱] قال الامام الصادق عليه السلام للمفضل ليفكر و يتأمل: [صفحه ۱۳۵] «فكر يا مفضل فی الأعضاء التی خلقت أفرادا و أزواجا، و ما فی ذلك من الحكمه و التقدير، و الصواب التدبير.. فالرأس خلق فردا، و ليس للانسان من صلاح فی أن يكون له أكثر من رأس واحد، ألا تری أنه لو أضيف الی رأس الانسان رأس آخر لكان ثقلا عليه من غير حاجه اليه، لأن الحواس التی

يحتاج اليها مجتمعه فى رأس واحد، ثم كان الانسان ينقسم قسمين لو كان له رأسان، فان تكلم من أحدهما كان الآخر معطلا لا ارب فيه، و لا حاجه اليه، و ان تكلم منهما جميعا بكلام واحد كان أحدهما فضلا لا يحتاج اليه، و ان تكلم به من الآخر لم يدر السامع بأى ذلك يأخذ و أشباه هذا من الأخلاط...». و بعد أن تحدث عن الرأس... و أظهر حكمهالله فى خلقه فردا لا ثانى له... انتقل الى اليدين ليرينا بأسلوبه العلمى حكمه رب العالمين فى خلقهما زوجا. قال: «و اليدان مما خلق أزواجا، و لم يكن للانسان خير فى أن يكون له يد واحده، لأن ذلك كان يخل به فيما يحتاج الى معالجته من الأشياء». ثم يوضح لنا فيعطينا مثالا على ذلك فيقول: «ان النجار و البناء لو شلت احدى يديه، لا يستطيع أن يعالج صناعته و ان تكلف ذلك لم يحكمه، و لم يبلغ منه ما يبلغه الا اذا كانت يداه تتعاونان على العمل». ثم يتابع عليه السلام الحديث عن المخ.. و الدم.. يقول العلماء ان المخ هو: معظم الماده العصبيه فى الرأس، أو هو الدماغ كله.. و النسيج العصبى يكون المخ من النسج التى عدد خلاياها محدوده منذ الولاده.. و لا يزيد عددها بعد الولاده... و لا يمكن تعويضها.. و هى سريعه التلف، لذلك أطلق عليها العلماء اسم «النسج النبيله». و لأن هذا النسج تتولى القياده و السيطره على كل فعاليات الجسد من: ذكاء، و ذاكره، و حس، و حركه، وافراز غدد... قضت الحكمه الآلهيه أن تكون مستقره [صفحه ۱۳۶] داخل حصن منيع من العظام لايصل اليها ما يؤذيها أو يؤثر فى بنيانها الضعيف.

و قد أدرک الامام الصادق علیه السلام هذه الحقیقه العلمیه التی اکتشفها الطب بعده بمئات السنین. قال للمفضل: «فکر یا مفضل لما صار المخ رقیقا محضا فی أنابیب العظام» ثم یتساءل، و فی تساؤله تحریض للعقل أن یکتشف مما أوجزه هو - تفصیل ما عرفه علم التشریح فی العصور اللاحقه فیقول: «و هل ذلک الا لیحفظه و یصونه»؟؟. أجل یا امامی العظیم! أجل یا امامی العلیم! فأنت الامام المعصوم و لا- تقول الا- الکلام الصواب و المعلوم: ما کان ذلک الا لتصان تلک النسج النبیله من التلف... لأن فی تلفها اختلال نظام الجسد ثم الموت... ثم ینتقل بعد هذه اللمحه العابره عن المخ الی: الدم: هذا السائل الأحمر المکون من کریات حمر و کریات بیض بعدد محدود، و مصل. هو المسؤول عن نقل المواد الضاره التی تنتجها الخلایا من غاز «ثانی أوکسید الکربون» عن طریق التنفس.. و التعرق... و الجهاز البولی... و کما یؤمن نقل غاز الحیاه. «غاز الأوکسجین» لکل خلیه فی الجسم... و کل خلیه لا- تتردد فیها أنفاسه الطیبه تصیر الی الهلاک. تلک هی الوظیفه التی خص بهاالله جل و علا الدم، لکی یحفظه من «الأرواح الشریره» فهیأ له حصنا هو: الأورده و الشرایین التی یجری فیها، و قد جعلها مرنه جدا، تتحمل الضغط و لو کان شدیدا.. و تتحمل الطی و الانثناء... و کل نوع من أنواع الحرکه.. و امام العلماء، الصادق علیه السلام کان علی علم بکل هذه الحقائق العلمیه... و قد سمی «الأوعیه الدمویه الشرایین و الأورده» عروقا و هی تسمیه عربیه أصیله، یقول للمفضل: «لم صار الدم سائلا محصورا فی العروق، بمنزله الماء فی الظروف الا لتضبطه فلا یفیض»؟. ثم یتابع

حديثه عن الحلق و ما يحمل من أسرار.

الحلق

و هو كما عرفته معاجم اللغه «مساغ الطعام و الشراب الى المرى ء». [صفحه ۱۳۷] أما علم التشريح فيعرفه بأنه ملتقى طريقى: التنفس و الهضم فى نهايه الفم باتجاه الرقبه، و يقع فى مؤخره الفم... و فيه زائده لحميه هى: اللهاه، و هى تغلق مجرى التنفس أثناء بلع الطعام، و عندما يغلق مجرى التنفس ينزلق الطعام و الشراب الى الأنبوب العضلى المرن المسمى: المرى ء و منه الى المعده... فما قال الصادق عليه السلام عنه؟. قال مرشدا الى الخالق العظيم: «من جعل فى الحلق منفذين: أحدهما لمخرج الصوت و هو الحلقوم المتصل بالرئه... و الآخر منفذا للغذاء، و هو المرى ء المتصل بالمعده، الموصل الغذاء اليها ثم يتابع قوله: «و جعل على الحلقوم طبقا يمنع الطعام أن يصل الى الرئه... فيقتل...». فاذا دققنا النظر بقول الامام فى الحلق وجدناه ينطبق تماما على ما قاله العلم الحديث الذى توصل بعد أعوام طويله و تجارب كثيره الى ما أثبته الامام منذ مئات السنين. و قد سمى الامام «اللهاه» طبقا و هى تسميه فذه لأنها تنطبق على فتحه مجرى التنفس فتمنع من دخول الطعام و الشراب الى القصبه الهوائيه التى تنتهى بالرئه... انه كلام العالم الذى لم يترك هنه بسيطه الا ذكرها بأسلوب علمى سبق فيه علماء هذا العصر زمنا طويلا. و غايته بيان عظمه الخالق و ما فى مخلوقاته من دقه الصنع و الكمال و من الحلق تابع عليه السلام الى:

الأذن

يقول علماء العصر الحاضر عن الأذن و وظيفتها ما خلاصته: «عندما تلامس الاهتزازات الصوتيه الصيوان يوجهها نحو غشاء الطبله الى داخل الأذن فتهتز معه العظيمات السمعيه، و ينقل هذه الاهتزازات الى السائل البلغمى الداخلى الموجود ضمن الحلزون الذى يهتز

بـدوره، و ينبه أليـاف العصب السـمعى فينقلها هـذا الى مركز الـدماغ». و يقول الامام الصادق عليه السـلام: «لم صار داخل الأذن ملتويـا كهيئه اللولب الا [صـفحه ۱۳۸] ليطرد فيه الصوت حتى ينتهى الى السـمع، و لتكسـر حمه الريـح فلاـ ينكأ السـمع». فالعلم الحـديث وصف الاـلتواءات التى داخـل الأذن بأنها حلزونيه... و الامام الاصادق عليه السـلام وصـفها بأنها لولبيه... و أننا نرى أن وصف الامام أكثر دقه لغويه.. كما أنه ألطف وقعا فى السـمع... فما اكتشـفه العلم الحديث يصـبح شـرحا لعبارات الامام. و الامام يقول: ان الهواء هو الـذى ينقـل الصوت من خـارج الأـذن الى داخلها... و ان الحكمه من تجويف الأذن... و اللولب الـداخلى أن يرق الهواء شـيئا فشـيئا.. كيلا تتأذى أجهزه الأذن الداخليه. و عباره العلماء تقول: ان الصيوان يوجه الاهتزازات الصوتيه الى داخل الأـذن.. و من المعلوم أنه لو لاـ الهواء الـذى ينقل الصوت من الخارج الى الصـيوان.. ثم الأذن الـداخليه لما حصل اهتزاز، فعباره الامـام كما هو واضـح، تتبوأ القمه فى التعبير العلمى. يقول محمـد الحسـين المظفرى تحت عنوان الطب: «و كفى دلاله على علم الصادق بالطب، ما جاء فى توحيد المفضل من الأخبار عن الطبائع و فوائد الأدويه و ما جاء فيه من معرفه الجوارح التى تكفل بها علم التشـريح و غيرهـا ممـا له ربـط بصـحه الانسان و مزاجه» [۱۷۲] . و من أعضـاء جسم الانسـان التى لهـا الـدور الأساسـى فى تحريكه و تنميته و غذائه:

القلب

تحـدث الامـام الصـادق عليه السـلام عن القلب و ما فيه من لطف فى الصـنع فقال: «ان فى القلب ثقبا موجهه نحو الثقب التى فى الرئه تروح عن الفؤاد و لو اختلفت تلك الثقب، و تزايل بعضها

عن بعض، لما وصل الروح الى الفؤاد». فما هـذه الثقب التى يـذكرها الامام؟ و ماذا يقصد بعباراته؟. [صـفحه ۱۳۹] لنسأل أطباء العلم الحـديث اليوم فماذا يقولون؟. يشـير الثقب بوضوح الى أمور عـده: ۱- الشـريان الرئوى الـذى يخرج من البطين الأيمن فى القلب و يحمل معه الدم القاتم الذى يحمل (ثانى أوكسـيد الكربون) الى الرئتين عبر الشريانين الرئويين. ۲- ثبت علميا أن هناك أربعه ثقوب أخرى فى الأـذين الأيسر للقلب تحمـل الـدم الأـحمر القـانى الغنى «بالأوكسـجين» و القـادم من الرئتين فى الأـورده الرئويه الأربعه.. مما لا ريب فيه أن كلمات الامام عليه السـلام عن القلب و ثقوبه المتصـله به، فيه سـبق علمى بعيـد المدى للذين جاؤوا بعـده و بحثوا فى دوره الدم. و منهم العالم الالمانى (و ليم هارفى) مكتشف الدوره الدمويه. و من جسم الانسان و حواسـه الى الأغذيه و منافعها. و الغذاء مهم جدا قبل الدواء.

منافع الأغذيه

قـال المرحوم الـدكتور صبرى القبانى فى كتابه المعروف: «الغـذاء لا الـدواء». من المعروف أن حياه الانسان تسـتمر به عن طريق الطعام و الشـراب و الطعام منه الحيوانى.. و منه النباتى. و قـد حلل العلم الحديث أنواع الأطعمه فى المخابر و بين فوائدها الغذائيه ومـا تحتوى من فيتامينات A. B. C. D. و الامـام الصادق عليه السـلام له اليـد الطولى فى هـذا المجال، و أى ساحه من ساحات العلم الا و له ضـلع ضـليع فيها! تحدث عن عدد من صنوف الأغذيه النباتيه.. و أبان منافعها... و اذا قارنا بين ما اكتشفه العلماء فى مختبراتهم الحـديثه بعـد التجارب المتعـدده.. و بين أقوال الامام منـذ مئات السـنين... وجـدنا العلم الحـديث لم يقل شـيئا جديدا يختلف عما قاله الامام عليه السلام. و سوف

نورد طائفه من الأغـذيه النباتيه و أقوال الامام عليه السـلام فی قيمتها الغذائيه. [صـفحه ۱۴۰] ۱- قال عليه السـلام «كلوا الثوم فان فيه شفاء من سبعين داء» [۱۷۳] قال تعالى فی فوائده الكثيره «و اذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها و قثائها و فومها و عدسـها و بصلها...» [۱۷۴] . كما ورد ذكر الثوم فی الحديث الشريف أكثر من مره. قال صـلى الله عليه و آله و سـلم: «الثوم من طيبات الرزق» [۱۷۵] يعنی الحلال. ۲- و قال الامام الصادق عليه السـلام: كل البصل فان له ثلاث خصال: يطيب النكهه، و يشـد اللثه، و يزيد فی ماء الجماع. ۳- كل الفجل فان فيه ثلاث خصال: ورقه يطرد الرياح، و لبـه يسـهل البـول و الهضم، و أصـوله يقطع البلغم. ۴- الجزر أمـان من القولنـج، مفيـد للبواسـير، معين على الجمـاع. ۵- كلوا الباذنجان، فانه جيـد للمره السوداء، و لا يضـر الصـفراء و يذهب بالداء، و لا داء له. ۶- العنب يشـد العصب، و يذهب النصب، و يطيب النفس. ۷- كـل التفـاح فـانه يطفی ء الحراره، و يبرد الجوف، و يـذهب الحمی و قال: لو علم الناس ما فی التفاح ما داووا مرضـاهم الا به، ألا انه أسـرع شـی ء الی الفؤاد خاصه، فانه يفرحه. و قال: أطعموا محمومكم التفاح. ۸- اطعموا صبيانكم الرمان فانه أسـرع لشـبابهم. و قال: كلوا الرمان بشـحمه، فانه يدبغ المعده، و يزيد فی الذهن... و قال: من أكل سـفرجله على الريق طاب ماؤه و حسن، و أكله قوه للقلب، و ذكاء للفؤاد و هو يحسن الوجه. [صفحه ۱۴۱] ۹- و قال عن التين:

ان التین یـذهب بالبخر، و یشـد العظم، و ینبت الشـعر، و یـذهب بالداء، و لا یحتاج الی دواء. ۱۰- و قال عن التمر: فیه شـفاء من السم، و لا داء فیه، و لا غائله، و من أکل سـبع تمرات عجوه عنـد صـباحه قلت الدیدان فی بطنه». ۱۱- و قال عن الخس: «علیکم بالخس فانه یصفی الدم». ۱۲- و عن الهندباء: «نعم البقله الهندباء، فانه یزید فی الماء، و تحسن الولد». و اذا أردنا المقارنه بین ما ذکره الامام و بین ما أورده کتاب «الغـذاء لا الدواء» للدکتور صبری القبانی نجد أن کل کلمه من کلام الامام ینضح منها الفائده المرجوه لغذاء الجسد. وزد علی ذلک ما قاله الامام من نصائح طبیه صـبها فی قوالب من الحکمه لتکون نظاما مفیدا و ثابتا لحیاه صحیه سـعیده. «قال علیه السـلام: غسل الاناء، و کنس الفناء مجلبه للرزق. أقلل من شرب الماء فانه یمد کل ماء. لو اقتصد الناس فی المطعم لاسـتقامت أبـدانهم. اغسـلوا أیدیکم قبل الطعام و بعده. ان لکل ثمره سـماء فاذا أتیتم بها، فأمسوها الماء، و اغسـلوها بالماء (أی اغسـلوا جیدا). الاسـتلقاء بعد الشـبع یسمن البدن، و یمری ء الطعام و یسل الداء» [۱۷۶] . و الحقیقه ان من یـدخل الی محراب علوم الصـادق و جـامعته العظیمه یحتار [صـفحه ۱۴۲] و یقف مبهوتـا أمام هـذه الشخصـیه الکبیره و المعطاءه فی جمیع حقول المعرفه، فعن أی شـی ء یکتب؟. عن علومه... و مکارم أخلاقه... و عدالته.. و زهد... و انسانیته وحبه للناس جمیعا و صبره علی مـا لاقی من المعاناه و المؤامرات... انه عنوان کبیر لأطروحه ضـخمه فی العروبه و الاسـلام و العالم فی التشـریع، و العلوم، و الاقتصاد،

و السیاسه، و الاجتماع و الحضاره.. و أخیرا من أراد أن یکتب عن دائره المعارف الصادقیه یبدأ... و لا ینتهی. فهو أشبه بمن یغرف من البحر «بالصدفه». و فی ذکر مدرسه الصادق علیه السلام من ألطف الکلمات ما جاء فی الخلاصه للخزرجی: الامام الصادق هو سید أهل البیت فی عصره و وراث علم جده، و کان لأهل البیت نشاط علمی فلا غرابه ان اتجهت الیه الأمه الاسلامیه تنهل من ینبوع علمه، فضلا عن أنه قد اتصف بجمیع الصفات التی تؤهله لأن یتزعم الحرکه العلمیه فی عصر نهضتها، و قد: «نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الرکبان، و انتشر صیته فی جمیع البلدان، و روی حدیثه خلق لا یحصون» [۱۷۷] . و جاء عن دار التقریب المصریه کلمه لطیفه أخری عن الصادق علیه السلام: «و کانت له نواح کثیره یعذب فیها القول، و تفیض فی شأنها المعانی و الدراسات، و من أبرز ذلک: أنه علیه السلام کان بشخصیته و علمه موضع احترام و تقدیر و حب، من أهل الایمان و العلم فی عصره، لا فرق بین الخاصه و العامه، و لا بین من یتبعونه و یعتقدون بأحقیه و من یتبعون المذاهب الأخری. کلهم عرفوه اماما جلیلا، و کلهم عرفوه علما قویا، و کلهم عرفوه صادقا اذا حدث، و منصفا اذا فکر، لا هدف له الا الحق، و لذلک لقب بالصادق، و هی نفحه من نفحات جده الأعظم رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم حیث کان ملقبا بالصادق [۱۷۸] . [صفحه ۱۴۳]

و مما قاله فی خلق الانسان و ترکیبه

قال علیه السلام: عرفان المرء نفسه أن یعرفها بأربع طبائع و أربعه دعائم، و أربع أرکان. فطبائعه: الدم و المره و الریح

و البلغم. و دعـائمه: العقـل و من العقـل الفهم و الحفـظ. و أركـانه: النور و النار و الروح و الماء. و صورته طينته. فأبصـر بالنور و أكل و شـرب بالنار، و جامع و تحرك بالروح. و وجـد طعم الذوق و الطعام بالماء فهذا تأسـيس صورته. فاذا كان تأييد عقله من النور كـان عالمـا حافظـا ذكيـا فطنـا فهمـا و عرف فيمـا هو، و من أين يأتيه، و لأى شـى ء هو هاهنا، و الى ما هو صائر، باخلاص الوحدانيه و الاقرار بالطاعه و قد تجرى فيه النفس و هى حاره، و تجرى فيه و هى بارده، فاذا دخلت به الحراره أشـر [١٧٩] و بطر وارتاح و قتل و سـرق و بهج و استبشـر و فجر وزنى و بذخ. و اذا كانت بارده اهتم و حزن و استكان و ذبل [١٨٠] . و نسى، فهى العوارض التى كون منهـا الأسـقام و لاـ تكون أقـل ذلـك الا بخطيئه عملها فيوافق ذلك من مأكل أو مشـرب فى حـد ساعات لا تكون تلك الساعه موافقه لذلك المأكل و المشـرب لحال الخطيئه فيستوجب الألم من ألوان الأسقام. [صفحه ١۴۴] ثم قال عليه السـلام: انمـا صـار الانسان يأكل و يشـرب و يعمل بالنار و يسـمع و يشم بالريـح و يجـد لـذه الطعام و الشـراب بالماء و يتحرك بالروح. فلولا أن النار فى معـدته لما هضـمت الطعام و الشـراب فى جوفه، و لولا الريـح ما التهبت نار المعـده و لا خرج الثفل من بطنه و الروح جـاء و لاـ ذهب. و لو لا يرد الماء لأحرقته نار المعـده. و لولا النور ما أبصـر و لا عقل. و الطين صورته و العظام فى جسده بمنزله

الشـجر فی الأرض. و الشـعر فی جسده بمنزله الحشیش فی الأرض. و العصب فی جسده بمنزله اللحاء علی الشجر [۱۸۱] . والدم فی جسده بمنزله الماء فی الأرض. و لا قوام للأرض الا بالماء و لا قوام لجسد الانسان الا بالدم. و المخ دسم الدم و زبده. فهکذا الانسان خلق من شأن الـدنیا و شأن الآخره فاذا جمع الله بینهما صارت حیاته فی الأرض، لأنه نزل من شأن السـماء الی الدنیا، فاذا فرق الله بینهما صارت تلک الفرقه الموت یرد شأن الآخره الی السماء. فالحیاه فی الأرض، و الموت فی السماء، و ذلک أنه یفرق بین الروح و الجسـد فردت الروح و النور الی القـدره الأولی و ترک الجسـد لأنه من شأن الدنیا. و انما فسد الجسد فی الدنیا لأن الریـح تنشف المـاء فییبس الطین فیصـیر رفاتا و یبلی و یرد کل الی جوهره الأول. و تحرکت الروح بالنفس و النفس حرکتها من الریـح، فما کان من نفس المؤمن فهو نور مؤیـد بالعقل. و ما کان من نفس الکافر فهو نار مؤیـد بالنکراء، فهـذا من صوره ناره و هذا من صوره نوره. و الموت رحمه من الله لعبده المؤمن، و نقمه علی الکافر. و لله عقوبتان احداهما من الروح و الأخری تسلیط النـاس بعض علی بعض فمـا کان من قبل الروح فهو السـقم و الفقر؛ و ما کان من تسـلیط فهو النقمه و ذلک قول الله عزوجل: «و کذلک نولی بعض الظالمین بعضا بما کانوا یکسبون» [۱۸۲] من [صفحه ۱۴۵] الذنوب. فما کان من ذنب الروح فعقوبته بذلک السقم و الفقر. و ما کان من تسلیط فهو النقمه. و کل ذلک عقوبه للمؤمن فی

الـدنيا عـذاب له فيها. و أما الكافر فنقمته عليه فی الـدنيا و سوء العذاب فی الآخره. و لا يكون ذلك الا بذنب من الشـهوه. و هی المؤمن خطأ و نسـيان و أن يكون مسـتكرها و ما لا يطيق، و ما كان من الكافر فعمـد وجحود و اعتـداء و حسـد و ذلك قول الله عزوجل: «كفارا حسدا من عند أنفسهم» [۱۸۳] . [صفحه ۱۴۷]

دور الامام فی الحياه الاجتماعيه

الامام الصادق... و تطور المجتمع

اشاره

فی مجتمع المـدينه المنـوره انـداحت دوائر الحـوار لتصـبح جـدالا.. و زاد الجـدال فأصـبح خصامـا، و أكـثر النـاس يتجـادلون و يختصـمون فيثيرون بينهم نزاعـا حـارا بشأن الحلال و الحرام فی العلوم و الأعمال و الصـناعات و أنواعها، فأی الأعمال حلال... و أيهـا حرام؟ و أيهـا يقر الشـرع حليته...و أيها يحرمه؟. و الامام ينقل اليه كل ما يـدور بين الناس فی أسـمارهم و مطارح أعمالهم. فماذا تراه يفعل؟ لقـد كان ثوره حيه تزخر بالنشاط لبناء مجتمع صالـح على القواعـد التی رفعها رسول الله صـلى الله عليه و آله و سلم و التی مسـيرتها جـده الامـام على بن أبی طالب و تابع القيام بها بأمر قرآنی الامام الحسن عليه السـلام و الامام الحسـين عليه السـلام و الامام زين العابـدين و الامام الباقر عليهم السـلام كل منهم حسب ظروفه و امكاناته المتوفره حوله. و الامام الصادق قام بواجبه الشـرعی الـذی أملاه عليه دينه و ضـميره فـدعا الناس الى سـلوك سـليم و نهج قويم فيه حياه رضـيه تنشد التجدد الخير و الاسـتعلاء فوق كل ما يعوق حركه المـد الحضاری و الاصـلاح الاجتماعی... ماده... و روحا. و لذلك كله جعل السـكينه تبسـط جناحيها الرحيمين على الناس جميعا بالنسبه [صفحه ۱۴۸] للعلم و العمل فقال عليه السلام: «كل شی ء فيه صلاح للناس

بجهه من الجهات، فهـذا كله حلال.. و كل أمر فيه وجه من الفساد، فهـذا كله حرام». أما بالنسبه للصـناعات و أنواعها.. فقد قال: «كل ما يتعلم العباد أو يعلمون غيرهم من صنوف الصناعات، و أنواع صنوف الآلات التى يحتاج اليها العباد، التى منها منافعهم، و بهـا قوامهم، و فيهـا بلغه جميع حوائجهم، فحلالـ فعله و تعلمه، و العمل به..» [۱۸۴] . هـذا هو الاسـلام الغنى و المفيد لكل عمل حضارى جديـد، علما كان أو عملا أو صـناعه... ما دام يظل على المجتمع ضـلالا خصـبا مباركا.. و عيشا كريما رغـدا و سـلما و راحه و محبه.

الصادق... و الأخلاق

قال الحكماء: الأخلاق الفاضـله نسغ الحياه.. فاذا انحطت الأخلاق يأخـذ نسغ بالجفاف و تتعطل الفضـيله عن سيرها المبارك. و بمقدار الطاقه التى تنحرف فيها الأخلاق عن صراط الله المستقيم يكون جفاف نسغ الحياه. و حقا ان الأمم الأخلاق... قال الشاعر: و اذا أصيب القوم فى أخلاقهم فأقم عليهم مأتما و عويلا و قال آخر: و انما الأمم الأخلاق ما بقيت فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا الامـام الصـادق، حفيـد الرسول الأـعظم، بحر زاخر بأخلاـقه العـاليه، و أفضـل وصف لجـده صـلى الله عليه و آله و سـلم قول الله عزوجـل: «و انـک لعلى خلـق عظيـم [۱۸۵] «و قـول رسـول الله صـلى الله عليـه و آلـه و سـلم: «أقربكـم منى مجالسـا يـوم القيـامه أحسنكم» [صفحه ۱۴۹] «أخلاقا» [۱۸۶] أراد الامام عليه السـلام و هو الأخ الشـقيق و الأب الكريم، لكل مسـلم مؤمن أن يكون مجلسه يوم القيامه فى الجنه قريب من مجلس رسول الله صـلى الله عليه و آله و سلم من أجل ذلک كان دأبه فى جامعته العلميه.. و فى أفعاله

القويمه و فى أقواله السديده العمل الصالح، ليجعل الأخلاق القرآنيه العاليه و الصفات الانسانيه الساميه تجرى فى صدور المسلمين المؤمنين دما نقيا و ضياء منيرا و رحمه و روحا. جاءه يوما رجل ينضح من عينيه بريق سؤال... و يطمح بالاجابه، على تردد أول الأمر ثم تشجع و سأل الامام عليه السلام فقال: «أريد أن تعلمنى ما أنال به خير الدنيا و الآخره، و لا تطول على...» فأجابه الامام عليه السلام بجواب قصير جدا و بعيد المرمى جدا، كلمتان لا غير قال له: «لا تكذب». عباره كافيه وافيه، كامله شامله، و ما أرحب ما تنطوى عليه من معان لا تكذب. الكذب بالايمان بالله، فالرجل الذى يعتقد أنه مؤمن بالله... و لا يعمل بما أمره به... و لا يترك ما نهاه عنه هو كاذب فى ايمانه و المحدث بنبوه رسول الله، و ما أنزله عليه... و لا يعمل بتعاليمه هو كاذب. و الذى يغش الناس فى تعامله معهم فهو خائن و كاذب و الذى يستيقن فى نفسه الايمان، و لا يحب فى الله و يبغض فى الله هو كاذب. و الذى لم يصدق المؤمن بالله و رسوله مع الأئمه من أهل البيت فيرى لهم حق الولايه.. و هو كاذب. و الذى يعمل المعروف رياء... حبا بالوجاهه فى الدنيا هو كاذب، و من يجاهد و لم يكن جهاده لجعل كلمه الله هى العليا هو كاذب و اذا اقترف منكرا.. أو فاحشه... قولا... أو فعلا... و سئل عنه فأنكر هو كاذب. و الذى يداهن أهل المعاصى و يمشى فى ركابهم هو كاذب. [صفحه ١٥٠] و الذى لم يأمر بالمعروف، و ينه عن المنكر.. هو كاذب. و الذى يقول بلسانه غير

ما يجرى فى خاطره... هو منافق و كاذب. و الذى لا يكون صادقا مع ربه و نبيه و مع زوجته و أولاده.. و مع جيرانه و مجتمعه. هو أيضا كاذب. و بعد، فالكذب هو المدخل الى كل رذيله خلقيه..، دينيه أو اجتماعيه. و كما قالوا: الكذب يعرى الحياه من كيانها الانسانى الأصيل. فعلى المؤمن بالله و رسوله و أهل البيت عليهم السلام قولا و فعلا أن يكون صادقا. لأن الصدق منجاه و تقدير و احترام و به يتربع الصادق على قمم الفضائل الانسانيه، فيبنى شخصيته بناء شامخا راسخا من جميع جوانب الحياه الماديه و الروحيه و الفكريه و الأخلاقيه. ان المجتمع الصادق الذى يتطهر من رذيله الكذب و خبائثه تتبدل الحياه به تبدلا جذريا بكل معالمها و تشرق الأرض بأنوار الصدق التى تنمو فى أفئده الناس و أحاسيسهم نعيما رضيا و صفاء خالصا لا يعرف أبدا جراثيم الكذب و شرور المفاسد. و الصادق ينال خير الدنيا و الآخره، و ما أنبل الامام الصادق اسم على مسمى فى عطائه الكثير الكثير... فى مجده الكبير.. الكبير.

الصادق و العداله

قال الحكماء: العدل أساس الملك. و الله سبحانه و تعالى أرسل الأنبياء فيما أرسل ليثبت سلطان العدل و ينصف الضعفاء المظلومين.. من بطش الأقوياء الظالمين. و الله جل و علا يأمر الحكام - أصحاب الولايه، أن يعدلوا مع جميع خلق الله حتى مع أعدائهم الذين يصلونهم نار البغضاء.. يقول تعالى: «و لا يجرمنكم شنآن [صفحه ۱۵۱] قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى» [۱۸۷] . و العدل مطلوب فى القول و العمل. قال تعالى: «و اذا قلتم فاعدلوا و لو كان ذا قربى» [۱۸۸] . و الحاكم فى الاسلام

الـذی یتولی سـیاسه النـاس یجب أن یکون متمیزا بعقله، فقیهـا فی دینه، عالمـا بما شـرع الله من أحکام فی کتابه العزیز... لیعرف معرفه یقینیه کیـف یطفی ء جمر الظلم بمراحم العـدل... و بـذلک تکـون ولاـیته مصـدر سـلام للجمیـع و أمن و راحه و محبه. و الامـامه بنظر الامام الصادق، نوعان: ١- ولایه عدل. ٢- و ولاـیه جور. فحکم الوالی العادل یتفتـح عنه النعیم الشـهی و یتفتق من طیاته الأمن و الأمان. یقول الامام الصادق علیه السـلام عن الوالی العادل: «ان فی ولایه والی العـدل و ولاته احیاء کل حق، و کل عدل، و اماته کل ظلم، و جور، و فساد، فلذلک کان الساعی فی تقویه سلطانه، و المعین له علی ولایته، ساعیا الی طاعه الله مقویا لدینه» [١٨٩] . فتأمـل هـذه العبـارات القلیله بحجمهـا و مفرداتهـا و العمیقه فی أبعادها و دلالاتها، و التی تصـلح أن تکون عنوانا ضخمـا لتـألیف کتـاب عن حکومه الوالی العـادل... ثم تأمـل الصوره الثـانیه التی ینقلنا الیها: «ولایه الحاکم الجائر الـذی یـدوس بمنکراته قـداسه الحق فیظلم العبـاد و یشـعل النار فی البلاد و ینشـر فیها الجور و الفساد، و هو بـذلک یعطل العمل بأحکام کتاب الله..». و الامـام الصـادق، من أجـل أن یرخی علی المجتمع مغانم الخیر و الرخاء [صـفحه ١٥٢] و یضـفی علی معالمه الجمال و الهنـاء...و یحرم علی المؤمنین العمـل مع الظـالمین السالکین نهـج الشـیطان و المتمردین علی نهـج القرآن. و فوق هـذا ینـذرهم الامام: الحاکم الظالم و المتعاونین معه بالعـذاب الشدید. و من خلال هذا الانذار نراه و کأنه یدعو الشـعب الی الثوره علی الظلم، و محاربه الظالمین بالسلاح المناسب فی الوقت المناسب. و هو بذلک یستمد

معانی دعوته الحاره الی الثوره من جده الرسول الأعظم صلی الله علیه و آله و سلم الذی قال: «من رأی سلطانا جائرا، مستحلا لحرم الله، ناکثا لعهد الله، مخالفا لسنه رسول الله، یعمل فی عباد الله بالاثم و العدوان، فلم یغیر علیه بفعل و لا بقول، کان حقا علی الله أن یدخله مدخله» [۱۹۰] و الامام الصادق یطبق رأی جده صلی الله علیه و آله و سلم و یسیر مسیرته فیقول: «و أما ولایه الوالی الجائر، و ولایه ولاته، و العمل لهم، و الکسب معهم بجهه الولایه لهم، فحرام، و محرم، معذب فی النار من فعل ذلک، علی قلیل من فعله أو کثیر، و ذلک لأن فی ولایه الوالی الجائر دوس الحق کله، و اظهار الجور و الظلم و الفساد و ابطال الکتب. و لذلک حرم الله العمل معهم، و معونتهم و الکسب معهم، الا بجهه الضروره، نظیر الضروره الی الدم و المیته» [۱۹۱] . من هنا نستطیع القول أن الدین الاسلامی دین عالمی.

عالمیه الاسلام

یضع الامام الصادق قواعد أساسیه ثابته لانسانیه الانسان، کلمات غراء یسطع منها عبیر الانسانیه العطر. فالحسب و النسب و الکرم عند الامام علیه السلام له وجه مغایر لما یراه غیره من الفخورین المتغطرسین الذین یهزون أعطافهم معجبین بأنفسهم فخورین بحسبهم و نسبهم. یری الام علیه السلام أن نسب الرجل - أی رجل - عقله المنور بالوعی یعبد به [صفحه ۱۵۳] الله، و یمسکه عن ایقاع الضرر بغیره من عبادالله. کما یری حسب الرجل دینا رحمانیا یغذیه ثمار التلاحم الانسانی المنسوج من ضیاء المحبه، و یعلی مکانته عبق المحبه المعطر بروح الایمان و زیت المعرفه. و یری کرمه طاعه لله مشرقه تتدفق

من عبير قول الله عزوجل: «و تعاونوا على البر و التقوى و لا تعاونوا على الاثم و العدوان و اتقوا الله ان الله شديد العقاب» [۱۹۲] . و يرى الناس - كل الناس - اخوه، أبوهم آدم و أمهم حواء، لا فرق بين عربى أو أعجمى أو أبيض أو أسود الا بالتقوى. و أنبل الناس أتقاهم، الذى يعمل بكتاب الله و سنته، بتضحيه و اخلاص، لتنقيه المجتمع البشرى من الشوائب و المفاسد، و لتطويره فى سلم الحياه الحضاريه الراقيه. يروى فى هذا المجال أن الامام الصادق عليه السلام سأل عن رجل من أهل السواد كان يتردد عليه، ثم انقطع عنه مده، فاستغرب نفر من الحضور و حاولوا أن يهونوا من شأن الرجل، فقالوا للصادق: «انه نبطى» فماذا قال لهم الامام؟ لقد قال لهم زاجرا: «أصل الرجل عقله، و حسبه دينه، و كرمه تقواه، و الناس فى ذلك متساوون» فلا عرق و لا عنصر ولا لون و لا عشيره، ذلك هو الاسلام. قال تعالى: «يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا ان أكرمكم عندالله أتقاكم...» [۱۹۳] فالتقوى فى الاسلام هى ميزان التفاضل بين البشر و ليس المال و العشيره و العرق و الجنس و اللون، كل هذه العناصر لا قيمه لها دون التقوى. و كما ترى هكذا يضى ء الامام قلوب الناس بزيت الحياه و نور المعرفه.

دور العلماء فى الحياه الاجتماعيه

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم «العلماء ورثه الأنبياء» و الأنبياء هم القدوه الفضلى [صفحه ۱۵۴] للناس، منارات هدايه على مفارق دروب الحياه. و قال الامام الصادق عليه السلام اذا رأيتم العلماء الفقهاء يركبون الى الحكام فاتهموهم. فالأنبياء

عليهم السلام جاؤوا ليدمروا بروج الظلم و الطغيان و يرشدوا الانسان الى معالم الحياه الحره الكريمه. و الفقهاء، و هم ورثتهم نهجوا نهجهم السمح، و خطهم السليم الرحيم و عملوا لخير الجماعه الانسانيه من أى عرق و لون. لكن حين يمضى هؤلاء الى الحكام يتزلفون اليهم و يتمسحون، رغبه بملاذ الدنيا و مصالحهم الشخصيه، فانهم يفتحون لهم الأبواب على مصاريعها و يهشون لهم... ثم لا يمضى وقت طويل أم قصير حتى يستحوذوا عليهم و يذللوهم لأهوائهم السياسيه... و يتخذون منهم وجه دعايه لهم يلهون بها جماهير الشعب. و عندها يفسح المجال لهم فلا رقيب على جرائمهم الأخلاقيه، و لا حسيب على ممارساتهم الاجتماعيه الظالمه. فالفقهاء المخدوعون غطاء مناسب للحكام الظالمين الذين أصبحوا بأمن من غضب الجماهير و عقابها و لو لوقت معين. من أجل ذلك حذر الامام الصادق عليه السلام الشعب منهم، و طلب منه أن يضعهم فى قفص الاتهام، حين يركبون الى الحاكم و يضعون علمهم و معرفتهم فى خدمته. حذر الامام الشعب لكى لا يخدع بما يبدونه من مظاهر النسك و الصلاح و التقوى، بينما هم فى الحقيقه يتلبسون المكر تلبيسا فحبهم الزائد للدنيا و طمعهم فيها أنساهم حب الله الذى لم يجد له مسكنا فى قلوبهم، ولو وجد له مسكنا لما مضوا الى الحكام سائلين صاغرين.. لأن من ينفتح قلبه لحب الله و رسوله، لا يسأل غيرالله و لا يخشع لمخلوق عاجز مثله، و لا يرى عظيما الا الله. و لا يسجد الا لله و لا يعظم الا شعائر الله. فيحب فى الله و يكره فى الله و يعمل فى سبيل الله.. ان الفقيه المؤمن لا يتخذ من الدين وسيله للكسب المادى و لا

یسبح بحمد أحد من العالمین، فما التسبیح و الحمد الا لرب العالمین، الفقیه المؤمن لله یطلب من الحاکم أن یعود الی الصراط المستقیم حین یراه ناکبا عنه. و الفقیه الحق، لا یری الدنیا من خلال ذاته و مصالحه الفردیه، بل یراها من خلال مصالح الجماهیر.. لأنه مسؤول عن تطبیق أحکام الله العادله و مسؤول عن [صفحه ۱۵۵] رفاهیه و سعاده شعبه فی مستوی طاقاته العلمیه و الاجتماعیه و الثقافیه. و بذلک یکون الفقیه الحق مصباحا منیرا تستضیء الأمه بنور توجیهه السلیم الذی اقتبسه من کتاب الله الکریم و سنه رسوله الشریفه، أما حین یجعل من نفسه مطیه للحاکم و أرباب المناصب.. و المترفین.. فانه لا ریب یخون الأمانه العلمیه الملقاه علی عاتقه تجاه رب العالمین.. انه یکون راضیا بما یفعله الحکام الظالمون، بل یکون عونا لهم، و شریکا فی آثامهم.. لذلک حذر الامام الصادق علیه السلام من هذه الطغمه من الفقهاء.. و ناشد المسلمین و خاطبهم جیلا بعد جیل: «اذا رأیتم الفقهاء یرکبون الی الحکام فاتهموهم». أی انبذوهم و لا تثقوا بهم لأنهم یتخذون من الدین وسیله.. للتنعم فی أحضان شهوات الدنیا الآثمه. ان الدین عندالله الاسلام، و من رضی غیر الاسلام دینا فلن یقبل منه و هو فی الآخره من الخاسرین، و الاسلام محبه و اخاء و تعاون، و الاسلام تسامح بین عبادالله الصالحین، و قد جعل من هذا التسامح اکسیرا یجددون به شباب الحیاه و محاسنها، فهو یشد القلب الی القلب و الفکر الی الفکر و یؤلف بین قلوب آدم و حواء. و من روح هذا المبدأ الرحمانی - الانسانی قول الله فی کتابه العزیز: «انما المؤمنون اخوه فأصلحوا بین أخویکم» [۱۹۴] .

و قـال أميرالمؤمنين على بن أبى طالب عليه السـلام: «الانسان أخ الانسان أحب أم كره». و من فرقان هـذا المبـدأ الراشـد القويم، يرى الامـام الصـادق عليه السـلام العالم كله وحـده اجتماعيه متكامله.. فلا تفريق بين دين و دين، و انسان و انسان، فالناس كلهم عبادالله، و الدين كله لله و الأعمال تثبته. و لم ينس الامام الصادق قول جده رسول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم الذى قال مبدأ عالميـا يتناول جميع خلق الله بلا اسـتثناء: [صـفحه ۱۵۶] «الخلـق كلهم عيـال الله و أقربهم اليه أنفعهم لعيـاله» [۱۹۵] . فتأمل هـذا المجاز اللطيف، لأن عيال الله هم البشر عامه، و عيال الانسان من يعوله [۱۹۶] ثقلهم، و يهمه أمرهم، و الله سبحانه و تعالى لا تؤده [۱۹۷] الأثقـال و لا ـ تهمه الأـحوال، ولكنه سـبحانه و تعـالى لما كان متكفلا بمصالـح عباده يـدر عليهم حلب الأرزاق، ويلم لهم شعث الأحوال، و يعود عليهم بمرافق الأبـدان، و مراشـد الأديان، شـبهوا من هذه الوجوه بالعيال الذين فى ضـمان العائل، و كفايه الكافل.

الامام الصادق و سياسه الأمر الواقع

الامام الصادق عليه السـلام هو امتداد لحياه العتره الطاهره من آبائه و أجداده حمله الرساله الاسـلاميه و لسانها الناطق بكل معانى الـدقه و التعبير و مع ذلـك فقـد كـان لكـل امـام ظروف خـاصه، و مظـاهر تحمـل بعض وجوه التمـايز و الاختلاف تبعا للظروف السياسـيه و الاعتبارات التى لا يمكن تجاهلها. ولكن مهما كانت تلك السمات و المظاهر فانها لا تؤثر على وحده الأهداف، و لا تتعلق بشـكل من الأشـكال الثوابت و القواعد للسياسه الاسلاميه العامه. و فى رحاب المنهج السياسى للامام الصادق نرى بوضوح رغم ما قيل عنه من تغييره الاستراتيجيه السياسيه عما نهجه آباؤه و

الثوار من أعمـامه و اخوانه و أهل بيته... و رغم ما قيل من عزوفه عن التحركات السياسـيه، و عـدم تصـديه جهارا للثوره و الجهاد المسـلح ضـد الـدولتين اللتين عاصـرهما الامام الصادق عليه السـلام فالواقع يشـير الى أن الدوله الأمويه كانت فى أخطر صـراعها السياسـى، تلفظ أنفاسـها الأخيره تحت ضربات الثورات الحسينيه و الحسنيه و العباسيه و غيرها. و فى الوقت نفسه كانت لا تتورع عن ارتكـاب أبشع الجرائم و أفظعهـا بحق معارضـيها من الأـفراد و الجماعـات فى مكه و المـدينه و العراق و يكفى دلاـله على [صفحه ۱۵۷] سـجلها الحافل بالخزى و العار جرائم الحجاج بن يوسف و نظرائه من الحكام السفاحين المجرمين. و يكفينا ما ورد عن ابن أبى الحديد لمعرفه الواقع المأساوى المرير لحاله الشـيعه مع الأمويين و مطاردتهم و قتلهم على الظن و الشـبهه. قال الامام عليه السـلام و قلبه يعتصر ألما و أسفا: «ثم جاء الحجاج فقتلهم - يعنى أهل البيت و شيعتهم كل قتله و أخذهم بكل ظنه و تهمه، حتى أن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب اليه من أن يقال له شـيعه على عليه السـلام [۱۹۸] . كما عايش الامام الصادق عليه السـلام الدوله العباسيه فى أول قيامها و ضعفها و امتدادا الى أيام طغيانها. و قد تصدى الامام لمواجهتها و فضحها و تعريه الزيف الذى اعتمدته فى تسترها وراء طلب الرضا من آل محمد صـلى الله عليه و آله و سـلم للخلافه لتمرر من خلال ذلك الشـعار العام أطماعهـا. عـاش الامـام الصـادق فى مثل هـذه الأجواء بكل ما لها من ملابسات فكريه و ظروف سياسـيه، و بكل ما نجم عنها فى ذلك من شيوع مدارس الزندقه و الالحاد و ظهور

الفرق و المذاهب العقائديه و الفقهيه. من هنا أسى ء فهم منهجيه الامام الصادق عليه السلام فى منهجه السياسى حيث اتهم من بعض الجماعات، حتى المقربين اليه، بالقعود عن الجهاد و اهمال العمل السياسى. كم اتهم من آخرين بالحسد على الثوار و الناهضين. و قراءه سريعه لظرف حياه الامام عليه السلام بين ولادته و حياته تكشف الكثير من الملابسات فقد ولد الامام الصادق عليه السلام فى عهد عبدالملك بن مروان بن الحكم، ثم عايش الوليد بن عبدالملك، و سليمان بن عبدالملك، و عمر بن عبدالعزيز، و الوليد بن يزيد، و يزيد بن الوليد، و ابراهيم بن الوليد، و مروان (الحمار) حتى سقوط الحكم الأموى ١٣٢ ه. و لما آلت الخلافه الى بنى العباس عاصر من خلفائهم: [صفحه ١٥٨] أبا العباس السفاح، و شطرا من خلافه أبى جعفر المنصور تقدر بعشر سنوات تقريبا. و بذلك يكون الامام الصادق قد عاش أهم الأحداث و الثورات السياسيه التى حدثت خلال هذه الفتره. بما فى ذلك ثورات العلويين فى الحجاز و العراق، و بقايا الخوارج و أفكارهم السياسيه و الضباب الذى نشروه فى الفكر الاسلامى، كما عاش حركات الانفصال فى أطراف الدولتين و ما صاحب كل ذلك من صراع دام على مختلف الأصعده، و كل هذه العوامل تكرس سوء الفهم و تربك الوضع على الامام عليه السلام و بالتالى على الخط الأصيل لأهل البيت عليهم السلام. من هنا نشأ صراع فكرى نما و انتشر برعايه حكومات الجور و الانحراف و بدوافع عديده، كما نشأ أيضا صراع فقهى بين المدارس الفقهيه الاسلاميه الذى هو الآخر نما و انتشر و وجد الجو المناسب فى تلك الفتره برعايه الحكام و الحكومات. و قد استمر هذا الصراع من أوائل القرن

الثانی الی منتصف القرن الرابع، حیث اتسعت الشقه بین مدرستی الرأی و الحدیث اللتین ظهرتا فی أواخر عهد الصحابه حیث تمیزت المدرستان فی عهد الامام علیه السلام و اتسعت الشقه بینهما الی حد التخاصم والتکفیر، حتی خرج أتباعهما الی ساحه المهاترات و التکتل المذهبی و ما تبع ذلک من تبادل الاتهامات و تزییف الحقائق منها: الزندقه و المروق و الفکر و سواء استغلال الأفکار..

دور مدرسه أهل البیت

کان لمدرسه أهل البیت علیهم السلام بصوره عامه و لمدرسه الامام الصادق بصوره خاصه دور هام و شأن عظیم فی حمایه الفکر الاسلامی الأصیل و تثبیت أسسه و معالمه، و کبح الانحراف و التجاوز، و هو بلا شک دور عظیم لا یمکن تجاهله. و کان الامام الصادق علیه السلام هو المرجع الذی یلجأ الیه الفقهاء و العلماء و سائر رجالات الأمه الاسلامیه لصیانه الفکر الاسلامی من البدع المختلفه و اللوثات و مشاکل تلک المرحله. و یومها ظهرت مذاهب متعدده منها ما بقی الی الیوم، و منها ما انقرض و لم [صفحه ۱۵۹] یبق منه الا الاسم. مثل مذهب الحسن البصری، و مذهب سفیان الثوری، و مذهب الأوزاعی و ابن جریر الطبری و غیرهم کان موقف الامام الصادق علیه السلام فی الوقوف فی وجه هذه التیارات المزیفه و الدعوات المضلله من أجل حمایه الفکر الاسلامی صریحا و حازما. لقد صارع القائلین بخالفه خط أهل البیت فأنکر القیاس و نهی عن العمل به و کانت له جولات و مناظرات ناجحه أمام الجمهور. کل هذه الأمور أحدثت سوء فهم و أربکت الوضع الاجتماعی علی الامام و علی الخط الأصیل لأهل البیت.. خاصه ممن تصدوا للثوره و العمل السیاسی و المواجهه المسلحه. فما کان من الامام المعصوم، الا

أن نهاهم عن ذلك التصدی، و حذرهم عواقبه و مخاطره. مما دفع بعضهم بجهل و بسوء فهم لاتهام الامام الصادق بالحسد و التقصیر و القعود عن حمل السیف. و تابعهم فی سوء الفهم هذا کتاب و مؤلفون بذروا بذور الشک فی أرض مناسبه و سقوها من ماء خلفیاتهم و سوء مقاصدهم حتی نمت و ترعرعت فی أجواء الاتهامات و الشبهات.. و قد ساعد علی انتشارها أفکار دخیله علی الاسلام و قیمه و أحکامه، تسربت من العدو اللدود المزمن، الیهود، و من اسرائیلیاتهم، و من بعض المستشرقین المشبوهین. الا أن المفکرین الواعین من الأمه و خاصه من تلامذه الامام الصادق و شیعته و قفوا أمام هذه التیارات المنحرفه و أدرکوا أنهم أمام مدرسه سیاسیه، مدرسه الامام الصادق، التی تعتمد الوسائل العلمیه الناجحه و المناسبه لتلک الظروف. لقد و عوا خط الامام السیاسی و منهجه رغم اختلاف الوسائل المعتمده من الامام للعمل السیاسی فی حینه. مدرسه الصادق هذه کانت امتدادا متکاملا لمدرسه أهل بیت بکافه صورها و وسائلها... کانت حصنا حصینا فی وجه التیارات المنحرفه و البدع المضلله و الدعایات المقصوده. و ان من یتهم الامام علیه السلام فیتصوره معطلا للعمل السیاسی هو مخطی ء فی فهمه و اتهامه بلا ریب و لا ـ شک. لقد کان لمجموع تلک الظروف و الملابسات التی أشرنا الیها فی حیاه الامام و مناهجه تأثیر بالغ الخطوره علی سوء فهم الکثیر [صفحه ۱۶۰] و وقوعهم تحت خطأ التقییم، بل علی سلوک البعض فی العقود عن الجهاد و العمل السیاسی و تذرعهم «بالتقیه» المشوهه التی هی الأخری وقعت تحت الظلال من الأصدقاء و الأعداء علی حد سواء. أما اذا قرأنا قراءه متأنیه واعیه للنوص

و الممارسات التى وصلتنا عن سيره الامام الصادق و مناهج عمله فكلها تؤكد أنه كان بعيدا كل البعد عن تلك التهم و الافتراءات و أنه مارس دوره و مهامه السياسيه المناسبه بأجلى صورها و أحرج ظروفها. و أى دليل أوضح على العمل السياسى من أن يتصدى مثل هذا الامام الصبور و الغيور على مصالح الأمه، و فى تلك الظروف الحرجه فيضع الأسس و القواعد لما يجب أن يكون عليه الرؤساء و القاده يجعل ذلك من أولويات أعماله اذ يحولها الى ماده تعليم لدروسه و محاضراته و اجاباته. نعم هذا هو الامام المصلح الاجتماعى الكبير الذى صرح فى نصوصه «ليس للملوك أن يفرطوا فى ثلاثه: حفظ الثغور، و تفقد المظالم و اختيار الصالحين لأعمالهم..». و لا يخفى على أحد ما فى هذا التصريح من جرأه و شجاعه تؤكد التصدى السياسى الكامل الامام الصادق عليه السلام. ان هذا التصدى لتحديد مهام الرؤساء و القاده و مطالبتهم بأداء حقوق الأمه يعتبر فى قمه العمل السياسى المحظور الذى يعرض قائله لأخطر المشاكل و أشد العقوبات. و فى هذا النص نرى الامام عليه السلام يلج السياسه من أوسع أبوابها حيث يرسل هذا النص رساله مفتوحه لكل الحكام و القاده، مذكرا لهم بأهم مهام الدوله و الرؤساء، فوصف الداء و أعطى الدواء لما تعانيه الأمه من جور الحكام و خلفاء الجور و الظلم من الأمويين و العباسيين المنحرفين عن الأهداف الساميه و النبيله التى رسمها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و طبقها الأئمه المعصومين عليهم السلام. أما الداء فقد وصفه الامام بايجاز: حفظ الثغور التى باتت نهبا للأعداء و التمرد و الاقطاع. و تفقد المظالم: حيث عمت المظالم و المفاسد

كل مرافق الدوله، من فساد القضاه الى فساد الاداريين من [صفحه ۱۶۱] الحكام و أعوانهم الى فساد الولاه وجلاوزتهم. و كل هذا الفساد يعود، فى رأى الامام، الى سوء اختيار الرئيس لهؤلاء المنفذين، الذين هم بمثابه الوزراء اليوم، مؤكدا أن من صميم واجبات الحاكم العادل و من أولويات حقوق الأمه عليه اختياره الرجال الصالحين لاداره شؤون الأمه، لأن خير الناس من رعى بأمانه شؤون الناس. و كما يتضح للجميع ان هذه المطالب شديده الوطاه على الحكام و أعوانهم، و لا يمكن بأى حال للحاكم الظالم الفاسد الجاهل أن يؤدى هذه المهام و يعنى بهذه الالتزامات؟. أليس هذا معناه اثاره للأمه و تحريك للمظلومين و المستضعفين بوجوب المطالبه بحاكم عادل و رفض الحاكم الظالم؟؟. أليس بهذا ايقاظ للنائمين عن مطالبه الحكام بأداء حقوق الأمه؟ و ان من حق الشعب استخلاص هذه الحقوق و صيانه الشريعه بمختلف الوسائل بما فى ذلك الجهاد و تنحيه الحاكم الظالم المقصر بالقيام بواجباته الشرعيه؟. ثم أين نحن اليوم من صرخه هذا الامام الصادق فى العقيده و الصادق فى أداء الامانه لأمته، و الصادق فى اكمال و اتمام رساله جده رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، أين نحن اليوم من هذه الصرخه المدويه فى قلوب المؤمنين التى تقطر بالغضب و تشتعل بالاثاره من قوله عليه السلام: «من نكد العيش السلطان الجائر» [۱۹۹] . فهل ترك الامام الصادق بعد هذا النص من حجه لخانع قانع بالواقع الفاسد، و المقصر فى أداء الأمانه الشرعيه؟. و هل ترك للأمه فرصه دون أن تثور للتخلص من نكد العيش و سوء الاداره...؟ أين نحن من صرخاته المدويات: «من عذر ظالما بظلمه سلط الله عليه

من يظلمه، فان دعا لم يستجب له و لم يأجره الله على ظلامته...». [صفحه ۱۶۲] و قوله عليه السلام: «العامل بالظلم و المعين له و الراضى به شركاء» [۲۰۰] . و قوله المشهور فى محاصرته للظلم و الظالمين: «ما أحب أن أعقد لهم – أى للظلمه – عقده، أو و كيت لهم و كاء و لا مده بقلم، ان الظلمه و أعوان الظلمه يوم القيامه فى سرادق من نار حتى يحكم الله بين العباد...» [۲۰۱] . أليس فى ذلك كله ثوره على الظلم و الظالمين و دعوه للناس لتهديم أركان دوله الظلم و الظالمين؟.

الدوله العباسيه و شعار: الولاء لأهل البيت

شهد الامام الصادق مرحله سقوط الدوله الأمويه، و عاش أهم أحداثها، و روى الكثير عن آبائه و أجداده، عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ما يؤكد أن الجوله ليست لأهل البيت عليهم السلام. و ان الأمه و الأجواء السائده فى ساحه البلاد الاسلاميه غير مهيأه لاعاده الحق الى نصابه رغم تظاهر العباسيين و دعاتهم المراوغين بأنهم يريدون الأمر و الخلافه لأهلها الشرعيين. و قد قامت الثوره ضد الأمويين تحت شعار: «الولاء لأهل البيت» لكن وراء هذا الشعار المكر و الدهاء لتحقيق مآربهم و الحصول على الخلافه و الامام الصادق عليهم السلام كان ملما بكل هذه الأمور و الشعارات الكاذبه. و كان يعلم أن العباسيين و أعوانهم يرغبون فى ابعاد الخلافه عن آل على عليه السلام حتى أنه صرح مرات عديده و بطرق شتى بأن الدور ليس لأهل البيت، و أن الأمه و الأجواء السائده فى ساحه البلاد الاسلاميه غير مهيأه لاعاده الحق الى نصابه رغم تظاهر العباسيين و دعاتهم المكتسبين بأنهم يريدون الخلافه لأهلها الشرعيين. و قد قامت الثوره

ضد الأمويين تحت شعار: الولاء لأهل البيت عليهم السلام الا أنهم مكروا، و غدروا، و خانوا، و واصلوا الجور و الظلم على الأمه عامه و على أهل [صفحه ۱۶۳] البيت خاصه. و بدأ أهل البيت و شيعتهم يواجهون الموت و الاباده و الملاحقه من العباسيين كما كانت حالتهم فى عهد الأمويين. لو أردنا أن نقارن بين أعمال الدولتين فلا نجد للأمويين اساءه لأهل البيت و أنصارهم، الا و نجد للعباسيين أضعافا مضاعفه مثلها بل ربما زادت اساءات العباسيين بما اختصوا به من جرائم جديده لم نجد مثلها عند الأمويين. فالرشيد قطع شجره عند قبر الامام الحسين عليه السلام كان يستظل بها زائروه، و المتوكل هدم قبره بما يحفظ به من أبنيه، و حرث الأرض فى كربلاء و زرعها ليخفى القبر و تنعدم آثاره، و قد وصف أحد الشعراء ذلك فقال: تالله ان كانت أميه قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما فلقد أتته بنو أبيه بمثله فغدا لعمرك قبره مهدوما أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا فى قتله فتتبعوه رميما [۲۰۲] . و قال شاعر آخر: تالله ما فعلت علوج أميه معشار ما فعلت بنوالعباس [۲۰۳] . وفى رساله من رسائل الخوارزمى لشيعه نيسابور يقول: «الى أن مات و امتلأت سجونه بأهل بيت الرساله، و معدن الطيب، و المجرم قد تتبع غائبهم، و تلقط حاضرهم، حتى قتل... ثم عدد جمله حوادث داميه ارتكبها العباسيون فى حق أهل البيت عليه السلام و شيعتهم ثم قال: و الجمله ان هارون مات و قد حصد الشجره النبوه، و تقلع غرس الامامه» [۲۰۴] . و لا ننسى الطاغيه الكبير المنصور، ففى فوره من فورات حقده المجنون على أهل البيت و قد عزم

على قتل الامام الصادق عليه السلام قال: «... قتلت من [صفحه ۱۶۴] ذريه فاطمه ألفا أو يزيدون، و تركت سيدهم و مولاهم و امامهم جعفر بن محمد...» [۲۰۵] . و قد قال مشافهه للامام الصادق: «لأقتلنك، و لأقتلن أهلك حتى لا أبقى على الأرض منك قامه سيف، و لأضربن المدينه حتى لا أترك فيها جدارا قائما...» [۲۰۶] . و يقول الطبرى و غيره من المؤرخين: «ان المنصور هذا ترك خزانه رؤوس ميراثا لولده المهدى كلها من العلويين، و قد علق بكل رأس و رقه كتب فيها ما يستدل به على صاحبه، و من بينها رؤوس شيوخ و شبان و أطفال...» [۲۰۷] . و أما الرشيد فقد أقسم على استئصالهم و كل من يتشيع لهم و اشتهر عن قوله: «حتام أصبر على آل ابن أبى طالب، و الله لأقتلنهم و لأقتلن شيعتهم، و لأفعلن و لأفعلن...» [۲۰۸] . «و كان شديد الوطأه على العلويين يتتبع خطواتهم و يقتلهم...» [۲۰۹] هذه أمثله قليله من ملف ضخم يثن من ظلم العباسيين للمسلمين عامه و لآل على خاصه، و قد تسودت به صفحات التاريخ. و مع هذا كله فقد بقى أهل البيت و شيعتهم، و خاصه الأئمه المعصومون من أبناء على و فاطمه عليه السلام يمارسون أدوارهم السياسيه بكل صدق و أمانه، و لا يترددون لحظه عن الموقف الرسالى و اعلاء كلمه الحق، كلمه الله الصادقه و الصريحه يقولونها مهما كلف الثمن و هذا الامام الصادق عليه السلام فى وسط الظروف الصعبه و المحن الأليمه بقى صامدا فى وجه الظالمين بكل شجاعه و مهابه يقول الحق دائما و أبدا كتب اليه المنصور مره معاتبا له على عدم زيارته فقال للامام: لم لا

تغشانا كما تغشانا الناس؟. [صفحه ۱۶۵] فأجابه الامام الصادق عليه السلام: ليس لنا ما نخافك عليه، و لا عندك من أمر الآخره ما نرجوك له. و لا أنت فى نعمه فنهنيك، و لا أنت فى نقمه فنعزيك. فما نصنع عندك؟. فكتب اليه: تصحبنا لتنصحنا. فأجابه الامام عليه السلام: من أراد الدنيا لا ينصحك. و من أراد الآخره لا يصحبك [۲۱۰] . فتأمل تأملا دقيقا. هذا الحوار الصريح الجاد الذى يوضح الدور السياسى الهام للامام الصادق عليه السلام فى تعريه العباسيين و بعدهم عن الحق و انحرافهم عن الدين. فهل هناك من موقف صريح واضح فى المواجهه السياسيه مثل هذا الموقف؟ الامام يواجه خصمه الحاكم الظالم المبلوله يداه بدماء الأبرار فيقول له: ليس لنا ما نخافك من أجله. يعنى نحن على استعداد دائم للتضحيه و الشهاده. ثم يتابع تصريحه الجرى ء: و ليس عندك من أمر الآخره ما نرجوك له. مصارحه هى باللسان أم مقارعه بالسيوف؟ يقول الامام غير هياب: أيها الخليفه أنت أبعد ما تكون عن الله و عن الآخره و عن الايمان. و حين يلح المنصور بالحاجه الى الموعظه و النصيحه و صحبه الأبرار، و هى الحيله التى اصطاد الحكام الظالمون كثيرا من العلماء و الفقهاء و الأدباء، و حولوا بعضهم الى أدوات دعايه لهم و سموهم: وعاظ السلاطين. لا يتردد الامام الصادق عن صفع المنصور بصفعه قويه ما زال صداها مدويا تردده الأجيال: من أراد الدنيا لا ينصحك، و من أراد الآخره لا يصحبك. هيهات، هيهات فان من أراد الدنيا و نعيمها و الوجاهه عند أهلها لا يستطيع المجاهره بالنصح و اعلان كلمه الحق، خاصه فيمن يصحب الحكام و الرؤساء و أولياء النعم الذين لا يطيقون

الا سماع التملق و السكوت عن الباطل و الظلم و قد نسوا أن: الساكت عن الحق شيطان أخرس. أما الامام عليه السلام: [صفحه ۱۶۶] فقد خاطب الخليفه بلغه المواجهه دون أى لف أو دوران: من أراد الدنيا لا ينصحك، و من أراد الآخره فلا يصحبك. حوار صريح يحمل كان معانى التحدى و الاستعداد للمواجهه مهما كانت النتائج انه يجرد الخليفه و يعرى الحكم من رداء تردى به، و يحكم عليه بالابعاد عن مأدبه الله و حظيره الآخره، دون أى تردد أو مداهنه!؟. و ليس هذا هو الموقف الوحيد و الأخير للامام الصادق عليه السلام فى مواجهه خلفاء الجور، فهناك الكثير من المواقف الجريئه تؤكد أن الامام عليه السلام كان صريحا و حازما فى مواجهه و رفض الباطل. و سوف نورد مثلا على سبيل الذكر. و روى المؤرخون: أن الامام أحضر ذات يوم عند المنصور، و نادرا ما يدعى الامام الا للتحذير و للتقريع و التهديد بالابعاد أو السجن أو القتل. و بعد أن أخذ الامام مجلسه عند المنصور، وقع على وجه المنصور الذباب حتى ضجر و قال: يا أبا عبدالله لم خلق الله الذباب؟ بلهجه المتكبر. فانبرى له الامام على الفور و أجابه بصراحه و تحد: «ليذل به الجبارين» فوجم المنصور لقوله و ندم على سؤاله [۲۱۱] انه مشهد رائع من مشاهد التحدى، انها المواجهه و تسميه الأشياء بأسمائها، و هو ما تفتقده له مجالس الحكام و الرؤساء فى عصر الامام و فى عصرنا الحاضر. كم نحن بحاجه اليک أيها الامام الجرى ء!. كم نحن بحاجه اليک أيها الامام الصريح، المظلومون ينادونک و الأبرار يحبونک و الشهداء من المقاومه الاسلاميه على طريقک، تلتقون جميعكم عند سيد الشهداء الامام

الحسین بن علی علیکم جمیعکم أفضل و أکرم السلام. لقد کان موقف الامام الصادق و مواقف أئمه الهدی و قاده الاصلاح صفعه قاسیه و درسا مفیدا قبال مواقف علماء السلاطین و وعاظهم ممن لا یتورعون من أجل ارضاء الحکام فی أن یفتروا علی الله و علی رسوله، فینتحلوا الأحادیث [صفحه ۱۶۷] و یدسون و یمالئون و یکذبون. و لقد اتخذ الامام الصادق علیه السلام طرقا عدیده لتنمیه ایمان الأمه باسلامها العظیم و بالقیاده المعصومه، و بنی ذلک الایمان بناء رسالیا و أعد الأمه عامه و مدرسه أهل البیت خاصه لحمل أعباء الرساله. فعمل علی تربیه الکوادر الناشطه من العلماء و المفکرین و الأدباء و سلحهم فکریا و جهادیا و سیاسیا و أعدهم اعدادا مدروسا و منظما للثوره ضد الکفر و الظلم و الجهل و الانحراف.. حتی باتت مدرسته من أفضل المدارس و أکثرها عطاء فی عصرها. و ان الحافظ بن عقده الزیدی جمع فی کتاب رجاله أربعه آلاف من رجل من الثقات الذین رووا عن جعفر بن محمد فضلا عن غیرهم، و ذکر مصنفاتهم [۲۱۲] کما اشتهر بین العلماء ما رواه النجاشی فی رجاله فقال: أدرکت فی هذا المسجد (یعنی مسجد الکوفه) تسعمائه شیخ کل یقول: حدثنی جعفر بن محمد. و ساقوا فی ذلک الحدیث المشهور «حدیثی حدیث أبی و حدیث أبی حدیث جدی و حدیث جدی حدیث علی بن أبی طالب، و حدیث علی حدیث رسول الله، و حدیث رسول الله قول الله عزوجل» [۲۱۳] . و روی عنه کبار العلماء و الفقهاء أصحاب المذاهب، أمثال مالک و الشافعی و سفیان الثوری... قال مالک بن أنس: «ما رأت عین، و لا سمعت أذن و لا

خطر علی قلب بشر أفضل من جعفر الصادق فضلا و علما و عباده و ورعا...». و قال الیعقوبی: و کان من أفضل الناس و أعلمهم بدین الله، و کان أهل العلم الذین سمعوا منه اذا رووا عنه قالوا: أخبرنا العالم [۲۱۴] ، و قد أعطی لمدرسته علیه السلام و منهجه العلمی بعدا عاما شاملا فی کافه المجالات و العلوم... و لا نتصور أن مکانه الامام الصادق علیه السلام و شهرته ناشئه من تبحره العلمی [صفحه ۱۶۸] فقط، و لا دور له فی المیادین الأخری، فذلک لا یثیر حفیظه الحکام و لا یصلح مبررا لاندفاع العباسیین فی ملاحقه الامام و ایذائه الی حد التوعد بالقتل کما هو معروف عن المنصور و الرشید، من هنا یتضح أن الامام کان یمارس أدوارا فکریه و سیاسیه هامه تقوض نظام الظلم و الظالمین، و تعد الأمه لدورها الطبیعی فی ارجاع الحق الی نصابه. فالکلمه الحق أوقع فی النفوس من السیف. قال الرشید: «لسان هشام أوقع فی نفوس الناس من ألف سیف» ذلک التلمیذ الشجاع البطل، هو واحد من آلاف التلامذه الذین رباهم الامام الصادق و أعدهم لتقویم الأمه الاسلامیه الرصینه. نعم کل هذا و غیره من المواقف الحازمه التی مارسها الامام الصادق لا یمکن أن تفسر بغیر الدور الفکری و السیاسی الهام لمدرسه الامام و مدی تأثیرها فی المجتمع عامه. مما دفع العباسیین الی ملاحقه الامام و نقله من المدینه الی الکوفه ظنا منهم بأنهم یستطیعون وضعه بموضع القرب والمراقبه منهم و بالتالی لیحجموا دوره و یضعفوا فاعلیته و تأثیره فی الأمه؛ و من خلال جو الارهاب و المراقبه سینصرف الناس عنه، و تنتهی فرص نفوذه فی المجتمع. الا أنهم فشلوا

و أدركوا ثانيه خطأ تفكيريم؛ و أن بقدره الامام افشال مخططهم، و أداء دوره مهما كانت ظروف الحصار و شده المراقبه. و من الكوفه أبعدوه ثانيه الى المدينه، و لا-حقوه بالأذى و المراقبه و هو عليه السلام بين المرحلتين رغم كل القساوه و المحن و الملاحقه التى استمرت من العباسيين الى آخر يوم من حياته، استمر يؤدى دوره الرسالى فى اعداد الأمه و صراع الباطل و استطاع باذن الله أن يتغلب على كل تلك الظروف بالصبر و المثابره و الحكمه، حتى انتصر على أعدائه الى يوم الدين، فخلد هذا الخلود و سما هذا التسامى، و ترک هذا البحر الزاخر من العلم و العمل و البناء.. و لا غرابه بعد هذا أن يقال: كان بقاء التشيع و انتشاره مدينا لمنهجه و دوره الكبير المتمم لأدوار آبائه و أجداده عليهم أفضل الصلاه و أزكى السلام. و باسمه كان المذهب الجعفرى نشأ و نما و انتشر و لا يخفى أن الفكر الاسلامى و خاصه فى نهايه القرن الهجرى الأول تعرض للوثات و فلسفات و مذاهب و فرق، طبل لها أعداء الاسلام فى محاوله منهم لنسف العقيده الاسلاميه و تدمير البنيه الفكريه للانسان المسلم. [صفحه ۱۶۹] كل هذه الاستفزازات و الصراعات و المشاكل واجهها الامام الصادق بكل عزم و جرأه و رويه فحصن الأمه الاسلاميه من تلك اللوثات و الأفكار الفاسده و المشبوهه حتى وصل بجهوده المشكوره الى شاطى ء السلامه بفضل مدرسته التى خرجت آلاف العلماء و الفقهاء و المفكرين الاسلاميين، و عبرالفهم الواعى و الرصين لكبار القضايا الفكريه المعقده التى بلبلت الفكر الاسلامى و تعثر فيها الكثيرون... كالتقيه و الجبر و التفويض و الأمر بين الأمرين و

غیرها من أمهات القواعد الفکریه و الأساسیه فی العقیده الاسلامیه. فالسلام علیک یا أباالأحرار و السلام علی آبائک و أجدادک الأطهار، و السلام علی جمیع الثوار و بیارق العلم و العرفان و حمله النور و الهدی للبشریه جمعاء من الصدیقین و الأنبیاء و الأئمه المعصومین الأتقیاء و من تبعهم باحسان الی یوم الدین.

نشاط الامام الصادق العلمی و التبلیغی

کانت المهمه العلمیه التی حددها الأئمه بعید استشهاد الامام الحسین علیه السلام تتمثل بنقطتین هامتین: أ – الحفاظ علی حراره الدم الحسینی الذی یتکتل بأداء دور التذکیر بالملف الکامل و مظلومیه حاملیه [۲۱۵] . ب – و مهمه تثقیف الرأی العام ممن یعتقد بصحه هذا الملف أو الذین یرغبون فی الاطلاع علیه و معرفته. و الامام الصادق علیه السلام وجه عنایه خاصه لهاتین المهمتین. فمال الی تأیید ثورات الحسینیین لأنها تذکر بثوره الامام الحسین. و کثف من روایه الأحادیث عن فضل احیاء مراسم الامام الحسین علیه السلام من جهه، و عمل علی نشر الأطروحه الحسینیه و بلورتها من جهه أخری. و قد سجل نشاطا عظیما اطار المهمه الثانیه. یروی الطبرسی فیقول: «لم ینقل عن أحد من سائر العلوم ما نقل عن الامام الصادق علیه السلام و ان أصحاب الحدیث قد جمعوا أسماء [صفحه ۱۷۰] الرواه عنه من الثقات علی اختلافهم فی المقالات و الدیانات فکانوا أربعه آلاف رجل» [۲۱۶] . و قد وزع الامام الصادق نشاطه العلمی و التبلیغی فی أکثر من اتجاه، فکان یروی الأحادیث و یصحح ما یرویه الناس، و یتصدی للمسائل الفقهیه حتی سلم کل من عاصره بأعلمیته المطلقه، و قد سئل أبوحنیفه عن أفقه الناس فی زمانه فقال: جعفر بن محمد [۲۱۷] . و لم یهمل علم الکلام الذی کان

میدانا للجدل العقائدی و المذهبی فی عصره، و قد خصص عددا من طلابه لیقوموا بمهام المناقشات الکلامیه و المناظرات العلمیه فی الاطار الاعتقادی کهشام بن الحکم و زراره بن أعین و علی بن یقطین و غیرهم الکثیر، و قد أوقعت غزاره علوم هؤلاء الطلبه الخلیفه المهدی فی لبس عندما اعتبر کل واحد من هؤلاء صاحب مدرسه و مذهب، فقال بالهشامیه نسبه لهشام بن الحکم، و الزراریه نسبه لزراره بن أعین، و الشیطانیه نسبه لشیطان الطاق (مؤمن الطاق) و هو من تلامیذ الامام الصادق [۲۱۸] .کذلک تصدی الامام الصادق لمسأله تفسیر القرآن الکریم و بیان المحکم و المتشابه و العام و الخاص، و قد عالج الکثیر من المسائل العاصیه علی الفهم [۲۱۹] . و لم یهمل الفقه السیاسی فعالج قضایا الشوری و مدی مشروعیتها و تمثلاتها التاریخیه و مدی مطابقه التجربه مع المفهوم [۲۲۰] . هذا النشاط المکثف فی الحقلین العلمی و التبلیغی قابله انسحاب مدروس و شبه کامل من دائره الصراع علی السلطه و مارس عوضیا عن ذلک التقیه فی معناها الخاص. فماذا عن مدلول التقیه العملی؟. [صفحه ۱۷۱]

مدلول التقیه العملی

مما لا شک فیه أن مختلف ألوان التحرک الذی باشره الامام الصادق علیه السلام یصب کله فی مشروع اسلامی أصیل یهدف الی ارشاد الناس جمیعا الی عباده الواحد الأحد سبحانه و تعالی، و التصدی للقضایا العلمیه و التبلیغیه. ثم ان الامام الباقر علیه السلام، و قبله الامام زین العابدین اللذین سبقا الامام الصادق قد حصرا اهتمامهما بالحفاظ علی حراره الدم الحسینی الی جانب التقیه فی مدلولها السیاسی التی أملتها طبیعه المرحله و الظروف المحیطه بها. و قد عبر الامام الصادق عن مدلول التقیه فی أکثر من مناسبه

و خاصه عندما کان الوشاه یوغرون صدور الخلفاء ضده فی عهد الخلیفه العباسی أبی جعفر المنصور [۲۲۱] . و روا عن الامام الصادق علیه السلام قوله: «اتقوا الله، و علیکم بالطاعه لأئمتکم قولوا ما یقولون، و اصمتوا عما صمتوا، فانکم فی سلطان من قول الله تعالی: «و ان کان مکرهم لتزول منه الجبال» و یعنی بذلک کما یوضح تلمیذه أبوبصیر، ولد العباس، و یختم الامام کلامه بجمله تکالیف لشیعته؛ «صلوا فی عشائرکم و اشهدوا جنائزکم و أدوا الأمانه الیهم» [۲۲۲] . و فی روایه أخری ینقل أن أبا عبدالله دخل علی أبی العباس بالحیره مره، فقال الأخیر: «یا أبا عبدالله ما تقول فی الصیام الیوم؟ فقلت: ذاک الی الامام، ان صمت صمنا و ان أفطرت أفطرنا، فقال: یا غلام علی بالمائده فأکلت معه، و أنا أعلم و الله أنه یوم من أیام شهر رمضان، فکان افطاری یوما و قضاؤه أیسر علی من أن یضرب عنقی، و لا یعبدالله» [۲۲۳] . [صفحه ۱۷۲] و التقیه السیاسیه لم تمنعه من جمع الحقوق الشرعیه من شیعته الأمر الذی کان یزعج الخلفاء یغبطهم و بالتالی یعرضه لمخاطر القتل و التنکیل، و قد تواترت الروایات التی تحکی قضیه معاناه الامام علیه السلام فی هذا المجال [۲۲۴] . و التقیه لم تبعده عن رقابه الخلفاء فی جورهم و انحرافهم عن الخط الاسلامی لکنه لم یعدم وسیله الا و استخدمها لیؤکد عدم رغبته فی السلطه، و یذکر فی هذا السیاق أن المنصور: أخرج اضباره کتب و رمی بها الی الامام الصادق و قال: «هذه کتبک الی أهل خراسان تدعوهم الی نقض بیعتی، و أن یبایعوک دونی.فقال علیه السلام: «و الله یا أمیرالمؤمنین ما فعلت، و لا

أستحل ذلك و لا هو من مذهبی» [۲۲۵] و الخلاصه ان اهتمام الامام السادس من أئمه أهل البیت الأطهار انصب علی مواجهه التیارات المنحرفه فی غرض مهمه توضیح و بلوره و تعلیم أطروحه الاسلام الأصیل، دون أن یغیب عن الساحه الفکریه التی کانت تشهد کل یوم تطور جدیدا لما کانت تحدثه تفاعل الحضارات و الترجمه و النشاط الفکری المتزاید. و السمه الممیزه فی شخصیه الامام أنه لم یتعال علی الأفکار الوافده بل أقبل علیها قارئا و ناقدا و مناقشا، فکان بحق رجل عصره. مما جعله یحوز علی محصول الفکر الانسانی فی زمانه دون أن یتردد فی الاکتساب و الأخذ و العطاء.

الامام الصادق دفق حضاری و انسانی دائم

کان الامام الصادق صاحب مدرسه بل جامعه متکامله، استمرارا لمدرسه الامام علی بن أبی طالب فی المدینه المنوره فی خطها العام الا أنها فی عمقها الحضاری انبثاق متکامل و مستمر بعید المدی للمدرسه المحمدیه المبارکه. و الامام الصادق علیه السلام لم یکن مجرد معلم لجیل بعینه فحسب، و انما [صفحه ۱۷۳] للأجیال اللاحقه کلها، یمدها بالوعی المعرفی و الدفق الحضاری، و الحس الایمانی لما فیه مستقبل المسلمین و الاسلام. لقد کان علیه السلام فی عمق التیارات المعاصره له محلقا فوقها و مهیمنا علیها، مما یسر له تقدیم صوره مشرقه للاسلام الحضاری بکل آفاقه المرسومه فی القرآن الکریم و فی السیره النبویه قولا و منهجا و تطبیقا، و بالتالی لدی أهل البیت الأطهار و الأصحاب الأخیار الذین صدقوا بما عاهدوا الله علیه. و اذا خطر ببال أحد أن یسأل کیف تأتی للامام الصادق هذا الدفق الحضاری المستمر عبر الأجیال نقول: الامام الصادق هو الوارث الشرعی للعلم النبوی فی عصره، و لذلک کان المتربع علی عرش المعارف

جميعها. و زد على ذلک أنه العبقری الفذ و صاحب الحس الممیز الذی نسق بین معطیات الواقع و الالهام و المهمه الملقاه على عاتقه. فلم یرفض مقاییس الواقع و قوانینه رفضا مطلقا و انما وظف و سخر المعطى الواقعی للمعطى الالهامی على هدى الوحی و النبوه. من خلال هذه الرؤیه یمکننا تلمس بعض جوانب الأفق الحضاری الذی حمله و قدمه الامام الصادق للفکر الاسلامی من القرن الثانی الهجری الى عصرنا الیوم. و اذا ما تفحصنا الحقیقه و کان لدینا ضرب من الاحاطه و الشمول للمجتمع العربی الاسلامی بکل شرائحه و فرقه و مذاهبه یومذاک، نستطیع القول: ان الدائره الاسلامیه، لم تکبر و تتسام فحسب بل تعرضت لتغیرات نوعیه، مکنتها من اکتشاف مناهج جدیده، ساعدتها على التکیف مع الواقع الذی أفرزته حرکه الفتوح، کما ساعدت أیضا على استیعاب و هضم الأفکار و الفلسفات الوافده. و لما کانت قطاعات کبیره من الشرائح الاسلامیه لم تعد قادره على مواجهه ذلک الواقع بکل ما یتضمن على المستویین الدینی و الدنیوی، لذا کان لا بد من البحث عن طرق الخلاص و أسالیبه الممکنه. من هنا کان وجود الامام الصادق الدفق الحضاری المتألق، و صاحب مدرسه بل جامعه ینهل من معینها الاسلامی الأصیل کل العلماء و الفقهاء و الأدباء، [صفحه ۱۷۴] و وارث العلم النبوی الشامل الکامل، أقول: کان وجوده و حضوره ضروره حتمیه بحکم الواقع و منطق الأحداث و حرکه التاریخ، سیما و هو الامام المربی، و الموجه، و المعلم، و المبرمج لحاضر الاسلام و مستقبله. و من هنا أیضا کانت رده الفعل العنیفه ضده و ضد مدرسته، فقد أقلق السلطه الحاکمه آنذاک و زرع فی ربوعها الرعب فأخذت

موقفـا قاسـيا منه. و الحقيقه ان ذلـك القلق لم يكن من المفـاهيم التشـريعيه فحسب، بـل لأن الامام عليه السـلام من سـلاله النبى الطاهره الذين عانوا ما لم يعانه ورثه نبى أبدا، ان فى ظل الطغيان الأموى الذى تشير الى صوابيته ألف اشاره استفهام؟! أو فى ظل قهر أبنـاء عمومتهم من بنى العبـاس الـذين تنكروا لمبـادئهم التى نـادوا بهـا و شـعاراتهم التى تستروا وراءها و فضـلوا الـدنيا على الآخره. و قالوا كما قال الجهلاء: الى يوم الدين الله يعين!! نعم... كان وجود الامام الصادق و حضوره الانسانى و العلمى و الدينى و الاجتماعى حضورا مشـرقا متساميا يحمل على عاتقه مسؤوليه المناخ الصـحى للاسـلام الأصـيل، اسلام الفرد و اسلام الجماعه، اسـلام الحق و اسـلام الصـفاء، اسـلام الحريه و اسلام الكرامه، اسلام التقدم و العمران و اسلام انسانيه الانسان، و اسلام الحضاره المتفتقه من عطر النبوه. و هذا بلا ريب من شأنه تعميق التأزم فى الوجدان الاسلامى أكثر فأكثر، باعتبار السلطات الزمنيه الحاكمه لم تقـدم أفكـارا تسـتهدف انسـانيه الانسان، بل قـدمت أفكارا من شأنها مصادره انسانيه الانسان؟!. فى هـذا الجو المتأزم فى ظل السـلطات الظـالمه، ولـدت مهمه الامـام الصادق الجهاديه وفقا للمفهوم الاسـلامى، فقـد تبين له أن الحكام الزمنيين اسـتعلوا على العالم الواقعى قهرا و اسـتعبادا للبلاد و العباد، ليحققوا لأنفسهم و أتباعهم المرتزقه كل مقومات الترف الدنيوى التى أدت فيمابعد الى سـقوط العـالم الاسـلامى تحت سـنابك خيول الغزو المشـرقى الممثل بهولاكو و مجازره و جنكيز خان و بطره. و ازاء ذلك الواقع كان على الامام الصادق ممثلا الأفق الحضارى آنذاك أن يتصدى لذلك الطغيان لا نقاذ الأمه الاسلاميه المهدده بالاندثار و هكذا وجد نفسه محكوما عليه باسم كل القوانين

السـماويه و الاجتمـاعيه و الانسـانيه، كوارث للمنهـج [صـفحه ۱۷۵] المحمـدى و منهـج أهـل الـبيت أن مهمتـه مقـاومه الظلم و الظـالمين بالوسائـل المتـاحه له. و هـذا يعنى أنه انطلق من رؤيه حضـاريه أصـيله قوامهـا: اذا أردت أن تعرف نفسـك، عليك أن تعرف الحاضـر السـرمدى أولا، ولكى تعرف ايمانك و تحقق حضورك، عليك أن تعرف الأمس القريب و البعيد، أمس الرسل الكرام و أمس آبائه و أجداده العظام. لذلك انطلق بكل ما يملك من عزيمه لبناء و رسم أفق الاسلام الحضارى من خلال تفسير الايمان بالايمان؛ و تفسـير الانسان بالانسان... باعتبار الانسان اضافه الى حضوره على هـذه الأرض، فاعليته و انتاجه و تواصـله مع الله و النـاس تحقيقـا لمعنى الخلافه على الأرض، التى عبر عنهـا القرآن الكريم بقوله تعـالى للملائكه: «انى جاعـل فى الأرض خليفه» [۲۲۶] . لـذلك كـان الامـام يسـعى دائما الى وحـده العمل من أجل تحقيق التشـريع الآلهى، و من أجل اسـتمرار الخلافه النابعه من عمق البعد السامى للاسلام الحضارى، لأنه يمثل الفعاليه الانسانيه الأكثر كمالا فى العالم. و هذا من شأنه تحقيق مفهوم الخلافه الانسـانيه فى الأرض على أسـس العلم و العقل و العـدل و الرحمه. و هـذا ما وضـعه الامام الصادق عليه السـلام موضـع التنفيـذ، و أدركه غايه الادراك باعتباره حامل لواء الخلاص الـذى ورثه عن أبيه الامام الباقر عليه السـلام و أجـداده المعصومين الطاهرين. لقد أدرك الصادق منذ البدايه: مقررا و مؤكدا فى عمقه الوجدانى الأصـيل، أن ليس على الامام الخلاص و التوجيه و الأرشـاد للآخرين فحسب، و انما الامامه اضافه الى هـذا أن يكون الامام حكما على نفسه أولا و على الناس ثانيا. و بناء على هـذا القبس النبوى الشريف الذى ورثه

عن آبائه و أجداده سـلام الله عليهم أجمعين، شـرع فى وضع الخطوط العريضه للحاضـر السرمدى، تطلعا الى الأفق الموعود، أفق اسـلامى حضارى يحقق الأمن و العـدل و السـلام لبنى الانسان كافه، و يخرج الناس، بما أعطى من علم وقوه، من دوائر الظلمات التى [صـفحه ۱۷۶] رسـمت أطرهـا محـاور الترف الأـموى و الطغيان العباسـى، و أعلنت اسـتقلالها عن الوحى الآلهى و التشـريع الاسـلامى. و ان أصحاب البصيره المتأملين فى عصر الامام و رؤيته العامه المثمثله بسلوكيته و حكمه و وصاياه و أقواله و نظرياته الفقهيه و العلميه و الفلسـفيه التى نوه عنها لطلابه... كل ذلك يفصـح لهم أنه كان يجاهـد أبـدا لولاده مجتمع حضارى يتمسـك بالـدين و العلم.. و يؤكـد لهم و للجميع بـأن الامـامه تعنى الوعـد باخلاص، كما تعنى التعالى و الصـفاء و السـمو والتطهير للناس جميعـا من كـل عرق و جنس و لون. و هـذا مـا رسم معـالمه الامـام و حققه عبر تجربته الحيـاتيه و الروحيه متجاوزا واقعه المظلم المرير. و غايته الفضلى التى تهدف الى تحقيقها هى توليد مجتمع حضارى يحكمه الوحى الآلهى و ينفذه المعطى العلمى و يسير على الهدى النبوى سـيرا تاما أبدا. و لم يكن ذلك تقديرا لمرحله زمنيه بعينها بقدر ما كان تقريرا مؤكدا لحقيقه ساميه نذر نفسه للجهـاد الـدائم من أجلهـا و مضـحيا أغلى مـا يملك فى سبيلها، شأن آبائه الكرام و أجـداده العظام الـذين كانوا منارات الاسـلام المشرقه على كل الأصعده و المستويات، علما و جهادا و عباده و استشهادا، و انطلاقا من هذا الوعى الحضارى و الحس الانسانى النابع من الوارث الشرعى للعلم النبوى، فقد كان الصراط المستقيم لمنهجه المعرفى. و لا أرى أن هنا ك

شيئا بعد التفقه فى الدين و تطبيق أحكامه أفضل من معرفه العلوم الطبيعيه و الانسانيه و العلميه و ما لها من قوانين ناظمه. لذا، كان من الطبيعى أن يؤكد الامام الصادق عليه السلام على وحده العلم و الدين فكل منهما ملازم للآخر. من هنا جاء ذلك التطابق العام بين آراء الامام العلميه و أحدث النظريات الحديثه. فنراه على سبيل المثال فى الفلسفه: يشير الى أن المسافه شكل تجربتنا الخارجيه، و الزمن شكل تجربتنا الداخليه. بينما نرى الفيلسوف الالمانى (كانت)، و ان أدرك بعد التجربه الزمنيه و المكانيه، فقد أخفق فى توظيفها لصالح البنيه الحضاريه حين تسلط عليه هاجس البعد عن الوحى. فى حين استطاع الفكر الاسلامى ادراك و توظيف تجربتى الزمان و المكان؛ بما يساهم فى بناء الانسان العلمى و الحضارى. فهو لم يعتبرهما شكلين فارغين، و انما هما القوتان العظيمتان اللتان [صفحه ۱۷۷] تحكمان كل الأشياء وفقا لقانون السببيه أو السنه الآلهيه التى لن نجد لها تحويلا و لا تبديلا، لذا، نجدهما بالضروره تنعكسان على حياتنا بشكل عام. و لعل عدم و عى مقولتى الزمان و المكان و عدم و عى المسافه الرمزيه ساهما فى تضعيف الفكر الاسلامى فى خلال أحقاب طويله، لأن ذلک لا يتم للانسان مباشره و انما لا بد له معاناه تعبد له الطريق ليدخل منها الى عوالم المعرفه و بالتالى نحو توجهات حضاريه خيره. و الامام الصادق عاش تجربتى الزمان و المكان عبر حياته كلها. فعايش التجربه المكانيه بكل أبعادها فى مدينه جده و آبائه عليهم السلام تلكم المدينه التى ترعرعت فيها الرساله السماويه و الحضاره الانسانيه كما عايش التجربه الزمانيه... و المسافه الرمز... عايش التجربه الزمانيه عبر ذلک الزمان المسروق

من حركه التاريخ، الزمن المسحوق فى ساحه الوعى الانسانى و الحضارى زمن الضغط و الجور و القتل و التنكيل لآبائه و أصحابه الذين رفعوا كلمه الحق فى وجه الطغيان. كما عايش تجربه المسافه الرمز بكل قوتها و عنفوانها حينما كان يستدعيه السفاح و أبوجعفر المنصور للفتک به، لکنه کان يخرج من المحنه بعنايه الهيه و مدد نبوى و حکمه جعفريه زرعها الله فى صدره. عايش الامام عليه السلام التجربتين الزمانيه و المکانيه سواء بسواء و المسافه المجرده ليس لها بنيه ماديه أو معنويه بقدر ما هى تزاوج مستمر بين القلب و العقل... بين الوحى و الروح. الأمر الذى تطلب توليدا حضاريا يحقق انسانيه الانسان عبر محور العلم و الوحى. و هذا ما کان يسعى اليه الامام الصادق قولا ـ و فعلا و سلوکا و ارشادا و وعظا و توجيها. نستشف ذلک کله بوضوح تام حين نقف طويلا عند شخصيته الفذه و عبقريته النادره التى قدمت معطياتها العالميه عبر المدرسه الجعفريه المتعاليه على مدى العصور. [صفحه ۱۷۸] و هنا لا بد لنا من القول ان الامام کان يعايش ضربا من التذکر، تذکر الأمس زمانا و مکانا.. تذکر مدينه الرسول و آل بيت الرسول.. و ما الى ذلک من أحداث جسام يندى لها جبين الانسانيه خجلا، و من مجازر وحشيه أبکت الأرض و السماء، و ترکت بصمات حمراء ما زالت عبره لکل من اعتبر. و تذکر الامام فى جوهره ليس اعاده ما کان، بقدر ما هو ولاده جديده للأمس، و هذا ما نستطيع استشرافه من الخط الناظم للامام الصادق کرمز رسولى اتصف بالحيويه الخلافه، و الرمز المتجدد لحضاره انسانيه سرمديه. و بهذا يکون الامام الصادق أعظم مصدر من

مصادر تبليغ الوحى الآلهى و الوعى المعرفى و البناء الاجتماعى و الصحوه الحضاريه منذ القرن الثانى الهجرى و حتى عصرنا الحاضر. لقد تسنى للامام بفضل ايمانه الراسخ بناء مدرسه محمديه و دوله اسلاميه ساميه قوامها و منطلقها الوحى و العلم و العقل و المحبه؛ تسنى له هذا القدر من التغيير الايجابى استكشاف كل ما هو حضارى باعتباره وارث العلم النبوى، أولا، و هاضما لكل التيارات الفكريه المعاصره له ثانيا، و مسلما بايمان رسولى قادر على زلزله الجبال ثالثا. لقد آمن عليه السلام بأن بناء اسلام الحضاره و اسلام الصفاء و السلام يتوقف على الوعى المعرفى و تحويل الشعارات الى واقع و النظريات الى تطبيق عملى. و هذا ما هدف اليه و طبقه جده الأكبر حامل رساله الاسلام محمد بن عبدالله عليه و على آله ألف صلاه و ألف سلام، و من أحق من الابن الصادق بحمل الرساله كما يجب أن تحمل؟! و الله سبحانه و تعالى يعلم حيث يضع رسالته.

السياسه التربويه العقائديه

اشاره

تأهيل الأمه الاسلاميه و صياغه الانسان، خطان تربويان على الصعيد العام و على الصعيد الخاص، عمل بهما الامام الصادق عليه السلام من أجل بناء الأمه و تقويه أواصرها، و حفظ كيانها وصيانه تراثها و تنميه وعيها العام حتى تمتلك الخصائص التى ذكرها القرآن الكريم و السنه الشريفه و من جهه أخرى، على الصعيد الخاص [صفحه ۱۷۹] عمل على تربيه الفئه الواعيه لأهدافه المتفاعله تماما مع خطته (الكوادر الاداريه) و المتحمله بكل جداره المهام الصعبه التى يلقيها عليها، مما يجعلها شعاعا من نوره و نموذجا لسيرته و مظاهر قيادته. و ان عمليه صياغه الفئه الواعيه لا تقل أهميه عن عمليه بناء الأمه الواعيه. و خصوصا فى

المجال التربوی فی اطار بناء انسانی متقـدم. لأنها تتوقف علی توفر معرفه یقینیه معمقه و انسـجام عاطفی کامل مع العقیده، و تلق تربوی حکیم. و مـا نراه هو أن تتربی الفئه الواعیه عقائـدیا و سـلوکیا و عاطفیـا ثم تنتشـر کالعـافیه فی أوصـال الأـمه و عروقها. و بـذلک تحفـظ الجسم العـام من أی تآکـل أو مرض. الاـ أن القاده المربین لا یسـتطیعون التریث حتی تتم عملیه تربیه الطلیعه لأن تربیه الأـمه وصـیانتها حاجه قائمه و ملحه. من هنا نری من الطبیعی أن یتوازن هاذان الخطان لیؤثر کل منهما فی الآخر. فجو الأمه المناسب یترک أثره الایجابی علی تربیه الطلیعه، و تربیه الطلیعه بدورها لها أکبر الأثر فی تحقیق الأهداف التربویه العامه. فالأنبیاء قاموا بـدور هام بتربیه الأمم و هدایه الناس جمیعا و علی نسـقهم وجدنا القاده الالهیین یعملون علی تحقیق هذین الخطین: العام و الخـاص. و لمـا کـان أهـل الـبیت قـدوه الأـمم و تلامـذه رسول الله صـلی الله علیه و آله و سـلم المخلصـین و حـاملی لواء التربیه العقائـدیه، فهم علی هذا الخط سائرون و له عاملون. و نحن الآن نعیش فی ما یلی مع الامام الصادق علیه السـلام المربی الکبیر و المصـلح الاجتماعی العظیم و أسـتاذ أئمه المـذاهب الأربعه. و هو الصادق المعصوم و البار الأمین للرساله الاسـلامیه الخالـده. أما عن الأجواء الاجتماعیه و السیاسـیه التی عاصـرها الامام الصادق فکلها صـعبه و معقـده و کثیره المتاعب نذکرها بایجاز: - الخلل السیاسـی الـذی طرأ بعـد انقراض الخلافه الأمویه و سـیطره الخلافه العباسـیه. - و تشـکل المذاهب الفقهیه المعروفه التی انطلقت نتیجه عوامل کثیره کاتساع الحرکه العلمیه و الحریه... [صفحه ۱۸۰] - اتباع الرأی الذی بدأ عملیا،

فهل للمجتهد أن يعمل رأيه فى فهم الحديث، أم عليه أن يتقيد تمام التقيد بملابسات النص؟. - شيوع الانحرافات الفكريه الخطيره التى عاصرها الامام عليه السلام بسبب الخلل السياسى و انتشار الأفكار المعاديه للاسلام، و انفساح المجال لذوى الأهواء و النزعات الفرديه. - الوضع فى الحديث النبوى الشريف. هذه الظاهره لم تكن جديده فى الأصل على المجتمع الاسلامى حيث لعبت يد الأهواء منذ عصر الرسول صلى الله عليه و آله و سلم فأوجدت فئه من الوضاعين أحصى لهم صاحب (الغدير) ۶۷۴ حديثا مكذوبا ملفقا [۲۲۷] ، حتى قال: يحيى بن سعيد القطان «ما رأيت الصالحين فى شى ء أكذب منهم فى الحديث» [۲۲۸] . - انتشار المفاسد الخلقيه و ظواهر الترف. فخلفاء بنى أميه انحرفوا عن المسير الاسلامى الرشيد، و انغمسوا بالترف و مباهج الدنيا مما أدى الى انتشار الكثير من الأوبئه الأخلاقيه فى المجتمع الاسلامى. كل هذه التصرفات الشاذه واجهها الامام الصادق بكل جرأه لأنه أحد أئمه أهل البيت و عتره الرسول، فقام بالمهام القياديه الملقاه على عاتقه التى جعلت أمانا للأمه و سفينه نجاه من تمسك بها عصم من الضلال. و قد استمرت هذه الأهليه القياديه موضع عنايه أئمه من أهل البيت واحدا بعد الآخر. و هذه الصفات تمتع بها الامام الصادق جميعها و عمل على تحقيقها. فما هى الخطه التربويه التى سلكها عليه السلام لمواجهه هذه الظواهر و القيام بالواجب القيادى العام؟. لقد عمل على الخطين الآنفين بكل دقه ليحفظ بناء الأمه الاسلاميه و يصون تراثها و ينمى و عيها و يقوى أواصرها. [صفحه ۱۸۱]

الخط التربوى العام

اشاره

تتمثل أهم مظاهر هذا الخط فى النقاط التاليه:

العمل على تنميه حركه علميه واسعه

كان للمدرسه التى أسسها الامام الباقر و ثبت أركانها و عمرها الامام الصادق عليه السلام أكبر الأثر فى ايجاد نهضه علميه واسعه النطاق [۲۲۹] فكان يقصدها الطلاب من جميع المناطق لتلقى العلوم الدينيه المختلفه. وقد صنف الحافظ أبوالعباس الهمذانى كتابا فى أسماء الرجال الذين رووا الحديث عن الامام فذكر أربعه آلاف راو منهم [۲۳۰] . كما ألف تلامذته مئات الكتب و الرسائل، حتى أن الشيخ آغا بزرک الطهرانى ترجم لمئتى رجل من مصنفى تلامذه الامام الصادق عليه السلام [۲۳۱] . و قال الشيخ القرشى: «و فجر الامام الصادق عليه السلام ينابيع العلم و الحكمه فى الأرض، و فتح للناس أبوابا من العلوم لم يعهدوها من قبل، و قد ملأ الدنيا بعلمه - كما قال الحافظ، و نقل عنه الناس من العلوم ما سارت به الركبان و انتشر صيته فى جميع البلدان كما أدلى بذلک ابن حجر» [۲۳۲] . ثم كانت البعثات العلميه التى تحدث عنها عبدالعزيز سيد الأهل و التحقت بمدرسه الامام لتنهل منها نمير العلم، فقال: «و أرسلت الكوفه و البصره و واسط و الحجاز، الى جعفر بن محمد أفلاذ أكبادها من كل قبيله، من بنى أسد، و مخارق، و طى، و سليم، و غطفان، و غفار، و الأزد، و خزاعه، و خثعم، و مخزوم، و بنى ضبه، و من قريش، و لا سيما بنى [صفحه ۱۸۲] الأحرار و أبناء الموالى من أعيان هذه الأمه من العرب و فارس و لا سيما مدينه قم....» [۲۳۳] . و هكذا أوجد الامام هذه الحركه العلميه الناشطه، و استطاع أن ينشر الوعى على أوسع نطاق لجميع الناس.

حمله واسعه ضد المنحرفين و الملحدين

قام الامام الصادق و أصحابه و تلاميذه بحمله احتجاج واسعه ضد المشككين، فحاوروهم و

ناقشوهم بكل جرأه و ذلك للكشف عن قوه العقيـده الاسـلاميه من جهه، و عن روح التسامـح الكريم و الأسـلوب الحكيم الذى يطبع أساليب الجدل الاسـلامى القويم على قاعده: و جادلهم بالتى هى أحسن. قال الشيخ أسد حيدر: «و قد نهض الامام الصادق لمقارعه أهل الباطل، و باحث الفلاسـفه و الـدهريين، و أهل الكلام الجـدليين، الـذين تصدوا لافساد معتقدات الناس و سـفطتهم الفـازعه، فنبههم عن غفلتهم و أيقظهم من رقـدتهم، و أوضـح لهم اعوجاج مـذاهبم و التواء سـبلهم، و دعاهم الى كلمه الحق، و جادلهم بالتى هى أحسن، و ناقشـهم بالبرهان الصادق الساطع» [۲۳۴] و كتب الحـديث حافله بمقارعته لهذه الحركات و زعمائها مثل ابن أبى العوجاء و أبى شاكر الديصانى، و عبدالملك المصرى، و الجعد بن درهم و غيرهم من النافقين و الملحدين. و ربما كان عليه السلام يربى أصحابه على الاحتجاج و الشرح و التحليل ليقوموا بمهمه الدفاع عن الاسلام بأنفسهم.

تبيين الموقف الصائب من مسأله أصحاب الرأى

لا افراط و لا تفريط فى الاسـلام. و هـذا ما ركز عليه الامام عليه السـلام. فالعمل بالرأى الـذى اعتمده بعض الفقهاء يعنى التماس العلل الواقعيه للأحكام الشـرعيه من [صفحه ۱۸۳] طريق العقل وجعلها مقياسا لصـحه النصوص الشرعيه، فما وافقها فهو حكم الله الـذى يؤخـذ به، و مـا خالفهـا كـان موضـعا للرفض و التشـكيك. و قـد يعنى العمـل بالرأى اسـتنباط علل الأحكام من النصوص الشـرعيه من خلال الظواهر الكلاميه التى تشكل حجه شرعيه، ثم تعميم الحكم على الحالات الأخرى. أو يعنى تقديم الأهم على المهم. أو يعنى الحـاكم المجتهـد فى مجـال الحكم و الاـداره باتباع المصـلحه الاجتماعيه فى اصـدار الأحكام الولائيه. كل هـذه الأمور يقبلها الشرع و يؤكد عليها، و بهذا نعرف أن (الرأى) على بعض

المعـانى مرفوض، و على بعضـها الآخر مقبول و ما هو وضـحته مـدرسه الامام الصادق فى روايات مفصـله [۲۳۵] . و الحقيقـه ان وقوف مدرسه الامام الصادق أمام هذه الظاهره و تبيانها الموقف الصحيح ساهم كثيرا فى بيان الحدود الشرعيه، و لولا ذلك لكنا نرى الكثير من الافراط و التفريط: الأمر الـذى كاد يعصف بالتشـريع كله، لأن أولئك الجماعه يؤمنون بالقياس المقطوع بعلته اما قطعـا وجـدانيا أو تعبـديا. و قـد ورد معنـا المنـاظره الـتى أجريت بين الامـام الصـادق و أبى حنيفه بحضور المنصور و كيف هزم أبوحنيفه أمام الحق الأبلج و الجواب المحكم.

توضيح الموقف السليم من الحاكمين و أصحاب الأغراض و الأهواء

أدرك الامـام الصـادق تمـام الادراك بأن الصـراع حول الحكم انما هو صـراع أهواء قبل أن يكون صـراعا على المبادى ء. و قد أثبت التاريخ بعد ذلك هذه الحقيقه بوضوح، فلم يكن العهد العباسـى للمسلمين بأفضل من العهد الأموى، من حيث الاستبداد و الظلم و الترف و الانحراف. و هـذا ما صوره قول أحد الشـعراء: يا ليت جور بنى أميه دام لنا و ليت عدل بنى العباس فى النار لقد شعر الامام عليه السـلام بذلك و لم يفرط بطاقاته بل سرعان ما استغل الموقف لينشر الحقائق العلميه الواسعه، و ان ذلك لا يعنى عدم توضيح الموقف السياسى، [صفحه ۱۸۴] فقد كان موقفه واضحا كل الوضوح تجاه الأمويين أو العباسيين أو قاده الثوره فيما بين العهـدين اذ لم يسـتطع هؤلاـء اغراءه بأى وسـيله ماديه، من أجل تحقيق مآربهم الشخصـيه. لـذلك كان مغضوبا عليه من قبل الحكام الطغاه حتى نهايه حياته. فكم من المرات هددوه بالقتل، و أحرقوا عليه داره، و جلبوه أسيرا، و أشاعوا الاشاعات حوله، الا أنه بقى رغم كل ذلك صامدا لا تهزه عواصفهم و لا

تعزیه عواطفهم. و کم نحن بحاجه الیوم الی مثل هذه المواقف تجاه الظلم و الظالمین فسلام علیک یا امامی یوم ولدت و یوم توفیت و یوم تبعث حیا. روی أحمد بن عمر بن مقداد الرازی قال: «وقع الذباب علی وجه المنصور فذبه، فعاد فذبه فعاد حتی أضجره، و کان عنده جعفر بن محمد علیه السلام فی ذلک الوقت، فقال المنصور: یا أبا عبدالله، لم خلق الله الذباب؟ فقال له الامام علیه السلام: «لیذل به الجبابره»فسکت و لم یجد جوابا [۲۳۶] و له کلمات مأثوره عن کشف الظلم و الظالمین نختار منهما: - «ان فی ولایه الجائر دروس الحق کله، و احیاء الباطل کله، و اظهار الظلم و الجور». - و قال أیضا: «العامل بالظلم و المعین له و الراضی به شرکاء». - و قال أیضا بعد أن دخل علیه رجل یدعی عذافر: «بلغنی أنک تعامل أباأیوب و الربیع - و هما من رجال الحکم آنذاک - فما حالک ان نودی بک فی أعوان الظلمه؟ [۲۳۷] . - و سأله أحد أصحابه عن البناء للحکام الظلمه فأجابه علیه السلام: «ما أحب أن أعقد لهم عقده أو وکیت لهم وکاء و لا مده بقلم، ان أعوان الظلمه یوم القیامه فی سرداق من نار حتی یحکم الله بین العباد».

الحفاظ علی الأخلاق العامه

ان بحرا من المعارف الأخلاقیه للامام الصادق یزخر أمامنا و قد ترکت أثرا [صفحه ۱۸۵] کبیرا فی ایجاد نهضه تربویه و أخلاقیه عالیه فی المجتمع آنذاک. و هی تعد ثروه غنیه من الارشادات و التوجیهات تناقلها أبناء الأمه و تهذبت بها الجموع الغفیره حتی غدت منهلا نمیرا من مناهل الخلق القویم. و هذه نماذج منها: - الحیاء و الایمان مقرونان

فاذا ذهب أحدهما اتبعه الآخر. - ثلاثه من لم تكن فيه فلا يرجى خيره أبدا: من لم يخش الله فى الغيب و من لم يدعو عند الشيب، و من لم يستح من العيب. - خمس خصال من لم تكن فيه كثر مستمتع؛ الدين و العقل و الأدب و الحريه و حسن الخلق. - ثلاث لا يعذر المرء فيها: مشاوره ناصح، و مداراه حاسد، و التحيه الى الناس. - اياكم و الخصومه فانها تشغل القلب و تورث النفاق، و تكسب الضغائن قال النبى صلى الله عليه و آله و سلم: ما كان جبرائيل يأتينى الا قال: يا محمد اتق شحناء الرجال و عداوتهم». و هكذا نجد امامنا الصادق عليه السلام يعمل على الصعيد التربوى العام ليصون الأمه عقائديا و تشريعيا و سياسيا و خلقيا و هذا دأب الأئمه المعصومين هداه الأمه و سفينه النجاه.

الخط التربوى الخاص

اشاره

و هنا أيضا نستطيع أن نلحظ حركه واسعه الأبعاد لتربيه الطليعه الواعيه التى تحيى العافيه فى أوصال الأمه الاسلاميه و هنا لا بد من الارشاره الى بعض مظاهر هذه التربيه.

التمسک بخط أهل البيت فکرا و قلبا

هؤلاء الطليعه الواعيه تشدهم نحو أهل البيت عاطفه نبيله و عميقه فيسيرون على خطهم قولا و عملا. و لا ريب أن هذا التعلق العاطفى بالقائد أمر أساسى [صفحه ۱۸۶] رکزت عليه التعاليم الاسلاميه. و لا يخفى على أحد أن حب أهل البيت و مودتهم، منبع الفيض و الحنان على الأرض أكدت عليه الآيات الكريمه و الأحاديث الشريفه لما لهم من أثر عظيم و عطاء كريم. سئل الامام الصادق عن قوله الله عزوجل: «انما أنت منذر و لكل قوم هاد» فقال عليه السلام: رسول الله المنذر و لكل زمان منا هاد يهديهم الى ما جاء به نبى الله صلى الله عليه و آله و سلم ثم الهداه من بعده على ثم الأوصياء واحد بعد واحد» [۲۳۸] . و جاء عن أبى بصير قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: الأوصياء هم أبواب الله عزوجل التى يؤتى منها و لا هم ما عرف الله عزوجل، و بهم احتج الله تبارك و تعالى على خلقه» [۲۳۹] .

التحلى بالورع

يقول عليه السلام: «عليكم بالورع فانه لا ينال ما عندالله الا بالورع» [۲۴۰] و من طريف ما يروى أنه شهد أبوكدينه الأزدى و محمد بن مسلم الثقفى عند قاض بشهاده، فنظر فى وجهيهما مليا ثم قال: جعفريين فاطميين، فبكيا فقال لهما: ما يبكيكما؟ فقالا: نسبتنا الى أقوام لايرضون بأمثالنا أن نكون من شيعته، فان تفضل و قبلنا فله المن علينا و الفضل قديما فينا فتبسم القاضى ثم قال: اذا كانت الرجال فلتكن أمثالكم [۲۴۱] . و قال الامام عليه السلام لجميل بن دراج: «من صالح الأعمال: البر بالاخوان، و السعى فى حوائجهم و ذلک مرغمه للشيطان، تزحزح عن النيران، و دخول فى الجنان. يا جميل،

أخبر بهذا الحديث غرر أصحابك» فقال: جعلت فداك و من غرر أصحابى؟. [صفحه ۱۸۷] فقال الامام عليه السلام: «هم البارون بالاخوان فى العسر و اليسر» و يقول عليه السلام: «عليكم بتقوى الله و الورع، و الاجتهاد، و صدق الحديث و أداء الأمانه، و حسن الخلق، و حسن الجوار، و كونوا دعاه الى أنفسكم بغير ألسنتكم و كونوا زينا و لا تكونوا شينا» [۲۴۲] .

الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر

قال لأصحابه: «لأحملن ذنوب سفهائكم على علمائكم، ما يمنعكم اذا بلغكم عن الرجل منكم تكرهون و ما يدخل به الأذى علينا أن تأتوه فتؤنبوه و تعذلوه و تقولوا له قولا بليغا». فقال له بعض أصحابه: اذا لا يقبلون منا؟. فقال عليه السلام: اهجروهم و اجتنبوا مجالسهم» [۲۴۳] . فهو يطلب من العالم أن لا يتخلى عن تعليم الجاهل الذى يتردى بجهالته، فيرتكب ما يخالف الدين، و لا يصح لهم هجره الا بعد ألياس من اصلاحه و ازاله الغشاوه عن بصره. ففى هذه الحاله تكون مواصلته تشجيعا. الى غير ذلك من أقواله الحكيمه التى كان يبعث فيها الشعور لسامعيه على لزوم التخلق بالسجايا الحسنه اقتداء به، لأن كان حريصا على توجيه المجتمع، و التحلى بآداب الاسلام.

اداء الأمانات الى أصحابها

ركز الامام الصادق على أداء الأمانات، من ذلك وصيته للمفضل بن عمرو، قال عليه السلام: «أوصيك بست خصال تبلغن شيعتى»: «أداء الأمانه الى من ائتمنك، و أن ترضى لأخيك ما ترضى لنفسك، و اعلم أن للامور أواخر فاحذر العواقب، و أن للأمور الفتات فكن على حذر، و اياك [صفحه ۱۸۸] و مرتقى جبل اذا كان المنحدر و عرا، و لا تعدن أخاك ما ليس فى يدك و فاؤه» [۲۴۴] .

الدعوه الى العمل الصالح و الالتزام بالمنهج الأصيل

من ذلك ما أوصى به أصحابه يقول عليه السلام: «أوصيكم بتقوى الله و أداء الأمانه لمن ائتمنكم و حسن الصحبه لمن صحبتموه و أن تكونوا لنا دعاه صامتين. قالوا: يا ابن رسول الله و كيف ندعو و نحن صامتون؟ قال عليه السلام: «تعملون بما أمرناكم به من العمل بطاعه الله، و تعاملون الناس بالصدق و العدل، و تؤدون الأمانه، و تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر، و لا يطلع الناس منكم الا على خير فاذا رأوا ما أنتم عليه علموا فضل ما عندنا فتنازعوا اليه» [۲۴۵] .

التربيه على الصمود و الثبات و الالتزام

قال لأحد أصحابه عليه السلام: «قد كان قبلكم قوم يقتلون و يحرقون و ينشرون بالمناشير، و تضيق عليهم الأرض برحبها فما يردهم عما هم عليه شى ء مما هم فيه، من غير وتره و تروا من فعل ذلك بهم و لا أذى، بل ما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد، فاسألوا درجاتهم و اصبروا على نوائب دهركم تدركوا سعيهم...» [۲۴۶] . ثم يقول عليه السلام: «صبروا النفس على البلاء فى الدنيا، و ان تتابع البلاء فيها، و الشده فى طاعه الله و ولايته، و ولايه من أمر الله بولايته.. فاتقوا الله و سلوه أن يشرح صدوركم للاسلام، و أن يجعل ألسنتكم تنطق بالحق حتى يتوفاكم و أنتم على ذلك، و أن يجعل منقلبكم منقلب الصالحين». [

[صفحه ۱۸۹]

الانضباط و التقیه

یقول علیه السلام: «و الله ما الناصب لنا حربا بأشد علینا مؤونه من الناطق علینا بما نکره، فاذا عرفتم من عبد اذاعه فامشوا الیه وردوه عنها» [۲۴۷] و له بعض الرسائل الی أصحابه منهم أبویعفور بالکوفه قائلا: أقرئه السلام صلی الله علیه و قل کن علی ما عهدتک علیه [۲۴۸] .

التحذیر من التعاون من السلطه

قال علیه السلام لأحد کتاب بنی أمیه: «لو لا أن بنی أمیه وجدوا من یکتب لهم و یجبی لهم الفی ء و یقاتل عنهم لما سلبونا حقنا» [۲۴۹] . و فی وصیه له لابن النعمان یقول علیه السلام: «من قعد الی ساب أولیاء الله فقد عصی الله. و من کظم غیظا فینا لا یقدر علی امضائه کان معنا فی السنام الأعلی. و من استفتح نهاره باذاعه سرنا سلط الله علیه حر الحدید و ضیق المجالس» [۲۵۰] .

تطهیر الاعتقاد من الغلو و الرجاء الکاذب

قال له رجل: ان قوما من شیعتکم یعملون بالمعاصی و یقولون: نرجو، فقال: «کذبوا لیسوا من شیعتنا کل من رجا شیئا عمل له، و الله ما شیعتنا منکم الا من اتقی الله» [۲۵۱] . و سئل علیه السلام عما روی عن أبیه الباقر علیه السلام: «و اذا عرفت فاعمل ما شئت» و ان بعضهم یستحل بعد ذلک کل محرم فقال علیه السلام ما لهم لعنهم الله انما قال أبی [صفحه ۱۹۰] «اذا عرفت الحق فاعمل ما شئت من خیر یقبل منک» [۲۵۲] هذه شذرات و هی غیض من فیض أردنا من خلالها أن نلمح الی الخط التربوی الخاص للامام الصادق علیه السلام الذی یصب فی النهایه فی الخط التربوی العام لیحقق الهدف المنشود و هو نشر المعارف الاسلامیه و تحصین الأمه و صیانتها من الانحراف، و بالتالی ضمان سیرها الخط المستقیم نحو تحقیق سعاده الفرد و سعاده الجماعه من أی عرق أو لون. وفقنا الله للعمل فی سبیله و مرضاته لنبقی جمیعا علی خط الاسلام العظیم، انه السمیع المجیب. [صفحه ۱۹۱]

انسانیه المذهب الجعفری

اشاره

کلمه انسان: مثنی لکمه أنس و منها کلمه انسانیه. و الانسانیه صفه عالمیه لا تقف عند الحدود الدولیه و لا الفوارق العرقیه و لا الاختلافات الطائفیه. و من هذه الصفه النبیله یصبح الناس اخوه فی القارات الخمس من الکون، توحدهم الانسانیه فی الشکل و المضمون، لا تحدها سماء و لا أرض. أهدافها المحبه التی تعشق الخیر، و العداله التی تعشق الحق، و السعاده التی تعشق الانسان فی حرکه صاعده الی تصرفات مثالیه عند بنی البشر من کل عرق و لون. فی هذا الجو الانسانی العظیم تتوافق المفاهیم بین الروحانیات و بین المحسوسات؛ تلک الروحانیات العبادیه التی

تهذب النفس و تقوم الضمير و تمنح المرء شفافيه نبيله خيره. و من هذا المنطلق الحميم يعيش الانسان فكره مواساه الضعيف، و رحمه العاجز الفقير، فيتعاطف مع الانسان لمجرد انسانيته و يجاهد فى دفع الظلم عن المظلومين و فى سلخ الحرمان عن المحرومين. و بذلك يسود التراحم و التواصل و التسامح و يرحل البؤس و الحقد و سفك الدماء. و عندها تصل الانسانيه الى حد الغيره على البشر عامه فيتمنى كل فرد من أبناء الأرض نعيم الدنيا و نعيم الآخره مرشدا المنحرفين و متسامحا مع المخطئين، و متعاطفا مع الصالحين، و مجاهدا مع المجاهدين ضد الظلم و الظالمين. [صفحه ۱۹۲] و انسانيه الفقه الصادقى تنبعث من قلب التشريعات التى أصدرها و تظهر فى كل تشريع للأحكام الالهيه و قد حرستها العصمه حراسه أبديه. هذه الانسانيه تفصح عنها فصول من المجموعات الفقهيه التى استنبطها الامام الصادق عليه السلام من القرآن الكريم، والسنه النبويه الشريفه، و العلم المعصوم، و آلاف المواد التى قررها الامام جاءت متكامله من أجل الانسان، شامله المناحى الحياتيه فى العبادات و المعاملات لتؤلف دستورا عظيما يزخر بتفاعلات خيره تحيى فى الانسان انسانيته بعدما هجرها الحكام و قتلها الملوك الطغاه فى داخل الفرد فنزعوا حريته و خدروا اسلامه عن طريق الترغيب و الترهيب. هذه المبادى ء الانسانيه الحيه قررها الامام الصادق عليه السلام فى مبادئه قولا و مارسها عملا، طوال امامته التى استمرت من (۱۱۴ – ۱۴۸ ه). ثم نبه أتباعه و أصحابه الى التعاطى معها بصدق و اخلاص لكى لا تتشوه مبادى ء المذهب الجعفرى، فردد على مسامعهم مرات عديده عبارات رادعه راحمه تحركهم فى النمط المثالى الانسانى. من هذه العبارات قوله عليه السلام: «كونوا لنا زينا،

و لا تکونوا علینا شینا». و قوله واعظا أحد أتباعه بعد أن علم أنه اقترف اثما: «ان الحسن من کل أحد حسن و انه منک أحسن، لمکانک منا، و ان القبیح من کل أحد قبیح، و انه منک أقبح لبعدک عنا» [۲۵۳] . و الامام الصادق علیه السلام انطلق فی أحکامه من مفاهیم القرآن الکریم لیکتب الانسانیه بحروف مضیئه فی عباراته: «لا اکراه فی الدین قد تبیین الرشد من الغی» [۲۵۴] . الامام الصادق أدرک مضی الآیات القرآنیه فی البناء الاجتماعی التسامحی للاسلام، و قرأ سیره الأنبیاء الأخیار و تعلم علومهم، فهو سلیل النبوات، و حفید الرسول الأعظم محمد بن عبدالله صلی الله علیه و آله و سلم الذی تقلب فی الأصلاب الطاهره، قال [صفحه ۱۹۳] تعالی: «و تقلبک فی الساجدین» [۲۵۵] أبوه الامام الباقر، وجده الامام السجاد، و جد جده الامام علی بن أبی طالب الذی خلف فی شیعته طریقه (التدوین) و الذی یقول فیه الرسول صلی الله علیه و آله و سلم: علی مع القرآن و القرآن مع علی و لن یفترقا حتی یردا علی الحوض». و بالتدوین الفقهی استقر المذهب فی صدور الحفظه و النقله، من أمیرالمؤمنین (علی) الی بنیه و بخاصه الامام زین العابدین و الامام الباقر و الامام الصادق الذی نسب الیه المذهب. ثم عملت مجالسه فی نشره کمثل عمل التدوین فی استقراره. أدرک الأئمه الذین تتلمذوا له و تلامیذهم أمورا ترفع مجلس الصادق فوق المجالس، سواء مجالس أهل السنه أو مجالس أهل البیت علیه السلام. لمح الصادق و مضات الانسانیه تشع من مسیره، ابراهیم، خلیل الرحمن، الذی شدد مره فی تطبیق الشریعه الاسلامیه بعدما شاهد الطغاه العصاه یقترفون الذنوب و یبدعون الجرائم،

فطلب لهم الموت. عنـدها ناداه الرحمن: يا ابراهيم، العباد عبادی دعهم یعیشون. ثم جاءه العتاب مره ثانيه عنـدما رفض استضافه رجل مجوسی لاشراکه، يا ابراهيم لقد استضفته ثمانين عاما، أما تستضيفه ليله واحده... فكان ابراهيم بعد ذلك أواها حليما منيبا. قال تعالی: «ان ابراهيم لحليم أواه منيب» [۲۵۶] . فانسانيه الامام الصادق عليه السلام لا تتعدى حدود الله تعالى، انما كانت تطلب الرحمه للنـاس عن طريـق التـوبه، التـوبه المحـدثه بلسـان العزه. قـال تعـالی: «و لله العزه و لرسـوله و المـؤمنين ولكن المنـافقين لا يعلمون» [۲۵۷] و جاء فی دعاء الامام عليه السـلام: «يا ابن آدم كن من شـئت، و افعل ما شـئت فتعال الى فبابى مفتوح لک» هو [صفحه ۱۹۴] دعـاء يحمـل فی طيـاته معنی التوسـل الخـاشع و يطلب الرحمه الواسـعه، و لا تبـديل لأحكام الله جل و علا. أما عن العناصـر التی رفعت مجلس الصـادق فوق المجـالس و جعلت أصول الفقه الجعفری و فروعه سائره مع الركبان مـدى الزمان فهی كما نراها: ۱- أن الامـام جعفر الصـادق موصـى اليه من أبيه الامام الباقر عليه السـلام. ۲- السـنه عند الشـيعه ثبتت عن طريقه بعد استشـهاده و عنه روى الآلاف من العلمـاء الثقه و عنهم جاءت الأحاديث المرويه من كتبهم، و هـذا ما جعل الامام الصادق يقف بين العلمـاء جميعا فی مكان خاص. ۳- ان الآراء الفقهيه فی أصول الـدين و أصول الفقه و فروع المعاملات و العبادات سـيراها اللاحقون منسوبه اليه. و ربمـا اقترن به أبوه الامام الباقر عليه السـلام أو أشـير الى رأی جـده الامام السـجاد عليه السـلام لكن نبع العلم الآلهی منه هو الأكثر و الأشهر. و اذا كان التاريخ لم يعرف اماما فی السنن من درجته، أو

اماما فی الفقه من مرتبته، فالتاریخ کذلک لا یعرف اماما اجتمعت له الامامتان مثله الزمنیه و الروحیه فتغاضی عن الأولی و عصم نفسه من تولید الفتنه و اراقه الدماء. ۴- کان الامام الصادق ثقه مطلقهمن جمیع أئمه المسلمین، و یستوی فی ذلک من أهل السنه أئمه الرأی و جمیعهم تلامیذه، و من أئمه الحدیث فهو فی القمه منهم، و روایته علیه السلام یوثقها الشافعی واضع الأساس العلمی لقبول الحدیث، و علماء الجرح و التعدیل: کیحیی بن معین و أبی حاتم و الذهبی و ابن جنبل. کما بایعه امام أهل البیت عمه بن زید علی زیدالعابدین و یضعه موضع الامامه فیقول: «فی کل زمان رجل من أهل البیت یحتج به الله علی خلقه و حجه زماننا ابن أخی جعفر لا یضل من کان من شیعته و لا یهتدی من خالفه». ۵- الامام الصادق هو الامام المعصوم من صلب آبائه و أجداده، أول و آخر امام من الله علیه بفرصه ذهبیه لقیام مدرسته الشهیره فی أواخر الدوله الأمویه المشغوله عنه بتثبیت دعائمها المهتزه، و أوائل عهد الدوله العباسیه، التی تمد الیه [صفحه ۱۹۵] بسبب من الوئام أو الخصام، و آصره من النسب، تساعدانه و تساعدانها – و هی ترفع شعار أهل البیت و الدفاع عن الدین. و بهذا أتیحت للأمام علیه السلام حریه الجلوس لکل الناس، و التدریس لکل العلوم، «فسالت الأباطح باعناق المطی الیه» من بقاع العالم، فی حقبه ممتازه من التاریخ العالمی و الاسلامی. ۶- بحذقه و بعد تفکیره طمأن الحکام و الملوک فی الدولتین، و کانوا سفاحین ظالمین فلم یتعرض لامامه أو خلافه، کما یقول الشهرستانی و أبونعیم فی الملل و النحل و حلیه الأولیاء: «ما تعرض

للامـامه قط و لا نازع فى الخلافه أحـدا. و من غرق فى بحر المعرفه لم يطمع فى شط. و من تعلى الى ذروه الحقيقه لم يخف من حط». ۷- هو الامام الـذى أتيـح له على مـدار ثلث قرن من الزمان بعد موت أبيه سـنه ۱۱۴ ه أن يكون «الامام» فى عصـره، حيث امتد به عصـر سـلام حقيقى و ضـرورى لنشـر العلم، باطمئنان طالبه، و واهبه و الدوله التى ينتشر فى رعاياها. هذه العناصر جميعها الـتى لم تجتمع لواحـد من آبـائه أو أبنـائه، هى التى سوغت لمن تبع فقه من الشـيعه أن يطلقوا على مـذهبه المـذهب «الجعفرى» الـذى لم يكن فى صـميمه الاـ مـذهب «على» عليه السـلام و لكن السـماء تحول بركاتهـا بـاذن من الله لبعض الأسـماء فى شـكل خطوط. و كان الامام جعفر الصادق بن محمد الباقر جديرا بنعمه السماء بقدر ما كافح و صدق فى خدمه الاسلام. و ما كان على عليه السـلام بحاجه الى من يخلـد اسـمه، فالاسـلام فى أعظم أيامه يقترن باسم على، قدر ما اقترن اسم على بالنبى و بيت النبى. و قـد حمـل المـذهب اسـم جعفر لأـنه صـاحب مـدرسه، نهلـت منه السـنه الصـحيحه، و مصـادر الفقه العظيم، و ترسـخ منه المنهج السياسـى و الاجتماعى و الاقتصادى الذى نهجه تابعوه، و روى عنه الآلاف الذين روى عنهم أمثالهم. و انتشر المذهب كالشمس المضـيئه فى البلاد لا يحجبه حاجب و لا يقف أمامه حاجز. و كسـبت الأمم من علم الأئمه كسبا كبيرا مباركا و اقترنت أسماؤهم كاقتران [صـفحه ۱۹۶] أسـماء أصـحاب الكشوف بكشوفهم و أربـاب الابتكـارات بفتوحهم و لم يكن ذلـك صـدفه. و انما هو توفيق من الله للانسانيه و للناس جميع الناس،

لتكريم الأمم و سعاده البشريه و تقدمها ففتحوا أرض الله لعباده، و كانوا خلفاءه الذين مكنهم من أنعم السماء و سنن الأنبياء و اكمال رساله الأوصياء. و بذلك استمر ضوء الفكر الانسانى فى اشراقه و تألقه حفزا للعزائم و ظهورا للعلم. و أين الكشوف و التجارب التى اكتشفها العلماء من كشوف [۲۵۸] الشريعه الاسلاميه بتمامها و كمالها، و من امام فى الصدر من أئمتها، و طأنصوصها، و أصل أصولها، و قعد القواعد لها، و أقام على الأرض دولا باقيه بقاء الزمان، و مجتمعات سعيده خالده بخلود الاسلام ينسب المذهب فيها الى صاحبه، فيكون المذهب «الجعفرى» أو المذهب «الامامى» المنسوب الى الامام جعفر الصادق و الى القول: «بامامه الأئمه الاثنى عشر». عمل الامام الصادق عليه السلام فهى فقهه عملا كاملا شاملا على جميع المستويات، فعلى المستوى الانسانى وجدناه يرفق بالانسان و يصونه فى نفسه و أشيائه، حريصا على التناسب مع العقل و عدم التهاون فى أحكام الله، و على المستوى العلمى: أعطى الامام الصادق عطاء مباركا فى جميع العلوم الكيميائيه، و الطبيعيه، و الطبيه، و الاجتماعيه، والفلكيه، و الانسانيه فنمت كل تلك البذور التى بذرها و أصبحت مفاتيح صالحه و مفيده لنهضه العلوم الذهبيه فى العصر العباسى. و على المستوى السياسى: قرر نظام الحكم، و أصل الأصول، و فصل أخلاق السلطان و أخلاق الفقيه، و شرح العلاقه الصحيحه بينهما فقال عليه السلام: «الفقهاء أمناء الرسول، فاذا رأيتم الفقهاء قد ركبوا الى السلاطين فاتهموهم» [۲۵۹] . و فى هذا المجال ركز الامام عليه السلام على عنصر العداله لأنها مصدر السعاده [صفحه ۱۹۷] الانسانيه، و أساس الملك الصحيح فى جميع البلدان و كل الأحوال. و الله تعالى أمر حكامه بالعدل سواء

أكانوا أصـدقاء أم أعداء «يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شـهداء بالقسط و لا يجرمنكم شـنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هم أقرب للتقوى و اتقوا الله ان الله خبير بمـا تعملون» [۲۶۰] . و اقامه العـداله يعنى اقامه الحدود، حدود الله التى جاهد الامام الصادق من أجلها بكل ما لديه من طاقه، لكن سـلاطين الاسـلام اسـتغلوا تشريعات اقامه هذه الحدود للايقاع بأعدائهم، فما كان منهم الا أن وجهوا التهم الى المناوئين لسـياساتهم، فأقاموا حدود القتل و سـفلك الدماء ظلما و جورا. فراعته تلك التصـرفات الظالمه مما دفعه الى اعلان تشريع يصون حقوق الانسان فى مواقف التعدى و الافتراء. فقال: «ان الاسلام قيد الفتك» [۲۶۱] . و اقامه الحدود كمـا يرى الامـام الصـادق يجب أن تراعى الانسـانيه فى مراقبه التنفيـذ، و قـد مر عليه السـلام فى يـوم بـارد، و اذا برجـل يضـرب بالسـياط. فقال: «سبحان الله فى مثل هذا الوقت يضرب!... فقيل له: و هل للضرب وقت؟ قال: نعم، اذا كان فى الحر ضرب فى برد الليل و اذا كان فى البرد ضرب فى حر النهار» [۲۶۲] . «و لا يقام الحد على المريض. كما لا يزاد فى الحد جلده واحده»، «و لكل شى ء حـد و لمن تجاوز الحـد حد» [۲۶۳] . و عنـدما كـان باسـتطاعته صون دم الفرد، كان يصونه مقابل التوبه اسـتلهاما لما فعله جـده الامـام على بن أبى طالب عليه السـلام عنـدما أتاه مـذنب و طلب التطهير باقامه الحـد، أجابه الامام يا سـبحان الله! أين باب التوبه؟ «لا طهاره أفضل من التوبه» [۲۶۴] . كما رصد الامام الصادق للنيه و الندامه فى العقوبات فقال: «اذا جاء السارق [صـفحه ۱۹۸] من قبل نفسه تائبا

الی الله عزوجل ترد سرقته الی صاحبها، و لا قطع علیه» [۲۶۵] . و سئل عن السبب، فأجابهم معللا اجتهاده: «اذا أقر الرجل علی نفسه فذاک الی الامام، ان شاء عفا، و ان شاء قطع» [۲۶۶] و الاعتراف کما هو معروف ندم و توبه، و ثواب التوبه النصوح الغفران و العفو.

منهجیه الصادق الفقهیه

اشاره

استنبط الامام الصادق الأحکام الشرعیه من مکامنها الأصلیه: القرآن الکریم، و السنه النبویه، و سیره الأئمه المعصومین من آبائه و أجداده. ضم کتاب الله توجیهات الأحکام المجمله، و بقی شرحها و تفصیلها للنبی صلی الله علیه و آله و سلم الذی بین الأصول و معظم الفروع. و بقیت قضایا جزئیه لم یتوفر الدواعی لبیانها لعدم الحاجه الیها، و لأن حکمه التبلیغ المتدرجه تباعا اقتضت أیضا تقسیم الأحکام، و نشأ جمله منها یبینها الأوصیاء و العلماء. قال الامام الصادق علیه السلام: علمنا من کتاب الله تعالی اذ یقول سبحانه: «و نزلنا الیک الکتاب تبیانا لکل شی ء» [۲۶۷] و قال علیه السلام: «کل ما نحتاج الیه نعلمه، أما سمعت قول الله تعالی: «و کل شی ء أحصیناه فی امام مبین» [۲۶۸] .

السنه النبویه

نهل الامام الصادق من السنه النبویه الشریفه حتی أصبح وارثا لعلم الأنبیاء. و لا یخفی ما للسنه من أثر فی شرح و تبیان کتاب الله لیسهل علی الناس تناوله بیسر [صفحه ۱۹۹] و سهوله. و قد صرح الامام بهذا المخزون الثقافی العظیم فقال علیه السلام: «علمنا من علم الأنبیاء» [۲۶۹] .

مسیره الأئمه

من هو الامام؟. النبی صلی الله علیه و آله و سلم یجب أن یکون فی الذروه من الصفات الکریمه و الغایه فی الأخلاق الحمیده، فمنه یتعلم الناس الأخلاق و عنه یأخذون الکمال، و کل ما أوجب للنبی صلی الله علیه و آله و سلم من الصفات الخیره، و السجایا الحمیده، هی متعینه للامام من بعده، لأنه القائم مقامه، و الناشر لأحکامه و المبین حلاله من حرامه. اذا لا بد للرسول صلی الله علیه و آله و سلم أن یقیم للناس بأمر من الله تعالی الامام لیقیم لهم الدین، و یبین لهم معالم الخیر، یثیب المحسن، و یعاقب المسی ء، یعلمهم الأحکام، و یوضح لهم الحلال من الحرام، تقام لدیه الشهادات، و یقیم للناس الحدود [۲۷۰] . و الامام الصادق علیه السلام سار بسیره آبائه المعصومین و بصوره خاصه أمیرالمؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام، فجمع آراءهم الفقهیه و أحکامهم الشرعیه التی أغنت الفقه الاسلامی فکانت کامله شامله.

علم المعصوم

شرح الامام الصادق علم الأئمه المعصومین بقوله: «علمنا نکث فی القلوب و نقر فی الأسماع» [۲۷۱] و یعنی: تفکر و الهام. و لا ریب أن علم المعصوم یرفض العلم بالقیاس المطلق المبنی علی المقدمات المتناقضه. [صفحه ۲۰۰] هذه الینابیع الأصلیه الصافیه بقیت عند الامام الصادق علیه السلام تتدفق فی تیاراتها الالهیه خالصه من شوائب المدلسین و المنحرفین الذین یحکمون بغیر ما

أنزل الله تعالى أحكامه، و استمرت تتألق على صدر الزمان و تتوهج فى ذهن الانسان لما لها من مقدرات انسانيه.

الاتجاه الانسانى فى التشريع الصادقى

فى البناء الاجتماعى

صدر عن الامام الصادق عليه السلام تشريعات اجتهاديه متفرده فى الحقل الاجتماعى حيث شدد على حسن التعامل بين الأفراد بروح الضمير الاسلامى. و الضمير ككل ملكات الانسان يمكن أن ينمى بالتربيه و يضعف بالاهمال. فاهمال الوجدان تضعف قوته أو تموت. قال تعالى: «أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا» [۲۷۲] . ان هدايه القلب ثمره من ثمرات الايمان بالله تبارك و تعالى. قال تعالى «و من يؤمن بالله يهد قلبه» [۲۷۳] ان حياتنا و سعادتنا فى هذه الدنيا، متوقفه على الأمانه فى عملنا، و الواجب يقضى على كل فرد فى المجتمع أن يلبى صوت الضمير، فيقوم بواجبه خير قيام دون خوف أو طمع. هذه القوه المتركزه فى أعماق نفوس البشر و فى طبائعهم تطالبهم بالدقه و الاتقان و الاخلاص فيما يعملون، لأن الأمه التى تفقد ضميرها تفقد سعادتها بكل ما فيها من أفراح و مباهج و طمأنينه. بل قل انها تفقد حياتها!. و قد ركز القرآن الكريم فى عده آيات على الأعمال الصالحه التى هى نتيجه الضمير الحى و الشعور بالواجب، قال تعالى: «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا و

لا يشرک بعباده ربه أحدا» [۲۷۴] لقد جعل الله العمل الصالح بمثابه الایمان بالله و العلم العاطل بمثابه الشرک بالله. [صفحه ۲۰۱] و من أعمال الضمیر الاسلامی الأمانه التی تبارکها و تقدسها جمیع الأدیان السماویه و لا تبیح خیانتها الفوارق المذهبیه قال الامام الصادق فی الأمانه تتبعها (الودیعه): «ترد الی البر و الفاجر» [۲۷۵] فقد ألغی علیه السلام اباحه مال الفاجر فی تشریعات کثیرین من الفقهاء. و لتسهیل حاجات الانسان و اشاعه المعروف فی المجتمع حث الامام الصادق علی القرض الحسن لما له من أثر جمیل فی تمتین أواصر المحبه و التعاون بین أفراد المجتمع الواحد، فقال علیه السلام: «لئن أقرض قرضا أحب الی من أن أتصدق بمثله» [۲۷۶] . فالقرض هنا بمنزله الصدقه بل ربما هو أفضل اذ أنه یحفظ المال لصاحبه، و یصون کرامه المقترض، فلا یحوجه الی ذل السؤال. جاء فی الحدیث الشریف: «الید العلیا خیر من الید السفلی». أما الدین، فقد شدد علیه کثیرا حتی أنه شبه المدین المتهرب عن وفاء دینه بالسارق فقال علیه السلام: «من استدان دینا و لم قضاءه کان بمنزله السارق» [۲۷۷] نری فی هذه المشابهه تأنیبا رادعا للمدین یطاله معنویا و مادیا، ففیه صفه الاحتیال و السرقه، و اقامه الحد المادی أی العقاب الجسدی. و کما ذکرنا أن من خصائص الفقه الصادقی تعلیل الشرائع باتجاه انسانی یوثق العلاقات الاجتماعیه بین الأفراد و یضمن تماسک المجتمع. یتوضح ذلک من جواب الامام الصادق لما سئل: لماذا حرم الله الربا أجاب: «لئلا یتمانع الناس المعروف» [۲۷۸] . [صفحه ۲۰۲] و لا یخفی علی أحد أن التشریعات الصادقیه تتمیز بمیزه خاصه و هی ارتباطها بالأحکام الالهیه. قال الامام الصادق فی ذلک:

«من حکم بـدر همین بغیر مـا أنزل الله، عزوجـل، فهو کافر [۲۷۹] . أمـا عن الشـروط المخالفه لکتاب الله قال: «من اشترط شـرطا مخالفـا لکتـاب الله عزوجـل، فلاـ یجـوز علی الـذی اشـترط علیه، و المسـلمون عنـد شـروطهم فیمـا وافـق کتـاب الله [۲۸۰] هذه الخصـائص منحت الفقه الصـادقی سـمه الخلود و البقـاء، کمـا منحته صـفه الاطلاـق حتی غـدا منهلاـ یرده الفقهاء لیسـتنبطوا منه القواعد الشـرعیه. مثال قاعده: «من أتلف مال غیره فهو له ضامن» مستنبطه من قول الامام الصادق: «من أضر بطریق المسلمین فهو له ضـامن» [۲۸۱] . و للامـام الصـادق معالجـات انسـانیه مثـالیه فی الحقـل الاقتصادی غریبه جـدا فی تفردها، متمیزه فی أسـلوب أدائها. و لا عجب فی ذلک فهو امام معصوم تخلق بأخلاق الأوصـیاء و سـلک طریق الأنبیاء. من هذه المثالیه الانسانیه نذکر قصه فی الاحتکـار: فی احـدی السـنین انقطع الطعام عن المـدینه المنوره، و کان الناس یشترون طعامهم یوما بیوم، فقال الامام الصادق علیه السـلام لبعض خـدمه: کم عندنا من الطعام؟ قال: ما یکفینا أشـهرا، قال: أخرجه، و بعه. فقال الخادم: لیس فی المدینه طعام، قـال الامـام: بعه. فلمـا بـاعه قـال له: «اشتر مع الناس یوما بیوم». و جاء فی کتاب الوسائل: ان أهل المـدینه أصابهم قحط، حتی أن الرجـل الموسـر کـان یخلـط الحنطه بالشـعیر، و یأکله، و کان عنـد الامام الصادق علیه السـلام طعام جیـد، فقال لخادمه: «اشتر لنا شعیرا، فاخلط بهذا الطعام» [۲۸۲] ، و بع القمح، فانا نکره أن نکره أن نأکل جیدا و یأکل الناس ردیئا «فتأمل هذه المواساه للناس و تأمل هذه المساواه مع الآخرین، [صفحه ۲۰۳] انها صادره عن نفس طاهره، و قلب رحوم، عطوف یحس مع المحرومین

و يتعـاطف مع المعوزين. هـذا الـدأب المثـالى و هـذه الأخلاق النبيله نهلها من جـده أميرالمؤمنين على بن أبى طالب الـذى قال: «أأقنع من نفسـى بأن يقال أميرالمؤمنين و لا أشاركهم فى مكاره الـدهر؟ أو أكون أسوه لهمفى خشونه العيش» [۲۸۳] . فى حين دأب ملوك و سـلاطين المسـلمين (الخلفـاء) على اغتصـاب مـا فى أيـدى النـاس فى حـالتى الرخـاء و الشـده، لـذلك قال الامام الصـادق: «كل مغصوب مردود» [۲۸۴] . ذكرت المصـادر أيضا أن أجود المقنيات كان يصادرها الملوك و يضـمونها لأملاكهم أو يهبونهـا لزوجـاتهم و أقربـائهم. فـانتقوا الأفضـل و خصـوا أنفسـهم بالطيبـات وتركـوا عـامه الشـعب يعـانى الحرمـان و البؤس. فبالأعمال تتميز الرجال! أين هؤلاء الذين تسـموا بالخلفاء من سـليل الأنبياء الذى امتلك الحنطه و بدلها بالشعير ليأكل كما يأكل الناس، كان منهم و لهم، أحس باحساسـهم و شاركهم فى سـرائهم و ضـرائهم مستلهما قول جده أميرالمؤمنين فى وصيته لمالك الأشتر عندما ولاه على مصر قائلا له: «.... فانهم صنفان اما أخ لك فى الدين أو نظير لك فى الخلق.».

التشريع الصادقى للحريه

أقر الاسـلام الحريه فى كـل أبعادها الحياتيه و رفض العبوديه بشتى أشـكالها الا عبوديه الله سـبحانه و تعالى. قال تعالى: «ان هـذه أمتكم أمه واحـده و أنـا ربكم فاعبـدون» [۲۸۵] كمـا حـارب الرق و شـجع على العتـق و جعله فى أولويه الكفـارات. نظر الامـام الصـادق عليه السـلام الى حاجـات الانسان الغريزيه، فرأى أنه نفس تعشق الحريه و لا تقنع بالقضايا الماديه المكنونه فى الجسـد، فجاهـد بكل ما لديه من قوه من أجل حركه المجتمع الحر فى عصـر فيه الحكام على قتل الحريه فى الفرد [صـفحه ۲۰۴] المسلم فأماتوها بالقهر و الكبت بعدما بدلوا شريعه الله و

عطلوا حدوده. ذهل الامام الصادق أمام هذا الواقع الأليم، فقابله بتشريعات جريئه أعادت الى نفوس المسلمين طمأنينه الاسلام و هزت ضمير المنصور العباسى أكثر من مره، مما دفع هذا الحاكم الظالم الى رفع السيف مره و الى التهديد و الوعيد مرات أخرى. لكن جرأه الامام الصلبه و ثقته بنفسه و ايمانه بالله تعالى جعلته يقابل سيف المنصور بابتسامه هادئه، و وعيده بكلمات واعظه. و قد سئل عليه السلام أى الجهاد أفضل؟ فقال عليه السلام: كلمه حق عند امام ظالم» [۲۸۶] . و قد كتب اليه المنصور: ألا تغشانا كما يغشانا سائر الناس؟ فأجابه عليه السلام: ليس لنا ما نخافك من أجله، و لا عندك من أمر الآخره ما نرجوك له و لا أنت فى نعمه فنهنئك، و لا نراك فى نقمه فنعزيك بها، فما نصنع عندك؟. فكتب اليه: تصحبنا لتنصحنا. فأجابه عليه السلام: من أراد الدنيا لا ينصحك، و من أراد الآخره لا يصحبك. فقال المنصور: و الله لقد ميز عندى منازل الناس: من يريد الدنيا، ممن يريد الآخره» [۲۸۷] . انها جرأه نبويه و قوه علويه أحيت فى نفوس المسلمين حريتهم الميته، و مكنتهم من الصمود فى وجه الظلم و مقاومه الظالمين. ثم تحدث عليه السلام عن نوع آخر من الحريه الانسانيه تكمن فى كيفيه انتساب الفرد الى المجتمع، فنهى عن اضافه النفس للغير لما فيها من عبوديه آنيه، و هى متفشيه اليوم فى بعض مجتمعاتنا على أكثر من صعيد. قال عليه السلام مخاطبا الشباب: «يا معشر الأحداث، اتقوا الله، و لا تأتوا الرؤساء، دعوهم يصيروا أذنابا، و لا تتخذوا الرجال و لا تبح من دون الله» فهو يرفض و يحذر بصراحه من التبعيه و العبوديه المتمثله فى عبوديه الطبقات

الاجتماعيه و المذاهب السياسيه و التقاليد المتوارثه عبر الأجيال. [صفحه ۲۰۵] كما نهى عليه السلام عن اجاره النفس لما فيها من تحديد للرزق، و يطلب الى الفرد أن يبقى حرا فى كسب عيشه فلا يوكل نفسه الى عبد، بل يتكل على الله عزوجل رازق العباد و رب العالمين. قال عليه السلام: «لا يؤجر الانسان نفسه، ولكن يسترزق الله عزوجل، و يتجر، فاذا أجر نفسه فقد حظر» [۲۸۸] العمل الحر فى التجاره و الزراعه و الصناعه يبعد الانسان من تأجير نفسه للآخرين و يجعله حرا فى كسب عيشه يعيش من كد يمينه و عرق جبينه ينظم وقته كما يريد و يعمل بارادته ساعه يشاء و كيف يشاء فلا سلطه تأمره و تراقبه و تحاسبه، حر فى طريقه عمله، وحر فى كسب عيشه. كما شرع الامام الصادق عليه السلام لمنع الفتنه بين الناس فخطط لمحاربتها و خنقها فى مهدها عن طريق الاصلاح الاجتماعى. لأن الاصلاح بين أفراد المجتمع يجعلهم متعاونين متماسكين فيما بينهم كالجسد الواحد اذا أصيب عضو منه تداعت له سائر الأعضاء بالحمى و السهر. أما الفرقه و الخصومه فانها تثير بينهم الخلافات و الشغب و الفتن و قد استعملها الحكام للتمكن من القهر و التسلط، كما نراها اليوم شعار المستكبرين من الدول الكبرى (فرق تسد). لذلك شرع الامام الصادق تشريعا انسانيا لوأد الفتن فى مهدها... أمر أن يقتطع مبلغ من مال المسلمين للاصلاح بين المتخاصمين، و هذا مما يشيع الموده و الصفاء و المحبه بين أفراد المجتمع. كان يضع أموالا بتصرف القيمين على شؤون الناس، و يأمرهم بصرفها من أجل الاصلاح بين أفراد الرعيه فى حال وقوع نزاعات. «قال سعيد بن بيان: مر بنا المفضل و أنا

و ختن نتشاجر فی میراث فوقف علینا ثم قال: تعالوا الی المنزل، فأتیناه و أصلح بیننا بأربعمائه درهم، دفعها الینا من عنده، حتی یستوثق کل واحد منا، و لما أردنا أن نشکره قال: و انها لیست من مالی، فالامام الاصادق أودعنی مالا و أمرنی اذا تشاجر رجلان فی شی ء أن أصلح بینهما و أفتدیهما من ماله» [۲۸۹] فهل نشاهد الیوم من یقوم بمثل هذه الأعمال یدفع من [صفحه ۲۰۶] ماله الخاص من أجل أن یصلح بین المتخاصمین؟. نعم، اننا نجد من أتباع الامام الصادق فی عصرنا و فی أی عصر من یقتدی به و بالأئمه المعصومین علیهم السلام. و لا ریب أن هذه التصرفات النبیله ترقی الی أرفع درجات الانسانیه فی المجتمعات الموغله فی الحضاره. فسلام علیک أیها الصادق النبیل و سلام علیک أیها المصلح الاجتماعی الجلیل عملت فأصبت و اجتهدت فأحسنت و کنت کآبائک الأئمه المعصومین شاهدا ناطقا بالحق یحب فی الله و یکره فی الله و یصلح بین عبادالله.

الاتجاه الانسانی للعلم الصادقی

فی سنوات قلیله من عمر الزمن جاء الامام الصادق فملأ الدنیا بعلمه وازدهرت آلاف الکتب بأحادیثه القیمه و آرائه الصائبه، ألقی فیها علی طلابه مختلف العلوم و صنوف المعارف، فحلقه للحدیث، و أخری للفقه، و ثالثه للتفسیر، و رابعه للفلسفه و الالهیات و خامسه للریاضیات، و سادسه لبحث الأفلاک و مدارات الشمس و القمر و النجوم. حتی أنهم شبهوا دار الامام علیه السلام بالجامعه، تشمل جمیع الاختصاصات. قال الأستاذ محمد صادق نشأت - أستاذ بکلیه الآداب بجامعه القاهره - ما خلاصته: ان دار الصادق کانت کجامعه کبیره تموج بالحکماء و أهل العلم. یجیب علی أسئلتهم، و یحل مشاکلهم، دون التفات الی نحلهم و مذاهبهم

أو فروقهم و مقاصدهم و قد جمع أصحابه المقربون اليه دروسهم فى أربعمائه كتاب، سموها: الأصول الأربعمائه. و ان الرساله التى أملاها على المفضل بن عمر للرد على العالم الدهرى المعروف بابن أبى العوجاء، تشير الى منزله الصادق و احاطته العجيبه بأنواع المعارف و الفنون» [۲۹۰] . أدرك الامام الصادق أن العلم أنجع وسيله للانسان كى يكتشف ذاته، و ما يحيط به من الموجودات لمعرفتها و الافاده منها، كما أدرك أيضا الحكمه اللازمه [صفحه ۲۰۷] من وجودها فأكد على حقيقه الانسان بما هو انسان، أى على حقيقه الجوهريه التى تختلف بتباين عن حقيقته العرضيه. لجأ الى العلوم يستنطق كنوزها المخبوءه، فتمثل العمل فى اثبات الخالق فكلما تقدم الانسان أكثر فى اكتشافاته العلميه كلما آمن أكثر بقدره الخالق العظيم رب العالمين. عمل جاهدا على تطوير المعرفه لترقيه الحضاره الانسانيه، و لا ـ ننسى أنه عاش فى زمن كثرت فيه الفرق و المذاهب من مانويه، و مزدكيه و دهريه و مرجئه و قدريه... عملت بعضها على اشاعه الالحاد، و انكار وجود الخالق. عندها انبرى لهم الامام الصادق يدحض آراءهم و يفند حججهم و يبين مغالطهم مستخدما بذلك الأساليب العلميه التى استخدموها على غير حقيقتها، فكانت الرسائل. من أشهر رسائله ما عرف «بتوحيد المفضل» و هى عباره عن املاءات أملاها الصادق عليه السلام على تلميذه المفضل بن عمر الجعفى ردا على عبدالكريم بن أبى العوجاء و أصحابه.. أظهر الامام الصادق فى مباحثه هذه علوما متطوره تنبى ء عن معرفه متعمقه للعلوم الطبيعيه النباتيه و الحيوانيه و الانسانيه، تناولها بمنهجيه دقيقه من حيث التكوين و النمو و الغذاء و العطاء. و رأى فى كماليه خلقها كمال الخالق العظيم، و فى معرفتها تتكشف لها

الکثیر من الأسرار البعیده التی یفید منها الانسان کثیرا فی حیاته الخاصه و العامه فیتجاوز المشقات الجسدیه و یتفادی الآلام النفسیه. بدأ الامام الصادق بالانسان مرافقا مراحل تطوره و عملیه وظائف أعضائه. و لا مجال لحصرها جمیعها لکثره عناوینها و بعد ایحائها. منها: «ولاده الجنین و غذاؤه» [۲۹۱] و «حال المولود فیهما عاقلاـ و تعلیل ذلک» [۲۹۲] . «ثم الحواس الخمس و أعمالها و ما فی ذلک من أسرار» [۲۹۳] ثم أبان وظائف الأعضاء مشیرا الی نعمه الحواس الخمس ثم «قوی النفس و موقعها من الانسان» [۲۹۴] ثم أشار الی دور النور و الهواء فی ادراک الألوان و الأصوات و لا یکون ذلک الا بعمل و تقدیر من لطیف خبیر جل و علا. [صفحه ۲۰۸] و علل فائده وجود الشعر و الأظافر و دورها فی تخفیف آلام الجسد. قال علیه السلام: «اعلم أن آلام البدن و أدواءه تخرج بخروج الشعر فی مسامه، و بخروج الأظافر من أناملها» [۲۹۵] ثم أتحفنا بنظریات متطوره أدرکها العلم فی عالم النبات. قال علیه السلام: «یامفضل لألقین علیک من حکمه الباری جل و علا تقدس اسمه فی خلق العالم و السباع و البهائم و الطیر و الهوام و کل ذی روح من الأنعام و النبات....» [۲۹۶] . لقد نسب الروح للنبات کما تنسب للأنعام. فللنبات حس و حرکه اکتشفها العالم الفیزیولوجی الفرنسی (بیثا) المتوفی سنه ۱۸۰۲ م. کما ظهرت دراسات حدیثه فی القرن العشرین تکشف تحرک النباتات و انفعالاتها بالحر و البرد و الظلمه و النور، و الفرح و الحزن و الضحک و البکاء.. و دراسته ما وراء هذه الفطریات تدل علی عظمه الخالق و حکمته سبحانه و تعالی فی خلق

الکون و ما فیه من أسرار عجیبه تجعل جمیع الخلق یؤمنون بقوه و عظمه الخالق العظیم لو تأملوا ملیا فی المخلوقات. و نقطه أخری تؤکدها هذه الدراسات و هی العمق المعرفی عند الامام الصادق علیه السلام فی منهجه العلمی لخدمه الانسان فی کل زمان و مکان. و ما نرید بیانه و التأکید علیه هذه المسحه الانسانیه فی التشریع الجعفری هی التی کتبت له الخلود و ألبسته الحیاه وسط اضطهاد مریر و محاصره شدیده من فعل السلاطین العباسیین. لأن الفقه الجعفری منطلق فی أحکامه من کتاب الله، لا یقر الحکام الظالمین فی أیدیولجیته و لا یرضی بوجود سلطان یتهاون بأمور الشریعه و یجهل أحکامها و یعبث بمقدرات الأمه و کرامتها. لکن الامام الصادق علیه السلام امام معصوم صبر علی هذه المکاره و تحمل الأذی، و قابل الأحقاد بالمحبه و السیئات بالحسنات و حقد السلطان بابتسامات هادئه و غضبه بکلمات حکیمه یلفها الوهج و تتألق بالرصانه و الوقار. کل ذلک من [صفحه ۲۰۹] أجل اصلاح الأمه و بناء مجتمع انسانی سلیم یسوده العدل و ینعم به أهله بالسعاده و الطمأنینه. تعرض الامام الصادق الی المضایقات بشتی ألوانها، و تعرض الفقه الجعفری الی الالغاء بطرق بربریه تعرت من الانسانیه و لبست لباس الوحشیه أولها قتل القاده من حمله الفقه الجعفری و نهایتها دس السم للأئمه المعصومین و منهم الامام الصادق نفسه قضی بالسم علی ید المجرم الحاقد المنصور العباسی فی شهر شوال من العام ۱۴۸ ه علی ید محمدبن سلیمان والی المدینه، و فی کل عصر مجاهدون شرفاء و فی کل عصر مجرمون خبثاء. لقد لاقی حمله الفقه الجعفری التعذیب حتی الموت فعرفوا بشهداء المذهب الجعفری، الشهید الأول محمد

بن مکی الجزینی (۱۳۳۳ - ۱۳۸۴ م) و الشهید الثانی زین الدین الجبعی (۹۱۱ ه - ۹۶۵ ه) و الشهید الثالث العلامه آیهالله محمد باقر الصـدر علی ید طاغیه العراق صدام حسـین. و الیوم شـهداء المقاومه الاسـلامیه فی جنوب لبنان و البقاع الغربی هم من أتباع الامام الصادق جعفریون، حسینیون، علویون یحاربون الظالمین لاحقاق الحق و ازهاق الباطل: ان الباطل کان زهوقا. و من الحمله علی اغتیـال الرجـال الی اغتیـال الفکر فقـد فرض الحکام العباسـیون (المنصور) الحظر علی المسافرین من حمله الکتب الفقهیه و منعوهم من التجوال فی البلاد الاسـلامیه. لکن هـذا الحظر و هـذا التشـدد فی المراقبه لم یمنع المذهب الجعفری من الانتشار، بل ربما ساعد علی انتشاره أکثر، فکان الاضـطهاد عاملا ایجابیا صبغ التشریعات الجعفریه بالبقاء و حماها من الفناء. و ما کان یجری فی الواقع أن سـائر المـذاهب الأـخری قـد نهلت من نمیر المـذهب الجعفری و اعتمـدته فی بلـدانها. مثل الطلاق و الارث و سائر المعاملاـت. و السـبب فی ذلـک المسـحه الانسـانیه المسـیطره علی هـذا المـذاهب الـذی هو فی الحقیقه مـذهب أهل البیت علیه السلام.

صمود المذهب الجعفری أمام الحکام

یبـدو لنـا بوضوح أن عـدم التأثر بآراء الحکام هو الـذی أوجـد تلک المرونه فی [صـفحه ۲۱۰] المذهب الجعفری، لأنه اسـتقی مبـادئه من ینبوع أصـیل لم یکـدر صـفوه التعلیم الاسـتعماری بمـا فرضه علی العلم و العلمـاء، و لمـا کـان غلق باب الاجتهاد من مقترحـات الـدوله و تشـریع السـیاسه، لم یلتزم المـذهب الجعفری به، و لم یخضع لـذلک النظـام الجـائر الـذی یفضـی مؤداه الی الجمود الفکری و تحجیر العقل، ورد نعمه أنعم الله بها علی هذه الأمه [۲۹۷] ومن الواضح أن عدم الالتزام بما تفرضه الدوله یعد خروجا عن

طاعه حکامها، و ذلک یستوجب المقاومه و العقاب. و قد عرف معتنقو مذهب أهل البیت علیهم السلام بأنهم لا یرون لزوم طاعه أولئک الحکام الـذین تربعوا علی عرش الخلافه بدون حق، لذلک لم یتعاونوا معهم و لم یؤازروهم اقتداء بأئمتهم و اتباعا لأوامر الرسول صـلی الله علیه و آله و سـلم فی مقـاطعه الظلمه، و حرمه معـاونتهم. و الطبقه الحـاکمه تعـد من لا ـ یؤازرها و یتعاون معها خارجـا عن طاعتهـا و خصـما یجب القضـاء علیه، لأـن عـدم التعـاون مع الـدوله یعنی عـدم الاعتراف بأهلیتها و هـذا ما یؤثر علی اسـتمرارها و بقائها. و لولا فیض من القدسیه فی مبادئه، و قوه روحیه فی تعالیمه، و عنایه الخالق الحکیم بخلقه لتمکنت السلطات بمحاولاتها المتعدده من القضاء علیه، لکن هذه المحاولات الآثمه ذهبت دون جدوی، و کان نصیبها الفشل و نصیبه النجاح.

التشیع و المذاهب الأخری

أخـذ أئمه المـذاهب أنفسـهم عن أهـل البیت و جعلوا ذلـک فخرا لهم و سـببا لنجاحهم. فأبوحنیفه (۸۰ ه – ۱۵۰ ه) أخـذ بأقوال الامام علی بن أبی طالب علیه السـلام حتی جعلوا ذلک من مرجحات مذهبه علی غیره من المذاهب لقول النبی صـلی الله علیه و آله و سـلم «أنـا مـدینه العلم و علی بابهـا» و کـان أبوحنیفه یفتخر بالأخـذ عن الامـام الصادق علیه السـلام و یقول: «لولا السـنتان لهلک النعمان». مالک بن أنس (۹۳ ه – ۱۷۹ ه) هو أیضا أحد تلامیذ الامام الصادق و عنه [صـفحه ۲۱۱] أخذ الشافعی (۱۵۰ ه – ۱۹۸ ه) الـذی لا ـ یروی الا عن علی بن أبی طالب لـذلک اتهموه بالتشـیع فافتخر قائلا: أنا الشـیعی فی دینی و أصـلی بمکه ثم داری عسقلیه بأطیب مولد و أعز فخر و أحسن مذهب

یسمو البریه [۲۹۸] . و کذلک الامام أحمد بن حنبل (۱۶۴ ه – ۲۴۱ ه). کان یفضل الامام علی بن أبی طالب علی الصحابه جمیعا، و سئل یوما عن أفضل أصحاب الرسول صلی الله علیه و آله و سلم فقال: أبوبکر ثم عمر ثم عثمان، قیل: فعلی؟ قال: سألتمونی عن أصحابه و علی نفس محمد صلی الله علیه و آله و سلم. الی غیر ذلک مما یطول ذکره، علی أننا نجد أهل المذاهب متفرقین فیما بینهم کل یذهب الی رجحان مذهبه و بطلان غیره، و یقیم کل فریق أدلته للغلبه و الظهور علی الآخر. فی حین أنهم جمیعهم قد أخذوا عن الامام الصادق علیه السلام. لکن الغرض أن أخذ الشیعه عن أهل البیت انما هو لدلاله الکتاب و السنه، و بدون ضروره للأخذ بأصول الدین و فروعه عنهم: فهم سفینه النجاه و أمان الأمه، و باب رئیس من دخله کان الآمنین، و العروه الوثقی التی لا انفصام لها، و أحد الثقلین لا یضل من تمسک بهما و لا یهتدی من ضل عن أحدهما. و هنا لا بد لنا من أمن نرید توضیحه: و هو أن کل المعارضات التی أجهد الساسه أنفسهم فی ترکیزها و آزرهم علی ذلک جماعه من المرتزقه باعوا ضمائرهم بأبخس الأثمان انما کانت بعیده کل البعد عن الواقع، و لا نجد من أولئک المتشدقین بذم الشیعه و الحط من کرامه أهل البیت من أقام دلیلا منطقیا یستطیع أن یثبت من خلاله ذلک الذم، و انما هم متکسبون مهرجون، و الدین منهم براء.

انتشار المذهب الجعفری

قلنا ان المذهب الجعفری هو مذهب أهل البیت الذین أذهب الله عنهم [صفحه ۲۱۲] الرجس و طهرهم تطهیرا، و هو

أقدم المذاهب نشأه و أقواها عاملا. فقد تكون فى عهد صاحب الرساله صلى الله عليه و آله و سلم فهو أول من وضع بذره التشيع فى حقل الاسلام، يوم غرس دوحه شريعته الغراء جنبا الى جنب، و لم يزل غارسها صلى الله عليه و آله و سلم يتعهدها بالسقى و العنايه حتى نبتت و نمت فى حياته، ثم أثمرت بعد وفاته، حيث استمر أهل بيته و خلص أصحابه بتعهدها. و قد قام كل منهم بما يجب عليه من رعايتها، و تحمل من نكبات و اضطهاد فى سبيل حفظها من تلك السلطات التى كانت تحاول القضاء عليها للقضاء على آل محمد صلى الله عليه و آله و سلم. و قد وقفوا أمام تلك التيارات وقفه اخلاص و ايمان و ثبات على مبدأ الحق، و لم يأبهوا يوما بسلطه أو سياسه.

معارضه المنصور و الرشيد للمذهب الجعفرى

كان المنصور يأمل بالامام أبى حنيفه عندما رعاه بعنايته و نصره فقدمه على كثير من الفقهاء ليوجد منه شخصيه علميه تقف أمام انتشار المذهب الجعفرى. و لكنه سرعان ما خاب أمله، و فشلت خطته. فهذا الامام أبوحنيفه نفسه يصرح للملأ بأنه ما رأى أعلم من جعفر بن محمد عليه السلام و أنه أعلم الأمه [۲۹۹] . و سأله رجل يوما عن انسان وقف ماله للامام فمن يكون المستحق؟ فأجاب أبوحنيفه: المستحق هو جعفر الصادق لأنه الامام الحق [۳۰۰] . ثم جاء الرشيد و بذل كل ما فى وسعه لتحويل أنظار الناس عن آل محمد فأظهر تعظيم مالك بن أنس، و كان يجلس بين يديه تأدبا يتعلم منه العلم، و يأمر خواصه و أولاده باحترامه. ثم قرب اليه الشافعى و نظر اليه نظره عطف و حنان لأنه قرشى

و أرسله الى مصر بصحبه الوالى و أمره باكرامه و احترامه و أعطاه سهم ذى القربى. و عامل أهل البيت بالقسوه و الشده و تتبع أنصارهم، و القضاء على من اتهمه فى موالاتهم، حتى أنه ثقل عليه أن يكون على بن أبى طالب عليه السلام رابع الخلفاء فحاول أن ينفى ذلک و يعاقب من يثبته. [صفحه ۲۱۳] قال أبومعاويه: دخلت على هارون الرشيد فقال لى: يا أبامعاويه هممت بمن أثبت خلافه على فعلت به و فعلت. قال أبومعاويه: يا أميرالمؤمنين. قالت تيم: منا خليفه رسول الله. و قالت عدى: منا خليفه رسول الله. و قالت بنوأميه: منا خليفه الخلفاء، فأين حظكم يا بنى هاشم من الخلافه؟ و الله ما حظكم الا ابن أبى طالب [۳۰۱] و بهذا استطاع أبومعاويه أن يصرف الرشيد عن رأيه. و مضى فى سياسته العمياء التى لا تفرق بين الحق و الباطل محاولا قلع بذره جبهم التى زرعها الرسول صلى الله عليه و آله و سلم. و رغم تلک المحاولات الفاشله بقى المذهب الجعفرى ينتشر فى العواصم و يتسع فى الأقطار حتى كثر أتباعه و شاع بين الناس. و انتشر المذهب الجعفرى فى جميع البلاد الاسلاميه بقوه مقوماته من دون عوامل الترغيب أو استنادا الى السلطه الحاكمه التى ساندت المذاهب الأخرى، و كان أول ظهور الشيعه فى الحجاز، و هى أول أرض بذرت فيه بذره التشيع. و فى القرن الرابع الهجرى انتشر بصوره ظاهره فى المدينه المنوره. كما انتشر التشيع فى بلاد الشام و كان أبوذر الغفارى رضوان الله عليه هو الذى نشر المذهب هناک، و لا يزال فى قريه الصرفند بين صيدا و صور مقام معروف باسم أبى ذر اتخذ مسجدا معمورا. و اليوم يوجد

عـدد كبير قـد شـغلوا مناصب مهمه فى اداره البلاد السوريه، و منهم العلماء و الأطباء و كبار التجار، و تقام عندهم مآتم عاشوراء علنا فى عاصـمه الأمويين، و يحضـرها الكثير من أهل السـنه، و الخطيب يصـدح بمخازى معاويه و فضائح يزيد و جرائم بنى أميه مسـتنبطا ذلـك من التاريـخ الصـحيح. جـاء فى خطط الشام: «و فى دمشق يرجع عهـدهم (الشـيعه) الى القرن الأول للهجره، و فى أكناف حوران و هم مهاجره جبل عامل و فى شـمال لبنان و المتن و البترون و هم مهاجر بعلبك، و لا يقل عدد الشيعه فى الشام من الاماميه عن مئتى [صفحه ۲۱۴] ألف نسمه» [۳۰۲] أما جبل عامل فقد كان بدء التشيع فيه بفضل الجهود التى بذلها المجاهد فى سبيـل الله أبوذر الغفارى رضوان الله عليه، و انتشـر بسـبب دعوته. و كانت الحركه العلميه واسـعه فيه و ما زالت. و للشـيعه فى جامعه النجف الأشـرف جماعه غفيره تخرج منها عـدد كبير من العلماء و حمله دعوه الاصـلاح. و منهم المجتهـدون المجاهدون فى نصـره الدين و جمع كلمه المسـلمين كالعلامه المجاهد محمد باقر الصدر رحمه الله عليه. و فى حمص قرى للشيعه خاصه، و فى المدينه نفسـها جماعات ظاهره و مسـتتره، و فى أعمال ادلب قرى الغوطه و نبل وفوعه و غيرها، و كلها شـيعه و فيها الى اليوم بنو زهره نقباء الأشـراف فى مدينه حلب، و كل هؤلاء من بقايا زمن الحمدانيين و من فلول شـيعه حلب يوم تشتت شملهم [۳۰۳] يشـير بـذلك الى الكارثه التى أصابت الشـيعه عنـدما أفتى الشـيخ نوح الحنفى بكفر الشـيعه و اسـتباحه دمائهم تابوا أم لم يتوبوا، فقتل بسبب هذه الفتوى أربعون ألفا من

الشیعه، و نهبت أموالهم و أخرج الباقون الی القری. و انتشر المذهب الجعفری فی حلب بصوره ظاهره و أصبح لهم قوه لا یستهان بها حیث استطاعوا منع سلیمان بن عبدالجبار صاحب حلب عن بناء المدرسه الزجاجیه و ذلک حوالی سنه ۵۱۷ ه. ثم سری التشیع فی أفریقیا بانتشار عظیم الی أن قاومته السلطه، یوم کان أمیر أفریقیا المعز بن بادیس، فانه فتک بالشیعه فتکا ذریعا و ذلک فی عام ۴۰۷ ه عندما أوقع بهم وقیعه کبری. و برروا ذلک أنهم سبوا الشیخین و هی ماده کان یطبقهاالولاه علی من یریدون الفتک به من أی الفرق. و ذلک أن المعز بن بادیس مر علی جماعه من الشیعه فی القیروان و قد سأل عنهم، فلما أحس الناس من المعز المیل عنهم انصرفت العامه من فورها الی مجتمعات الشیعه، فقتلوا منهم خلقا کثیرا و توجه الجند للنهب، و شجعهم عامل [صفحه ۲۱۵] القیروان فقتل منهم خلق کثیر و أحرقوا بالنار، و نهبت دورهم، و تتبعوهم فی جمیع أفریقیا، و اجتمع جماعه منهم الی قصر المنصور قرب القیروان فتحصنوا به، فحصرهم العامه وضیقوا علیهم، فاشتد علیهم الجوع فاقبلوا یخرجون و الناس یقتلونهم حتی قتلوا عن آخرهم، و لجأ منهم جماعه الی الجامع فی المدینه فقتلوا کلهم [۳۰۴] . و هذه احدی النکبات الفظیعه التی لاقاها التشیع و قد ذاقوا مثلها ما هو أمر و أمر. و مع ذلک و مع هذه الاضطهادات، فان التشیع الیوم منتشر فی أفریقیا الوسطی و الجنوبیه بما یقارب العشره ملایین نسمه. و فی أندونیسیا ازداد عدد الشیعه فأصبح یقدر بثمانیه ملایین نسمه و للعلویین هناک الید الطولی فی نشر المذهب الجعفری، و کان

منهم العلامه السيد محمد عقيل صاحب المؤلفات القيمه ك«نصائح الكافيه» و «التعب الجميل» و «تقويه الايمان» و «القول الفصل» و كان يقيم فى سنغافوره. و كانت لهم أنديه أدبيه تربط أواصرهم. أما فى مصر فقد انتشر التشيع من انتشار الاسلام بواسطه أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الذين شهدوا فتح مصر، و هم المقداد بن الأسود الكندى و أبوذر الغفارى، و أبورافع، و أبوأيوب الأنصارى، فهؤلاء و أحبابهم كانوا دعاه التشيع و أنصاره. و لما دخلها عمار بن ياسر أيام عثمان بن عفان دعا الى التشيع و تمثلت الناس به حتى أصبحت البلاد كلها الى جانب الامام على عليه السلام و أجمعوا على مقاومه عثمان. و بعد عمار دخلها قيس بن سعد واليا فأكمل طريق عمار و ركز دعائم التشيع أكثر فتعالت أسهمه و كثرت جنوده، لكن بدخول عمرو بن العاص، المعروف بدهائه و مكره، تأخرت حركه التشيع و استمرت على هذه الحال من الجمود الى أن زال ملك الأمويين، فأظهر المصريون ما انطوت عليه قلوبهم من الولاء [صفحه ۲۱۶] لعلى عليه السلام و تنفسوا الصعداء. و لا زال التشيع يظهر فى مصر حينا و يختفى حينا آخر حسب العوامل التى تدعو الى اخفائه و ظهوره، و اليوم الذى يزور مصر يلاحظ و يرى أن المذهب الجعفرى منتشر هناك و تعتنقه جماهيره غفيره. و فى الهند ظهر التشيع و انتشر بسبب الروابط المتصله بين العرب و الهنود. و بمساعى المرشدين الذين دخلوا بلاد الهند من الشيعه اعتنق المذهب الجعفرى جماعه كبيره من الوثنيين، و منهم جماعه كثيره باقون الى اليوم و لهم امارات فى جميع الأقطار الهنديه، و لايخلو بلد منهم، و

هناک بلد تختص بهم و هی: لکنهور، المرکز الوحید للشیعه فی الهند و عاصـمه مملکه أوده الفانیه و منبع علمائها قدیما، و تعد الیوم من أکبر البلاد العلمیه، و فیهـا مـدارس عربیه أهمهـا: الجـامعه السـلطانیه، و منها مـدرسه الواعظین و هی تختص بالتبلیغ. و المـدرسه النـاظمیه الـتی أسسـها العلامه أبوحسن کمـا أسـس الجـامعه السـلطانیه. و فی لکنهور الشـی ء الکثیر من آثـار الشـیعه کالمساجد و الحسـینیات و من البلدان جانبور، تبن آباد، مظفرآباد، لاهور، بنجاب [۳۰۵] . و فی ترکیا ظهر المذهب الجعفری و انتشـر بصوره مکشوفه فکثر أتباعه و تزاید مناصـروه، لکن السلطان سلیم المتوفی سنه ۹۲۶ ه قاوم الشـیعه و قتل منهم خلقا کثیرا. یقول ابراهیم الطبیب الأول للجیش الترکی: و کان السـلطان سـلیم شدید التعصب علی أهل الشـیعه، و لا سـیما أنه کان فی تلک الأیام قد انتشـرت فی رعایاه تعالیم شـیعیه تنافی مذهب أهل السـنه، و کان قد تمسک بها جماعه من الأهالی، فأمر السلطان سلیم بقتـل کـل من یـدخل فی هـذه الشـیعه، فقتلوا نحو أربعین ألف رجل، و أخرج فتوی شـیخ الاسـلام بأنه یوافق علی قتل الشـیعه و اشهار الحرب ضدهم [۳۰۶] . [صفحه ۲۱۷] و مع هذا الاضطهاد فاننا نجد الیوم فی ترکیا عددا کثیرا منتشرین فی أطراف البلاد. و فی السـعودیه، القطیف و جوارها نجـد جماعات شـیعیه و فی الاحساء و قاعـدتها (هفوف)، و کـذلک فی قطر، یوجد کثیر من الشـیعه، و لاـ یزال من الاحسـاء و القطیف فی النجف الأشـرف مهـاجرون لتحصـیل العلم الـدینی، علم أهل البیت. و منهم علماء مبرزون و أدباء معروفون لهم مکانتهم الأدبیه. و فی البحرین للتشیع مکانه، و لأهله قوه، و قد برز

علمـاء خـدموا الأـمه الاسـلاميه، بمؤلفاتهم القيمه و آثارهم الجليله، التی تعـد الواقع من أفضل التراث الشـيعی، و لهم فی النجف الأشـرف الآـن بعثـات تتلقی العلوم الـدينيه و منهم علماء و أدباء و شـعراء قاموا بـدور عظيم فی خـدمه المـذهب الجعفری. و فی الأفغان انتشـر التشيع منـذ زمن بعيـد، و يقـدر عـددهم اليوم بعشـره ملايين، و يوجد منهم فی النجف الأشـرف الآن بعثات يقدر عـددهم بنحو ثلاـثه آلاـف نسـمه منهم من يـدرس الفقه الجعفری، وقـد برز منهم علمـاء مبرزون لهم مكـانه علميه عاليه. و قبل نصف قرن تقريبـا هـاجر كثير من الشـيعه السوريين و من اللبنانيين (جبل عامل) لتحصـيل العيش فی أمريكا، فعلموا فی التجاره و الزراعه، و هم ذوو شأن و عزه يقيمون هناك شعائر الاسـلام، فبنوا مساجـد فخمه فی الولايات المتحـده و يقـدر عددهم بمليون نسـمه. كما دخل المـذهب الجعفری الی الصـين منذ القرن الرابع و فی البلاد الروسـيه كان للشـيعه دور بارز حيث أقاموا الشـعائر الـدينيه بحريه واسـعه كبلاـد بخاری و القوقاس. و كانوا قبل الحرب العالميه يتواردون بكثره لزياره المشاهـد المقـدسه و يفـدون مهاجرين لطلب العلم، و الی اليوم نجـد جماعه منهم فی النجف الأشـرف حالت دون وصولهم لأوطانهم صـعوبات كبيره فی ظل هذه السـلطه الحاكمه. أما العراق، و ما أدراک ما العراق، فقد انتشـر فيه مذهب أهل البيت فی الصدر الأول من عصـر الاسلام، و قام بذلک أصحاب الرسول صلی الله عليه و آله و سلم المجاهدون، فی [صفحه ۲۱۸] الكوفه، و المدائن، و البصره. لكن الكوفه تميزت بصـبغتها الاسـلاميه العلويه، و قـام فيهـا رجال الـدعوه فی الـدفاع عن أهل البيت، و تحملوا فی عهـد معاويه و ابنه الطاغيه المجرم

یزید الکثیر من المصائب و البلاء، و یکفی مأساه کربلاء و قتل سیدالشهداء الامام الحسین بن علی علیه السلام ابن بنت رسول الله و أحد السبطین الکریمین. و فی المدائن انتشر التشیع هناک علی ید الصحابیین الجلیلین سلمان الفارسی و حذیفه بن الیمان، و کذلک الأمر فی البصره و غیرها من مدن العراق من الشمال الی الجنوب حیث انتشر التشیع بصوره ظاهره، و العراق الیوم معروف بتشیعه لأهل البیت و ولائهم للعتره الطاهره فی معظم سکانه. فالشیعه هم الأکثریه فی العراق، قاوموا ظلم الأتراک بثورات متلاحقه سجلها لهم التاریخ بکل فخر، و قاوموا أیضا الاستعمار الانکلیزی بکل ما لدیهم من قوه، و ما زالوا حتی الیوم یقاومون و یجاهدون. و فی ایران کانت قم وحدها فی القرن الأول شیعیه و سار التشیع بخطی ثقیله ثم انتشر فی بلاد ایران بصوره تدریجیه علی ممر الأدوار، حتی أصبحت ایران الیوم کلها شیعیه حکومه و شعبا، و قامت بخدمه المذهب الجعفری و نشر مآثر أهل البیت و مناصره المحرومین فی جمیع البلدان الاسلامیه، وفی الیمن یوجد عدد کبیر من الشیعه نشروا التشیع فی بقاع الیمن منذ صدر الاسلام. هذه أهم الأصقاع التی تنبسط فیها منابت الشیعه الذین أحدثوا فی جمیع أصقاع العالم جالیات تعمل علی نشر المذهب الجعفری و شرحه و بیان مضامینه و کانت لهم مواقف مشرفه فی مقابله الظالمین لا أثر فیها للغش والخداع، و لا یشوهها کسب الجوائز و طلب المناصب. و ما نلفت الیه عند المسلمین تأثرهم بآداب الاسلام و ثقافته، و عنایتهم بالأفکار العمیقه و المعانی الدقیقه، و تمیزهم بالعواطف الثوریه التی کانت سببا فی استنهاض الأمه من کبوتها، و ایقاظها من غفلتها. و نقطه

هامه أخرى يجدر الالتفات اليها و هى أن تاريخ الشيعه الغنى جدا بالمآثر لم يدرس دراسه سليمه ترفع الستار الذى يكتنف مبادئهم و تطورهم، اذ أن المصادر التى يستمد منها الباحثون معلوماتهم عن الشيعه مضطربه و لا تصل بهم الى الحقيقه، سواء أكانت عن قصد [صفحه ۲۱۹] أم عن غير قصد، لأنها مصادر محدوده لم تسلم من سيطره التعصب الأعمى و تغليب الأهواء الخاصه و التحيز البغيض. و لا ننسى فى هذا المجال كتاب الفرق الذين سلكوا طريق الافتراء و التحامل، فلم يكتبوا للعلم بل كانت معظم كتاباتهم مجرده تجريدا واضحا عن كل ما له صله بالحقيقه. و هذا ما يجب علينا بيانه و توضيحه. كما يجب على طلابنا فى دراساتهم و أبحاثهم أن يكشفوا الحقائق بكل جلاء و وضوح و يبينوها أمام الملأ العام بأسانيد علميه موضوعيه.

مدرسه العصمه:تعريف العصمه

العصمه هى التنزه عن الذنوب صغائرها و كبائرها و عن الخطأ و النسيان، و العصمه ملكه الهيه تمنع من فعل المعصيه و الميل اليها مع القدره عليه [۳۰۷] . الدليل على وجوب العصمه: أنه لو جاز أن يفعل النبى صلى الله عليه و آله و سلم أو الامام المعصيه أو الخطأ و النسيان و صدر منه شى ء من هذا القبيل: فأما أن يجب اتباعه فى فعله الصادر منه عصيانا أو خطأ أو لا يجب فان وجب اتباعه فقد جوزنا فعل المعصيه برخصه من الله تعالى بل أوجبنا ذلك و هذا باطل بضروره الدين و العقل و ان لم يجب اتباعه فذلك ينافى فكره النبوه و الامامه التى لابد أن تقترن بوجوب الطاعه أبدا. على أن كل شى ء يقع من النبى أو الامام من قول أو

فعل تحتمل فيه المعصيه أو الخطأ فلا يجب اتباعه فى شى ء من الأشياء فتذهب فائده البعثه [۳۰۸] . و عقيدتنا فى آل البيت عليهم السلام انهم معصومون مطهرون من الرجس تطهيرا و انهم السلسله الطاهره شهد لم القاصى و الدانى بفضلهم و علمهم و ورعهم [صفحه ۲۲۰] و تقاهم، و كانوا الأعلام الهاديه و الكواكب المنيره تهدى الضالين و تنير دروب السالكين. و رغم اقصائهم عن مناصبهم و محاربتهم بلا هواده و من جميع الوجوه ما استطاع مخالفوهم أن يذكروا لهم نقيصه أو عيبا، بل كانوا موضع احترام و تقدير حتى عند أشد الناس خصومه و عداء. و ذلك بفضل علومهم و حاجه طلاب العلم اليهم. و أما الامام الصادق عليه السلام فكان النجم الساطع و العلم الطالع فى القرن الثانى للهجره، فهو الامام المعصوم المعروف بعلمه و عدالته، و زهده و تقاه، و ورعه و خلوصه لربه يرتفع عن كل شين و يتجمل بكل زين، و بقى طوال حياته المثل الأعلى و القدوه الحسنه لجميع الناس. قال مالك بن أنس «ما رأت عين، و لا سمعت أذن، و لا خطر على قلب بشر، أفضل من جعفر بن محمد الصادق علما و عباده و ورعا» [۳۰۹] .

الأدله على عصمه أهل البيت

۱- آيه التطهير: وهى «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا» [۳۱۰] . ما ورد فى الآيه الكريمه حصر اراده ذهاب الرجس، أى الذنوب عنهم بكلمه: انما، و هى من أقوى أدوات الحصر و استحاله تخلف المراد عن الاراده بالنسبه له تعالى من البديهيات لمن آمن بالله عزوجل و قرأ فى كتابه العزيز. و تقريب الاستدلال بها على عصمه أهل البيت عليهم السلام.

۲- و

الآـيه الكريمه: «انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون» [۳۱۱] . و تخريجها على أساس فلسفى من البديهيات أيضا لمن يدرك أن ارادته تعالى [صفحه ۲۲۱] هى العله التامه أو آخر اجرائها بجميع مخلوقاته و استحاله تخلف المعلول عن علته من القضايا الأوليه. و لا أقل من كونها من القضايا المسلمه لدى الطرفين و ليس معنى العصمه الا استحاله صدور الذنب عن صاحبها عاده» [۳۱۲] . ۳- حديث رسول الله لجابر بن يزيد الجعفى فى فضل على و أولاده قال جابر: يا رسول الله و من الأئمه من ولد على بن أبى طالب؟ فقال صلى الله عليه و آله و سلم: الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنه، ثم سيد العابدين فى زمانه على بن الحسين، ثم الباقر محمد بن على، ستدركه يا جابر فاقرأه منى السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم الكاظم موسى بن جعفر، ثم الرضا على بن موسى، ثم التقى محمد بن على، ثم النقى على بن محمد، ثم الزكى الحسن بن على، ثم ابنه القائم محمد بالحق، مهدى أمتى الذى يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت جورا و ظلما، هؤلاء يا جابر خلفائى و أوصيائى و أولادى و عترتى، من أطاعهم فقد أطاعنى، و من عصاهم فقد عصانى و من أنكر واحدا منهم فقد أنكرنى» [۳۱۳] . لقد ثبت بالنص القاطع الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من الحكيم العزيز، و من الرسول الكريم صلى الله عليه و آله و سلم أن هذه الأنوار الالهيه و الأعلام القدسيه شاءها الله عزوجل أن تكون نبراسا هاديا للأمه الاسلاميه تمسح عنها الظلام

و ترفع عن كاهلها الظلامه. و الامام الصادق عليه السلام هو احدى هذه الحلقات المباركه من هذه السلسله الكريمه و لا بد أن ينعكس علمه الغزير و خلقه الطيب و حديثه العطر على الأمه كافه. ينصح المسلمين و يرشد المنحرفين و يجادل الكافرين و الملحدين. و قد عكس علمه و طهارته و خلقه على شيعته و جماعته فأدبهم بأدبه (أدب القرآن) و دفعهم الى التمسك بطاعه الله و ترك المعاصى، مراقبا سلوكهم و طرق معاملتهم، فكان يمنعهم أحيانا من ارتكاب المكروه و يحثهم كثيرا على ما يقرب الناس لآل البيت الأطهار الذين هم ورثه النبى صلى الله عليه و آله و سلم حقا و مدرسه العصمه فى قياده حركه الأمه محاولين بكل طاقاتهم ايصالها الى الشاطىء الأمين و منعها الورود فى [صفحه ۲۲۲] متاهات المذله و حياض المهانه. لأن القائد المعصوم دائما يصحح المسيره و يحفظها من الانزلاق و يدفع عنها ظلم الحكام وعاديات الزمن. من هنا وجدنا الامام الصادق يقوم بدورين هامين طوال حياته: الدول الأول: حفظ المسيره من الانحراف فكريا و سلوكيا. و الدور الثانى: حمايتها من سهام الأعداء التى كانت توجه اليها فكريا و اجتماعيا لارغامها على التراجع أو العمل على تحجيمها. و قد كانت مواقفه عليه السلام النبيله أكثر وضوحا و أشد ثباتا فى حمايه الشريعه الاسلاميه و الدفاع عنها؛ فى الوقت ذاته كان أهل الحكم و الحكومه مشغولين بالجوارى الحسان و القصور الفخمه و الحدائق الغناء يسمعون عزف المطربين و رقص المطربات، و يجمعون فى دورهم المغنين و المغنيات و المخنثين و القيان. و كأنك لا ترى أى أثر من الخلافه الاسلاميه و مقامها السامى النبيل فى قصور أولئك الحكام الذين

جـذبتهم الـدنيا الى مباهجها و ملـذاتها. أما الامام الصادق فكان القلب النابض الحنون و الروح التواقه و الخلاقه و الفارس الهمام المقدام فى حمايه أمه جده و رساله الاسـلام المباركه، و هكذا كانت مواقف آبائه و أجداده انصـهارا كاملا فى الاسلام و ذوبانا مطلقا فى الله. كل ذلك حتى ينمو الاسـلام القويم و يرتفع بناؤه العظيم و يتلى القرآن الكريم بصورت عال حتى يسمع نداؤه فى جميع أقطار الدنيا.

الثوره الصامته

للثوره أسـلوبان: الأول: اسـلوب عـاصف يقلب الأوضاع بسـرعه أو ينتحر. و الثانى: أسـلوب هادى ء كحراره الشـمس التى تنفث بحرارتها و دفئها الى الأعماق فتغلب و تنتصـر بالوعى و الحكمه. و قد ذكروا لكل أسلوب محاسنه و مساوئه و ايجابياته و سلبياته فالثـائر يظهر علنـا للنـاس، و الهادى ء يسـتتر أحيانا و يظهر حينا آخر مراعيا الظروف المحيطه به؛ [صـفحه ۲۲۳] و قد يضـطر الى مسايره السـلطه الحاكمه أو اظهار نفسه معها يتربص بها الدوائر حتى تأتى الساعه المحدده فينقض على الظالمين كالنسـر الصاعق و يجهز على خصـمه. يعمـل بعقله و وعيه ليحقق هـدفه. الثوره العاصـفه تبـدأ بمهـاجمه خصومهـا من بعيـد، أمـا الهادئه فانها من الداخل. وكلاهما يعمل ولكن أسـلوب العمل يختلف، الثوره العاصفه تدمر بقوه و الثوره الهادئه تفتت بقوه ولكن ببطء. الزمن و توقيته هما الرهانان العاملان. والبعض من المفكرين ذكروا أن للثوره الهادئه قوتها و تأثيرها بل أفضليتها على الثوره العاصفه التى سرعان ما تنتهى و تترمـد. و مثلوا: «بالشـمس و الريح». قالوا ان الشـمس و الريح رأيا شـخصا متأبطا معطفا صوفيا فقالت الشـمس للريح: أتستطيعين أن تنتزعى منه هذا المعطف قالت الريح: نعم و بدأت بارسال نفحاتها البارده و كان الرجل كلما

جاءته البروده و أحسن بقوه الريح تمسک بالمعطف أكثر فأكثر حتى عجزت الريح عن انتزاع معطفه و عندئذ تدخلت الشمس فأرسلت شيئا من حرارتها مما جعل صاحب المعطف يتركه رويدا رويدا و كلما قويت الحراره ينزع منه شيئا حتى ألقاه جانبا، و أحيانا لا يعرف الناس قيمه الثوره الهادئه، بل ربما كانوا ينحون باللأئمه على أصحابها، و أنهم متقاعسون، بينما يكون أصحاب الرؤيه الثاقبه و الفكر الناضج أكثر ثوره الا أنهم بحسب رؤيتهم أن التحضير لها لم يحن بعد وقته المناسب و من طريف الأمر أن بعض العلويين لم يكن يلتفت الى هذه القاعده. و كان يرى أن طريقه الثوره العاصفه هى الأصح، و أن الثورى الحقيقى هو الذى يحمل السيف و يخوض المعركه و يثير الناس فى مواجهه الظالم و اذا راجعنا مقدمه الصحيفه السجاديه نجد حديثا من هذا النوع عن يحيى بن زيد بن على بن الحسين عليه السلام الذى كان ثائرا على طريقه أبيه زيد الذى فشل فى ثورته لعدم وجود مقومات كافيه و قتله الأمويون. و نختصر من الحديث الطويل ما نحتاجه هنا: حدثنى أبى المتوكل قال: لقيت يحيى بن زيد بن على بن الحسين بعد قتل أبيه و هو متوجه الى خراسان فسلمت عليه. فقال: من أين أقبلت. فقلت: من الحج. فسألنى عن أهله و بنى عمه فأخبرته بخبرهم و حزنهم على أبيه. فقال: كان [صفحه ۲۲۴] عمى (أباجعفر) أشار على أبى بترک الخروج و عرفه ما صار اليه أمره فهل لقيت ابن عمى جعفرا. قلت: نعم. قال: فهل سمعته يذكر شيئا من أمرى، قلت: جعلت فداک، ما أحب أن أستقبلک بما سمعت منه، فتبسم ثم قال: أبالموت تخوفنى؟ هات ما سمعته يقول. فقلت

له: سمعته يقول (أنک تقتل قتله أبیک) فقال: «یمحو الله ما یشاء و یثبت و عنده أم الکتاب» [۳۱۴] . یا متوکل ان الله أید هذا الدین بنا و جعل لنا العلم و السیف و جعل لبنی عمنا العلم وحده، فقلت: جعلت فداک: انی رأیت الناس الی ابن عمک أمیل منهم الیک و الی أبیک. فقال: ان ابن عمی و أباه دعوهم الی الحیاه و نحن دعوناهم الی الموت. فقلت: فهم أعلم أم أنتم؟ فأطرق رأسه فقال: «کلنا له علم غیر أنهم یعلمون کل ما نعلم و لا نعلم کل ما یعلمون» [۳۱۵] مما یبدو أن هذا الفهم سری حتی عند هؤلاء الثوار الکبار دون أن یدرسوا طبیعه المعرکه و الظروف المؤاتیه لها. و رأوا أن الثوره هی الخروج بالسیف فقط دون الالتفات الی الاعداد و الجهوزیه اللازمه. فقد یزینون للثائر الخروج فیخرج فی عملیه انتحاریه دون أن تؤثر ثورتهم فی الجماهیر شیئا. و من المعلوم أن الثوره بهذا المستوی لا تغیر فی الواقع الظالم شیئا و ان کانت تهز وجدان بعض نفوس الناس العادیین. و ما یراه الثوار الحقیقیون، فهی الثوره الواعیه التی تمهد بتوعیه الجماهیر حتی تصبح القاعده صلبه قویه، فاذا ما انتصرت تتمکن تماما من الامساک بالاراده و السیاسه و المجتمع. و لقد کان الامام الصادق یعمل علی هذا المستوی من التحضیر فیهیء الرجال الاداریین (و الکوادر) الصالحه التی تستلم هذه المؤسسات فی المستقبل. فتحضیر الهیئه العلمائیه یصب بلا ریب فی خدمه الثوره الناجحه. لکن لما کانت الثوره الهادئه لا تعطی ثمارها سریعا و تتربص الدوائر [صفحه ۲۲۵] للانقضاض علی الخصوم کان الکثیر یغفل عن نتائجها و ربما یجهلون أهدافها و استراتیجیتها. و مع

أن الامام الصادق عليه السلام كان يتعاطف الى حد بعيد مع الثوار الأحرار و يدافع عنهم و يدعو لهم و يبارك مسيرتهم و يأمر شيعته باعانتهم لأنه كان يأمل أن مثل هذه الثورات هى التى تحدث هزه كبيره فى وجدان الجماهير الشعبيه التى تهيى ء لاحداث الثوره الشعبيه المظفره. بعض الثورات العاصفه لم يكن لها طابع عام و شمولى كثوره زيد بن على كان لها طابعها الخاص: الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر كما ذكر ابن الأثير عن زيد قوله: «ندعوكم الى كتاب الله و سنه نبيه صلى الله عليه و آله و سلم و الى السنن أن تحيا و الى البدع أن تطفأ فان أجبتمونا سعدتم و ان أبيتم فلست عليكم بوكيل» [۳۱۶] . و قال الطبرى أيضا «و كانت بيعته التى يبايع الناس عليها اننا ندعوكم الى كتاب الله و سنه نبيه صلى الله عليه و آله و سلم و جهاد الظالمين و الدفاع عن المستضعفين و اعطاء المحرومين و قسم هذا الفى ء بين أهله بالسواء ورد الظالمين و اقفال المجمر، و نصرنا أهل البيت على من نصب لنا و جهل حقنا» [۳۱۷] . و الامام الصادق عليه السلام احتضن هذه الثورات لأنه يعتبرها مقدمه تمهيديه للثوره الكبرى، و لذلك أيد عمه زيدا سرا لأن وضعه لم يكن ليسمح له بالتأييد العلنى، و قد أثنى على عمه ورعى أسر الشهداء الذين استشهدوا معه. و هذا يعنى احتضان الثوره الاسلاميه. و هذه بعض أقواله و مواقفه: عن فضيل الرسان قال: دخلت على أبى عبدالله عليه السلام بعدما قتل زيد بن على، فأدخلت بيتا جوف بيت فقال لى: يا فضيل قتل عمى زيد؟ قلت: نعم جعلت فداك. قال: انه كان

مؤمنا و كان عارفا و كان عالما و كان صدوقا أما أنه لو ظفر لوفى، أما أنه لو ملك لعرف كيف يضعها « [۳۱۸] . [صفحه ۲۲۶] و مع كثره الثورات العلويه لم نجد الامام الصادق يولى مزيد عنايه لثوره كثوره عمه زيد. فقدكان يدفع لكل عائله من عياله ألف دينار. و الحقيقه أن زيدا كان معروفا فى نهجه و صلاحه، و كان لا يدعو لنفسه و انما يدعو لخط الامامه المتمثل يومها فى الامام الصادق عليه السلام و لذلك وقف الامام الصادق منه هذا الموقف مع علمه أنه سيلاقى حتفه فى تلك الثوره. لكن الغايه أن مثل هذه الثورات تحرك شعور الجماهير و يبقى الانسان من خلالها يشعر فى الجو الظالم الجائر الذى كان يرزخ على صدور العباد بكل ثقله...

مواقف اماميه فاعله

هدف الرساله الاسلاميه انسانى نبيل يرمى الى تربيه الانسان ليخرج من و حول الجاهليه الى أجواء الفضائل الانسانيه. و لا بد لهذه الرساله من قاده عقائديين رساليين يقدمون النموذج الأفضل فى التربيه و السلوك و التصرف الأمثل فى التفانى لحفظ هذه الرساله الشريفه و الدفاع من كل ضيم أو انحراف. و لما لم يوفق أهل البيت عليهم السلام للامساك بزمام الأمور و قياده الأمه لتكون خير أمه أخرجت للناس، وقفوا فى وجه الظالمين و النمحرفين كأشد ما يكون و منعوهم من بث سمومهم الفكريه فى أذهان الأمه الاسلاميه. فبينما كان الحاكمون من أمويين و عباسيين يغرقون فى بحور متع الحياه البهيميه و اللذات الدنيويه الزائله وقف أهل البيت عليه السلام منهم موقف الأسود الأبطال يذودون عن حياض الاسلام و يمنعون الحكام الطغاه من التفرد بفقراء الأمه فكان لهم الموقف الايجابى المشرف الذى يتلخص بأمرين: الأول:

محاوله القضاء على الانحراف و ارجاع الوضع السياسى الى ما كان عليه أيام النبى صلى الله عليه و آله و سلم. و الثانى: نشر الرساله فكريا و روحيا، و سياسيا و تعميقها فى حياه الأمه الاسلاميه. [صفحه ۲۲۷] هذان الأمران لا يتمان بدفع عاديات الزمان و دحر كل الزنادقه الذين يتربصون بالاسلام الدوائر و يكيدون له المكايد. و فى عصر الامام الصادق عليه السلام ظهر جو الزندقه و الالحاد و ظهرت المانويه و المزدكيه و نشط علماء اليهود و المجوس فى بث أفكارهم و انتشرت الترجمه للفلسفه الاغريقيه و الهنديه و الفارسيه، و فى هذا الجو سمحت الحكومات المتسلطه لمثل هذه الأفكار المسمومه بالانتشار، بل دفعت جهات علميه معروفه للوقوف ضد مدرسه أهل البيت عليهم السلام فى منصب الامامه و أنهم السلسله الطاهره التى شرفها رب العالمين و عصمها من الذنوب. و أبرز هذه المواقف الواضحه و الصريحه كانت للامام الاصادق عليه السلام فهو تاره يرد الشبهات الموجهه سهامها الى الاسلام كالزنادقه و الملاحده و غيرهم و تاره أخرى يرد شبهات العلماء المتفقهين الذين نصبهم الحكام قضاه على الناس مقابل مدرسه أهل البيت فالدوله العباسيه اهتمت على وجه الخصوص بتأييد المدارس الأخرى و حاولت جهدها بجعل المدرسه التابعه لها محط أنظار الناس و كان فى رأس القائمه أبوحنيفه الذى منحه الحكم لقب: الامام الأعظم ليوهنوا من قدر الامام الصادق و أتباعه. و كم من مره جمع المنصور العلماء لمناظره الامام الصادق و يرجعون جميعهم منهزمين. [صفحه ۲۲۹]

الأدب المطبوع عند الامام الصادق

اشاره

اذا قلبنا صفحات الأدب العربى نراه يكاد يغفل صفحات لا تحصى [۳۱۹] من الأدب الحى الذى كتبه أو أملاه رجال الحكمه و الفلسفه و علم الكلام، و رجال

السیر و التراجم و الطبقات و الأسمار و غیرها؛ و السبب علی ما یبدو انشغال الکتاب بأنواع الکتابه الأخری التی کتبت لمقاصد أدبیه صرف، مهما تواضع حظها من جمال التصویر و مهما تدنت قیمتها الفکریه أو الوجدانیه، علی ما حفلت به العصور المتأخره، من ضروب التزویق و التنمیق، و طغیان النزعه اللفظیه و الألاعیب التصنیعیه المختلفه. و علی هذا النحو تقلبت مذاهب النثر العربی و انتهت فی العصور المتأخره الی ما سماه أغلب الباحثین «مذهب التصنیع» [۳۲۰] بعیدا عن الکتابات التی کانت الحیاه فی تلک العصور تملیها علی لسان ابن حزم و ابن خلدون و محی الدین بن عربی و ابن جبیر و ابن بطوطه و غیرهم... و علی هذا النحو حصلت عنایه خاصه، فی تاریخ الأدب، بالشریف الرضی و شعره، و لم یحصل مثلها بأمالی الشریف الرضی و أمالیه الرائعه التی تشق عن قدره بیانیه خارقه، تغذت بعلم غزیر و ذوق بلغ الغایه فی الدقه و جمال التعبیر. [صفحه ۲۳۰] کما حصلت عنایه خاصه أیضا بابن العمید و الصاحب بن عباد و القاضی الفاضل و غیرهم... و لم تحصل بالمسعودی و الطبری و ابن الجوزی و ابن عساکر و لم ینظر الیهم من حیث هم أصحاب أخبار تنفع فی البحوث و الدراسات من هذا الباب، و من باب التضییق الذی أملاه علی أنفسهم، أصحاب الأغراض باسم صراع المذاهب انطمست فی تاریخ هذا الأدب صفحات متألقه من کنوز أهل البیت الأدبیه فی أمالیهم و خطبهم و حکمهم و أدعیتهم، و لم یکد فریق کبیر من الأدباء، یعرف عنها شیئا یغنی. و لو أننا تجاوزنا هذا الخط فی تاریخ الأدب العربی لوجب أن تتعدل کثیر من الأحکام فیه، و لاغتنینا بنصوص أدبیه

عاليه فى قيمها الفكريه مشرقه فى قيمها الفنيه، و لازددنا و عيا بخصائص نوع أدبى عظيم أهملناه و لم نعن به العنايه الازمه، ألا و هو: أدب المناظرات و الجدل، الذى تفرقت نصوصه فى كتب التراث بأسره: فى اللغه و الأدب و الفقه و القضاء و التاريخ و الفلسفه و علم الكلام و التفسير و غيرها...، هذا التراث العظيم العزيز ألفت فيه كتب أغفلها تاريخ الأدب مثل (كتاب الاهليلجه) [۳۲۱] الذى طال الكلام فيه، فى مناظره طبيب هندى لا يؤمن الا بالمعرفه التى تحصلها حواس الانسان، و ينكر أسباب المعرفه الأخرى. و قد تنبه الى هذا الموضوع أبوالحسن على الحسنى الندوى، وكيل ندوه العلماء فى الهند، و عضو مجمع اللغه العربيه بدمشق. فقد جمع فى كتابه: مختارات من الأدب المعرب. نصوصا رائعه من كتب الحديث النبوى و السيره النبويه و الاجتماع و التاريخ، الى جانب نصوص أخرى من الأدب المطبوع الخالص. و قد ألقى باللوم على أدباء العصر الحاضر الذين يهملون ذلك الأدب الحى و يعنون بأدب التصنيع المجمل بالمحسنات اللفظيه و المهارات المعنويه. و بهذا العمل التجميلى يكونون قد ضيعوا على الأدب العربى تراثا ضخما حبره أناس تحلوا بقوه العقيده و صدق الحافز و حراره الحياه، و اتصف أدبهم بروعه الأداء و بعد التأثير و القرب من الطبيعه. [صفحه ۲۳۱] و لا- يخفى على الأدباء الذواقين أن كل كلام يجمع الى موضوعه القدره على بلوغ الأثر بما يتوافر فى صياغته و أسلوبه من المهارات الفنيه و خصائصها، هو أدب. ذلك لأنه لم يتجه فى خطابه و هدفه كما يتجه أصحاب العلوم البحته، الى العقول وحدها [۳۲۲] ، و انما اتجه الى قوى النفس

بمجموعهـا، بقصـد التأثير فيها فكرا و شـعورا و ذوقا و خيالا؛ و هـذا كله يتوافق على نحو لا يحتمل الشك أبـدا على كلام الأئمه عليهم السلام و على أعلام مدرسه النبوه و منهم الامام أبو عبدالله جعفر بن محمد الصادق، الذى امتلأت الكتب بحكمه و أدعيته و رسـائله و مناظراته و وصاياه و تحليلاته الفقهيه و الفكريه و الفلسـفيه. و قـد توافر له فى التعبير عنها ما توافر فى كلام أئمه أهل البيت النبوى، رجالاـ و نساء، من قـدرات فنيه، و مهارات ابـداعيه، تجعل من تراثهم فى الحكمه و الـدعاء و المناجاه و المناظره و الحوار و الخطـابه... أدبـا انسانيـا رائعـا، أدبـا مطبوعـا عـامرا بالحيـاه، ملتزمـا تطهير النفس الانسانيه من تخرصات الجشع و نزعات الجسد و غلاظه التكبر و ما تغرى به القوه الغاشـمه أصحابها من الظلم و القهر و تزوير الحقائق، و ابعاد الانسان عن فطرته الخيره، و قوه ايمانه بوحـدانيه الله العزيز العليم، و دعوته الى توثيق الصـله بين قوله و عمله؛ كل هـذا نجـده بيسـر فى أدب الامام الصادق بكل ما يتحلى به الأدب المطبوع فى خصائصه الفنيه. و هنا لا بد لنا من أن نلم ببعض صـفات عصـر الامام عليه السـلام على قدر من الاختصار لنسـتخلص أبرز خطوط تكوينه النفسـى و الفكرى. عاش الامام الصادق عقدين من الزمن فى القرن الهجرى الأول، و ما يقرب من خمسه عقود فى القرن الثانى. نشأ فى حجر والـده الامام العالم محمـد الباقر، ابن الامام على زين العابـدين الملقب بالسـجاد الثفنات، ابن الامام الحسـين سيدالشهداء، ابن أميرالمؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام. و لا يخفى على أحد أن هذا هو ارث النبوه فى عمق ايمانها، و صفاء روحها و روعه بيانها

و معرفه فقهها و حسن التزامها بهدى الانسان ليقوم بالمعروف و ينتهى عن المنكر. [صفحه ۲۳۲] و بذلک يشيع الخير و يعلو الحق فى المجتمع و تتطهر روحه من أدران التعصب البغيض و الطغيان المدمر، و الكره المفرق، و الاثره و الفساد و الظلم. ولد فى السنه التى ولد فيها كبار المعتزله مثل واصل بن عطاء، و عمرو بن عبيد و الحسن البصرى، و شهد ظهور الاعتزال و الارجاء (المرجئه) فى دوله الأمويين. و الاعتزال كما هو معروف، دعوه الى اعمال العقل فى فهم الدين و عقائد الشريعه الاسلاميه و الى تحرير الاسلام من فهم الجبر الخاطى ء و قيود الأقدار، و الى تنميه وعى المسلم ليعمل عقله فى اختيار الطريق الصحيح، يؤمن بعدل الله تعالى فى محاسبه البشر يوم البعث و الحساب. و العقل هو دعوه صارخه الى الايمان بوحدانيه الله المطلقه بعيدا عن الحلول و التشبيه و ما الى ذلک من العقائد المشوهه التى بدأ المسلمون يخالطونها اثر الفتوح فى العصر الأموى. و العقل هو نور الهدايه يدعو الى وصل الايمان بالعمل بأحكام الدين على عكس ما أشاع المرجئه من الدعوه الى الفصل بينهما فى الحكم على المسلم، بتأييد من السلطه الأمويه لتغطيه ضعف التزام حكامها و خلفائها بأوامر الدين و نواهيه. لكن الرد الصحيح و المبنى على العقل يقول: ان الامام كان يشهد بأم عينه مآسى الثائرين من آل البيت، واحدا بعد الآخر، منذ فتح عينيه على الحياه الى زوال دوله الأمويين. و يكفى أن نذكر: اخفاق ثوره عمه زيد بن على زين العابدين و هو فى الثانيه و الأربعين و اخفاق ثوره ابن عمه يحيى بن زيد، و هو فى الخامسه و الأربعين

سنه ۱۲۵ ه و اخفاق ثوره النفس الزکیه (محمد بن عبدالله بن الحسن) و ثوره أخیه ابراهیم بن عبدالله بن الحسن، و هو فی حوالی الخامسه و الستین ۱۴۵ ه لقد شهد مصارعهم جمیعا و ظلم الحکام و قسوتهم فی التنکیل بهم. أضف الی ذلک ذکری مأساه جده الأول الامام الحسین بن علی سیدالشهداء فی کربلاء و کانت أم المآسی قاطبه لم یشهد التاریخ مثیلا لها. اذا نظرنا الی کل هذه المآسی أدرکنا سر الحذر الذی کان یبدیه فی مجالسه، فی وجه السلطه الظالمه و فی وجه معارضیها. حتی لقد بدا ذلک فی کل مواقفه و فی نقش خاتمه الذی یحمله فی یده: «اللهم أنت ثقتی، فقنی شر خلقک. أنت ثقتی فاعصمنی من الناس یا ثقتی قنی شر جمیع خلقک»!. [صفحه ۲۳۳] و جاء فی بعض أدعیته، و هذا المعنی شائع فیها: «اللهم من أرادنی بسوء فأرده، و من کادنی فکده، و اصرف عنی هم من أدخل علی همه، وامکر بمن مکر بی، فانک خیر الماکرین وافقأ عنی عیون الکفره الظلمه، الطغاه الحسده». و نقطه هامه أخری لها علاقه بحیاته الخاصه و هی أن أناسا انتقدوه فی ما یتخذ لنفسه من اللباس الحسن و المیل الی الراحه و ایثار الظل. و فی کلام منتقدیه هذا معارضه سیاسیه مکشوفه. ففی بعض أخباره و بعض أدعیته ما یشیر الیه هذا النقد المعارض الذی یذکره بما یصرف من زهد جده أمیرالمؤمنین و تقشفه حتی لقب «بأبی تراب» لکثره زهده. فکان رد الامام الصادق لهؤلاء قوله: «ان الله عزوجل یحب الجمال و التجمل و یبغض البؤس و التباؤس، فالبس و تجمل، فان الله جمیل و یحب الجمال. ولیکن

من حلال». و يقول فی بعض دعائه: «أسألک اللهم الرفاهیه فی معیشتی ما أبقیتنی، معیشه أقوی بها علی طاعتک، و أبلغ بها رضوانک... و لا ترزقنی رزقا یطغینی، و لا تبتلنی بفقر أشقی به، مضیقا علی. أعطنی حظا وافرا فی آخرتی و معاشا واسعا هنیئا مریئا فی دنیای. و لا تجعل الدنیا علی سجنا، و لا تجعل فراقها علی حزنا. أجرنی من فتنتها سلیما، و اجعل عملی فیها مقبولا، و سعیی فیها مشکورا». و فی رده علی سفیان الثوری قال علیه السلام: «... فأما اذا أقبلت الدنیا فأحق الناس بها أبرارها لا فجارها، و مؤمنوها لا منافقوها و مسلموها لا کفارها. فما أنکرت یا ثوری»؟!. «فو الله انی مع ما تری، ما أتی علی، مذ عقلت، صباح و لا مساء ولله فی مالی حق أمرنی أن أضعه موضعا الا وضعته». و الغایه مما أوردناه هنا أن نلم ببعض المحاور النفسیه والفکریه التی یدور حولها کلام الامام و أدعیته، ثم أن ندل ثانیا علی قرب النصوص التی سطرها من [صفحه ۲۳۴] واقع الحیاه السیاسیه و الفکریه فی عصره و هذا أمر طبیعی عند کل الکتاب و الأدباء و الشعراء. و أن ندل أخیرا علی الصله الوثیقه بین قوله و سیرته، بین فکره و أدبه المطبوع من عقله و عاطفته؛ مما یرفع تراثه الفکری و الأدبی الی أن یکون صوره صادقه لحیاته، فی مرحله مضطربه من مراحل التاریخ یصعب فیها علی غیر العباقره من قاده الرأی أن یحتفظوا فیها بوضوح الفکره و أصاله الرأی و ثبات الموقف و الاقتران الخصب بین القول و العمل. أما عن التراث الأدبی المطبوع الذی خلفه الامام الصادق علیه السلام فما وصل منه

الينـا نراه موزعـا فى كتب الفقه و أصوله، و كتب التاريـخ و السـير و الأـدب، و مؤلفـات المـذاهب و الأمالى و الأخبار و غيرها... فغـايتى و أمنيتى جمع و تصـنيف و اصـدار هـذا التراث الحى العظيم فى مجموعه كـامله موحـده، للامام الصادق و لجميع الأئمه الآـخرين و تراث أهل البيت عليهم السـلام على هـذا النسق نفسه. ما وصل الينا من هـذا التراث الأدبى العظيم رسائله عليه السـلام التى جمعهـا تلميـذه جـابر بن حيـان فى ألف ورقه و هى مـا يقارب خمسـمائه رساله، و كتابه: توحيـد المفضل الـذى أملاه على تلميذه المفضل بن عمر الجعفى، و طائفه من حكمه و مقاطع من أدعيته و وصاياه وردوده على أسـئله وردود مختلفه التى تدخل فى باب:

ادب المناظرات

اشاره

و هـذه نمـاذج من تراث هـذا الامام العظيم الـذى ملأ الأرض علما و نهل من معين مدرسـته كبار العلماء و الأدباء، و أبرز فضائله عظـام الشـعراء فى قصائـد غراء بـاتت عنوانـا متألقـا على صـدر الزمان. و هـذه أبرز خصائص أدبه المطبوع التى يمكن اختصارها بمايلى: [صفحه ۲۳۵]

عمق الفكر و دقه الملاحظه و غزاره المعانى

تبـدو أكثر ما تبـدو واضـحه فى حكمه وردوده على أصـحاب المذاهب الماديه من الدهريين و الملحدين و غيرهم. و كان هدفه من ذلك اثبات وجود الصانع الواحد، و تفسـير أسباب الصنعه على هذا الوجه و الدلاله على احكامها بما يضمن سلامه العيش و حسن التـدبير روى المفضـل بن عمر عنه قوله فى خلق العينين و الحواس فى الانسـان و دور كـل حاسه فى الحياه و قـدره الخالق العظيم فى خلق مخلوقـاته بـأحسن تقويم. قـال للمفضل: «انظر الآن يا مفضل الى هـذه الحواس التى خص بها الانسان فى خلقه و شرف بها على غيره: كيف جعلت العينان فى الرأس كالمصابيح فوق المناره، ليتمكن من مطالعه الأشياء. و لم تجعل فى الأعضاء التى تحتهن كاليدين و الرجلين، فتعترضـها الآفات و يصـيبها من مباشـره العمل و الحركه ما يعللها و يؤثر فيها و ينقص منها، و لا فى الأعضاء الى وسط البـدن كالبطن و الظهر فيعسـر تقلبها و اطلاعها نحو الأشـياء. فلما لم يكن لها فى شـى ء من هـذه الأعضاء موضع، كـان الرأس أسـنى المواضع للحواس و هو بمنزله الصومعه (المنـاره) لهـا.». ثم يتساءل: هل يمكن أن يصـدر هـذا الخلق المتقن، و التنسـيق العجيب الا من مدبر لطيف خبير هو الله. يقول عليه السـلام: «فهل يخفى على من صح نظره، و أعمل فكره، أن مثل هذا الذى وصفت من تهيئه

الحواس و المحسوسات بعضها يلقى بعضا، و تهيئه أشياء أخرى تتم بها الحواس، أن هذا لا يكون الا بعمل و تقدير من لطيف خبير». ثم يشرح لنا وظيفه البصر و السمع فيقول: «فخلق البصر ليدرك الألوان، فلو كانت الألوان، و لم يكن البصر يدركها لم يكن فيه منفعه و خلق السمع ليدرك الأصوات، فلو كانت الأصوات، و لم يكن سمع يدركها لم يكن فيها أرب... و كذلك سائر الحواس... ثم هذا يرجع متكافيا.. فلو كان بصر، و لم تكن الألوان، لما كان للبصر معنى، و لو كان سمع و لم تكن أصوات، لم يكن للسمع موضع». [صفحه ۲۳۶] و كما أبان ايجابيات الحواس فى حياه الانسان تحدث عن حالته حين يفقد حاسه منها قال للمفضل: «فكر يا مفضل فيمن عدم البصر من الناس، و ما يناله من الخلل فى أموره، فانه لا يعرف موضع قدميه، و لا يبصر ما بين يديه، و لا يفرق بين الألوان، و بين المنظر القبيح و الحسن، و لا يرى حفره الا هجم عليها، و لا عدوا الا أهوى اليه بسيف، و لا يكون له سبيل الى أن يعمل شيئا من هذه الصناعات مثل: الكتابه و التجاره... و الصياغه... حتى أنه لولا نفاذ ذهنه لكان كالحجر الملقى» ثم يتحدث عن فقدان السمع: «و كذلك من عدم السمع يختل فى أمور كثيره، فانه يفقد روح المخاطبه و المحاوره.. و يعدم لذه الأصوات و اللحون المشجيه و المطربه، و تعظم المؤونه على الناس فى محاورته حتى يتبرموا به و لا يسمع شيئا من أخبار الناس و أحاديثهم». و كتاب التوحيد (أمالى المفضل) يجرى كله على هذا النسق من عمق التأمل فى

الکون و کائناته. فمن أعمل فکره طویلا فی خلق الأشیاء و وصل الی الحکمه فیها و استخلص حقائق خلقها، فی مثل هذا البیان الدقیق الواضح، البعید عن التصنع، و القریب من الطبیعه. و الوافی بالقصد فی غیر تطویل و لا حشو و لا تکرار یقدر قیمه الأدب المطبوع عند الامام الصادق علیه السلام؛ ذلک الأدب القادر علی استیعاب ما تولده قوه الملاحظه و دقتها من تشعب الفکره و قوه الاحساس بها. و کذلک فی حکمه الکثیره التی سموها: (نثر الدرر). نجد مثل هذا الفن الجمیل الذی یغوص فی حقائق الخلق و أسرار النفوس، و لا یقدر جماله الا من أوتی قوه الفطره وحده الملاحظه، و توافرت له ثقافه انسانیه منوعه و خبره عمیقه بأحوال النفس البشریه و حقائقها. یقول فی بعض حکمه: امن أوثق عری الایمان: أن تحب فی الله، و تبغض فی الله، و تمنع فی الله» و هذه حکمه فی اصلاح النفس و اصلاح الناس. [صفحه ۲۳۷] و قال علیه السلام: «الحریص علی الدنیا مثل دوده القز، کلما ازدادت من القز علی نفسها لفا، کان أبعد لها من الخروج حتی تموت غما» و هنا یحث الناس علی الکرم و الابتعاد عن البخل و حب الدنیا. و یقول علیه السلام: «السریره اذا صلحت قویت العلانیه» هنا الربط بین الظاهر و الباطن. و یقول علیه السلام: «لا زاد أفضل من التقوی، و لا شی ء أحسن من الصمت، و لا عدو أضر من الجهل، و لا داء أدوی من الکذب» نصائح جوهریه تفید المرء فی دنیاه و آخرته. و یقول علیه السلام، «لم یخلق الله یقینا لا شک فیه، أشبه بشک لا یقین فیه، من الموت». و هذا الکلام لا

يتيسر الاـ للـذين أطـالوا النظر فى الانسان و الحياه حتى وصـلوا الى معرفه النفس الانسانيه فيما تظهر و تبطن و الى قوه احساسـها بالحيـاه و مواقفهـا، و مـا يقر فى أعماقهـا من ذهول الرؤيه فى مواجهه الموت. و يقول عليه السـلام: «ليس لابليس جنـد أشـد من النساء و الغضب» لا نعرف قولا سديـدا فى معرفه حالات النفس و تقلباتها، والشخصـيته الانسانيه و مركباتها أفضل من هذا القول الذى قابل بين حده الغضب و ما يقود اليه من ضلال الرشد و بين أعتى الغرائز البشريه

تنوع المعرفه وسعه الاطلاع على الثقافات المختلفه

كان الامام عليه السـلام يتحلى بمعرفه متنوعه و متماسـكه فيما يتصل بشؤون الدين و الدنيا جميعا، والذى أعانه على الالمام بهذه الثقافـات و المعـارف ادراكه الحى بمـا تولـد المعرفه فى النفس من سـعاده الاحسـاس بقوه الحيـاه و خصوبه معانيهـا، و اختلاف ألوانها و طعومها يقول الامام فى هـذا المجال. «لا ينبغى لمن يكن عالما أن يعد سـعيدا»! و قال أيضا: «الناس اثنان: عالم و متعلم، و سائر الناس همج». [صفحه ۲۳۸] من هنا نراه يكثر من دعواته الى تنشيط العقل بتطويل التفكير فى كل الأمور و الأشياء. يقول: «دعامه الانسان العقل... و بالعقل يكمل، و هو دليله و هويته و مبصره و مفتاح أمره». و يقول عليه السلام: «العامل على غير بصيره كالسائر على غير طريق، فلا تزيده سـرعه السير الا بعدا». و يقول: «اياكم و الغفله، فانه من غفل فانما يغفل عن نفسه»!. و لا يخفى على أحـد أن هـذه الـدرر المنثوره لا تتيسـر الا للجهابـذه من الأدباء الحكماء الذين أطالوا النظر فى الحياه و الانسان و عرفوا مكا من النفس الانسانيه فيما تظهر و فيما تبطن.

ادب توجيهى لتقويه روح الجماعه

توجه الامـام الصادق فى أدبه الى الفرد و الجماعه معا، و أتت دعوته الى العمل من أجل تقويه اللحمه بين القول و العمل، ذلك أن هـذا الاـقتران المبـارك بينهمـا يتولـد منه كل الخير فى بناء المجتمع الصالـح. قال أحـد الحكماء: عنـدما يقترن القول بالعمل يولـدان صبيا يسـميانه الصدق، و عندما يقترن القول بالعمل يرزقان بنتا يسـميانها الوفاء و يلعب الجميع لعبه أظنها الحريه. و الذى دعا الامام الى هـذا القول مبادى ء المـذاهب المغرضه التى كانت سائده فى عصـره كالمرجئه مثلا، التى كانت تدعو الى الفصـل بين القول

و العمل. يقول الامام عليه السلام: «الايمان عمل كله» و قال: «لا يثبت الايمان الا بعمل» و قال: «كونوا دعاه الناس بأعمالكم و لا تكونوا دعاه بألسنتكم» و قال: «و انما تفاضل القوم بالأعمال». و فى أدبه التوجيهى هذا نداء الى الفرد و الجماعه معا لتقويه روح الجماعه و تماسكها و شد أزرها من أجل بناء مجتمع صالح مطمئن قال عليه السلام: «لكل شى ء [صفحه ۲۳۹] شى ء يستريح اليه، و ان المؤمن يستريح الى أخيه المؤمن كما يستريح الطير الى شكله». و فى هذا المجال تقع دعوته الى وضع الأشياء فى مواضعها، و تحرير الانسان من عبوديه الانسان. فقال: «من أطاع المخلوق فى معصيه الخالق فقد عبده»!. و قد سأله سائل عن حد اليقين فقال: «ألا تخاف مع الله شيئا» و قال: «كل رياء شرك». و قال: «انه من عمل الناس، و من عمل لله كان ثوابه على الله». و قد اهتم كثيرا بالفقراء و المساكين فأوصى بهم و دعاء الى مساعدتهم فقال: «و ان عيسى بن مريم عليه السلام لما أراد وداع أصحابه، جمعهم و أمرهم بضعفاء الخلق، و نهاهم عن الجبابره».

البلاغه و جمال السبک

كان الامام الصادق يمتلك ملكه أدبيه مميزه تفى بالمعنى و لا تخل بالقصد مع حراره فى الروح و اشراق فى النفس و شفافيه نفسيه لدواعى الحياه و القرب فيها من الطبيعه المحيطه به فاعتمد بناء الصوره و شخص معانيه المستقاه من معطيات حواسه لتكون أوضح و أنفذ فى النفس الانسانيه. و لا غرو فأدبه أدب المدرسه التى ينتمى اليها، مدرسه آل البيت، ابتداء من أدب أميرالمؤمنين ربيب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و صاحب و نهج البلاغه، و انتهاء بأدب

الأـئمه من رجـال آل البيت جميعـا. جـاء كلامه مطابقا على الفكر الأدبى بما يسـتلزم من دقه فى التعبير و وضوح فى الأسـلوب و اتزان فى السرد. كما جاء مطابقا أيضا على الفكر العلمى فى الفقه و التفسير، و السياسه و الاجتماع و العلوم الطبيعيه و الكيميائيه و الفلسـفيه و قد يجتمع ذلک لانسان أشـبعث نفسه بالعقيده و امتلأت روحه بحراره الايمان، فبين مقاصد الشـريعه الاسـلاميه من [صفحه ۲۴۰] قوه التركيز و نفى الفضول اللفظى فشـخص الصوره و وضـح التمثيـل و قـد حـدد معنى البلاـغه و وصـفها بصـفات محكمه فقـال: «ثلاـثه فيهن البلاغه: التقرب من معنى البغيه، و التبعـد من حشو الكلام، و الـدلاله بالقليل على الكثير». و قال: «من عرف شيئا قل كلامه فيه» و يقصد أن من عرف شيئا يصل اليه بأقل ما يمكن من الكلام. ثم عرف البليغ فقال: «و انما سمى البليغ بليغا لأنه يبلغ حاجته بأهون سـعيه» ثم يقول «ليست البلاغه بحـده اللسان و لا بكثره الهذيان ولكنها اصابه المعنى و قصد الحجه». من هنا نصل الى فهم خصائص حـديثه و أقواله التى تتحق فيها صـفات البلاغه التى حددها و نصب عليها. بقوله مثلا: «كثره النظر فى الحكمه تلقـح العقـل» فيـاله من تعريف بليغ و اصـابه المعنى اصابه مباشـره. فلقـد جمع ما يتمثل فى النفس من صور اللقاح و معـانيه و أثره فى تنشـيط حركه الحياه و توليـد المعانى و اخصابها، فى لفظ موجز يوجى بهـذه الـدلالات كلها و قـد أعطانا أمثله كثيره لاـ تحصـى كلهـا بلاـغه: فى حكمه، و فى مواعظه و فى وصايـاه، و فى منـاظراته، و فى أحـاديثه، و فى اجابـاته... من هـذه الأقوال البليغه و الصائبه

نـذكر على سبيل المثال قوله: «من تعلق قلبه بحب الـدنيا، تعلق من ضـرها بثلاث خصال: هم لا يغنى، و أمل لا يدرك، ورجاء لا ينـال». فتأمـل هـذا التكثيف، معان كثيره بكلمات موجزه. لقـد جمع حب الـدنيا كله و أذاها معا فى لفظ واحـد «التعلق» كأنهما و جهـان لعمله واحـده لاـ تنفصـل احـداهما عن الأـخرى، و وسع فى ألفـاظ قليله معـانى الفشـل كله. ثم يقول فى المعنى نفسه فى وصف الـدنيا: «ما الدنيا؟ و ما فيها؟ هل هى الا سده خوره [٣٢٣] ، و ستره جوع!» و هنا لجأ فى [صـفحه ٢۴١] تكثيف المعنى و تشخيصه الى صورتين حسيتين، فجمع حياه الانسان الماديه كلها فى أربع كلمات!. و يقول أيضا فى هذا المعنى: «ما فتح الله على عبـد بابا من الـدنيا الا فتح عليه من الحرص مثليه». فكم يحتاج مثل هذا الكلام الى شـرح و تحليل، و كم توحى هذه الصوره فى دلالات معانيها على بيان ما طبعت عليه النفس البشـريه من حب التملك و التمسك بأغراضـها الفانيه و مباهجها الزائله. و ما نزال فى «درره المنثـوره» من أدب الحكمه الى أدب الـدعاء. يقتضـى أدب الـدعاء مـا لاـ تقتضـى الحكمه من الايجـاز اذ نرى النفس تفيض فيه برحائها و خوفها و تعطشـها الى السكينه، و تطلعها الى الخلاص حتى تستريح القلوب المتعبه و تعترف بكل مخزوناتها أمـام الله عزوجـل. و أدب الـدعاء (الصـادقى) من أكثر تراثه حراره، و ان دلت على شـى ء فانها تـدل على خصوبه النفس وسـعه الروح و طواعيه اللغه العربيه و غناها. فقـد جمع الامام الصادق عليه السـلام بين ما تقتضـيه الحكمه و الموعظه و الخطابه الأدبيه و الفقه الجعفرى، و بين ما

يقتضيه الدعاء من الاعتراف و الالحاح و التلوين فى الرجاء الخالص و البث الروحى. و فى الحالين قد يصعب الوصول الا على من يملك الفكر الواسع و الخبره العميقه بأسرار البلاغه و قوه البيان و استجابه اللغه لحاجات التعبير. و هذا كله نجده عند الامام الاصادق عليه السلام: فكر رحب، و ايمان راسخ، و قلب حى، و لغه غنيه مطواعه يمتلك بيسر ناصيتها، و قلم سيال لا يتعب. و هذه بعض أدعيته المباركه نتلمس منها الألوان الأدبيه و البلاغيه من دعاء له عليه السلام فى القنوت: «يا مأمن الخائف و كهف اللاهف، و جنه العائذ، و غوث اللائذ، خاب من اعتمد سواك، و خسر من لجأ الى دونك، و ذل من اعتز بغيرك و افتقر من استغنى عنك، اليك اللهم المهرب، و منك اللهم المطلب اللهم قد تعلم عقد ضميرى عند [صفحه ۲۴۲] مناجاتك، و حقيقه سريرتى عند دعائك، و صدق خالصتى باللجوء اليك، فافزعنى اذا فزعت اليك و لا تخذلنى اذا اعتمدت عليك، و بادرنى بكفايتك، و لا تسلبنى رفق عنايتك، و خذ ظالمى الساعه الساعه أخذ عزيز مقتدر عليه مستأصل شافته، مجتث قائمته، حاط دعامته، مثبر له، مدمر عليه، اللهم بادره قبل أذيتى، و اسبقه بكفايتى كيده و شره و مكروهه و غمره و سوء عقده و قصده، اللهم انى اليك فوضت أمرى، و بك تحصنت منه و من كل من يتعمدنى بمكروهه، و يترصدنى بأذيته و يرصد لى بطانته، و يسعى على بمكائده. اللهم كد لى و لا تكد على، و امكر لى و لا تمكر بى، و أرنى الثأر من كل عدو أو مكار، و لا يضرنى ضار و أنت وليى، و

لاـ يغلبنی مغالب و أنت عضـدی، و لا تجری علی مساءه و أنت کنفی. «اللهم بک استذرعت، و علیک توکلت، و لا حول و لا قوه الا بک» الـدعاء منقبه أهل البیت لم یشارکوا فیها، و کرامه خصوا بها. قال الاستاذ سید الأهل: لم یکن أحـد أقدر علی هذه الصناعه، صناعه الدعاء، من أهل البیت [۳۲۴] . و للامام الصادق علیه السـلام أدعیه کثیره جمعها له الشیخ الحجه محمد الحسین المظفری - مؤلف کتاب الامام الصادق علیه السلام أدعیه الامام الصادق فی کتاب مستقل، و هو لا یزال مخطوطا شأن الکثیر من تراثنـا النفیس. هـذه الأـدعیه تمثـل خصائص أدب الـدعاء و فیها نلمس عمق الاحساس بمکان الله من القلب، و حراره النفس فی توجهها الیه. و قد یعجب القاری ء بتلون المعانی و الأحاسیس بهذا التلوین فی مواقف متشابهه. و الحقیقه اذا تأملنا فی بلاغه هذا الدعاء و تأملنا فی الجانب الفنی منه وجدنا الرحابه و الغنی، و العمق و الجمال و الاستجابه و الصدق للطبع فهو مثال حی للأدب المطبوع البعیـد کل البعد عن الزخرفه اللفظیه و الأدب المصـنع عصور الهزال الفکری و الترهل الروحی. [صـفحه ۲۴۳] هو أدب مـدرسه أهـل الـبیت یجری علی نسق واحـد من التأمـل فی الکون و کائنـاته و معرفه عمیقه بـالنفس الانسـانیه فیمـا تظهر و تبطن بأسلوب بعید عن کل تعمل و تصنع، قریب من الطبیعه یفی بالقصد من غیر تطویل و لا حشو و لا تکرار، و ان مثل هذا الغوص و السـبک لاـ تکتمـل عـدته الاـ لمن جمـع مع قوه الفکره طول النظر، و توافرت له ثقـافه انسـانیه عمیقه بـأحوال النفس الانسـانیه و أسرارها. [صفحه ۲۴۴]

درر مضیئه من حکمه الخالده علی صدر الزمان

اشاره

الحکمه

موضوع عظیم یفیض خیرا. «من یؤت الحکمه فقد أوتی خیرا کثیرا» و الحکمه هی معرفه أفضل الأشیاء بأفضل العلوم و التفقه. جاء فی التنزیل العزیز «و لقد آتینا لقمان الحکمه» [۳۲۵] . و کلام الحکمه: هو الکلام الذی یقل لفظه و یجل معناه، و الجمع حکم [۳۲۶] و الحکیم من أسماء الله الحسنی. جاء فی قوله تعالی و علی لسان الملائکه: «قالوا: سبحانک لا علم لنا الا ما علمتنا انک أنت العلیم الحکیم» [۳۲۷] . و الذکر الحکیم: هو القرآن الکریم لأنه الحاکم للناس و علیهم، و لأنه محکم لا اختلاف فیه و لا اضطراب. قال تعالی: «لا یأتیه الباطل من بین یدیه و لا من خلفه تنزیل من حکیم حمید» [۳۲۸] . و قد ذکر العلماء أن الحکمه اسم للعقل، و انما سمی حکمه لأنه یمنع صاحبه من الجهل، فالحکمه اذن بمعنی العلم و التفقه و هی ذات حدود واسعه [۳۲۹] . و قد ورد معنی الحکمه فی المؤلفات الاسلامیه بما یلی: الحکمه أقوال صائبه و أمثله محققه فیها تعلیم و وعظ للانسان لیتعظ بها فی [صفحه ۲۴۵] حیاته و یسیر علی هداها. و هی حکم حصلت من تجارب عملیه و من ملاحظات و تأملات فی هذه الحیاه. و لهذا نسبوا الحکمه الی أناس مجربین خبراء أذکیاء. لهم صفاء ذهن و قوه ملاحظه و علوم أصیله و تجارب حیاتیه تتوافق مع الحق فی کل آن. کانت الحکمه عند الأدباء العرب تسلک مسالک مختلفه: السیاسی و الاجتماعی و الفلسفی و الاقتصادی و الدینی و الأخلاقی و العسکری، و ان قراءه متعمقه للأدب العربی فی صدر الاسلام الشعر و النثر، تکشف قواسم مشترکه فی الرؤی

الحکمیه، و قـد حاولت الوقوف علی أسـباب هـذا التشابه فی أقوال الحکماء فی صـدر الاسـلام فوجدت ذلک راجعا الی منبعین أصـیلین خیرین: القرآن الکریم و السـنه الشریفه. هذه الحکم التی جاد بها الحکماء المفکرون المسلمون جاءت دواء ناجعا لآلام الواقع و محاوله جاده لاصـلاح ذلک المجتمع و لتحسین واقع حیاه الأمه الاسلامیه، و لتصحیح الجوانب السلبیه التی کانت سائده فیه. هذه الحکم الانسانیه البلیغه نجدها قد ارتفعت علی قعقعه السیوف و غبار الحروب فی أکثر الأحیان فاستجابت لصوت العقل و وحی الضـمیر و العوده الی حیـاه الاسـلام الحقیقیه المحبـذه للأمـان و السـلم و الاطمئنـان. من هنـا کان للحکمه میـدان فسـیح لاصـلاح المجتمع تتسع حـدوده باتسـاع نطـاق العقل، و تتشـعب مسالکه بتشـعب الاختبارات و التمرس بأمور الحیاه، و فی الخلق الانسانی عندما یهزنا الوجود بمشـکلاته و الحکماء رجال عظماء و حیاه العظماء مصدر اشـعاع للفکر البشری. و منهل عذب نمیر للحق، و ینبوع فیـاض بالحکمه و طاقه هائله فی کمال المعرفه و رصـید ضـخم فی الاصـلاح و البناء، من الحکمه تسـتوحی الأمه العقیـده الحقه و الایمـان الصـادق، و الخلق الکریم، و الـذود عن المبادی ء الحقه؛ فهی مـدرسه کبری للانسانیه، و معالم وضاءه لتحقیق الحق الآـلهی و العـداله الانسـانیه. و هـل هنـاک فی الأـمه الاسـلامیه من یضاهی أهل البیت علیهم السـلام فی فضـلهم، و یسـاویهم فی عظمتهم! و هـل هناک من یباریهم فی شـرفهم و نسـبهم و لایرتفع الیهم فی مقامهم و مکانتهم؟. فهم حیاه العلم، و موت الجهل، و أصول الکرم، و قاده الأمم، و الثقل الذی [صـفحه ۲۴۶] ترکه رسول الله صـلی الله علیه و آله و سلم بین ظهرانی الأمه، و جعلهم نظراء للقرآن

الکریم، و نصبهم خلفاء له علی الناس، و حکاما علی الخلق، و ساسه للعباد، و أمراء علی البلاد [۳۳۰] . و کم نحن بحاجه فی هذه الأیام الحالکه بعد أن تقاذفتنا تیارات مختلفه و أهواء متضاربه و فتن هوجاء فی صفوف المسلمین أحدثها العدو بمؤامراته و عملائه، أن نرجع الی أئمه أهل البیت علیه السلام میممین شطرهم و آخذین بتعالیمهم، و منذفین أوامرهم، لنستعید ماضینا ماضینا المجید باذن الله و نحقق أهدافنا فی الحیاه الحره الکریمه لأمتنا العریقه. و الآن لنا جولات واسعه فی رحاب حکم الامام الاصادق علیه السلام اختص الامام من بین الأئمه المعصومین علیهم السلام بکثره الحدیث و نشر العلم، و اصلاح المجتمع. علما بأنهم علیهم السلام علمهم واحد و هدفهم واحد فی الحرکه الاصلاحیه الاجتماعیه. لکن الظروف التی رافقته کانت مؤاتیه و أفضل بکثیر مما کانت علیه ظروف الأئمه الآخرین علیه السلام. و ذلک لا نشغال الدولتین فی تثبیت الحکم و السلطان، فالدوله الأمویه تحاول الصمود و البقاء، و الدوله العباسیه تعمد الی تقویض حکم الأمویین بمعونه الفرس و العلویین فکلا الدولتین انشغلتا فی تثبیت قواعد الملک و الامام علیه السلام انتهز الفرصه لتثبیت قواعد العلم، و نشر ألویه الدین الحنیف کما أراده جده الرسول الأمین و کما نص علیه القرآن الکریم. فجمع حوله عدد کبیرا من طلاب العلم و فقهاء العصر و أهل الفقه و الدین و أسس مدرسته التی کان لها شأن هام فی تقویم الانحراف و هدایه الناس الی الطریق الصحیح. و الأحادیث التی رویت عنه لا تحصی لکثرتها و أهمیتها و کلها تتضمن دررا من الأحکام: الدینیه و الاجتماعیه و السیاسیه و الأخلاقیه و الفلسفیه و فی هذه الصفحات قبس منها علی سبیل

الذکر لا الحصر.

الحکم الدینیه

قـال علیه السـلام: «اتقوا الله و اعـدلوا، فانکم تعیبون علی قوم لا یعـدلون» [۳۳۱] . [صـفحه ۲۴۷] میزان التفاضـل بین الأفراد فی الاسـلام: التقوی (ان اکرمکم عنـدالله أتقـاکم) و برهـان التقوی: العـدل. فالمسـلم المؤمن یجب أن یکون عادلاـ لأنه یعیب علی الآـخرین ظلمهم و جورهم. قـال المتنبی فی شـعره الحکمی: لا تنه عن خلق و تأتی بمثله عار علیک اذا فعلت عظیم – و قال علیه السلام: «ان من حقیقه الایمان أن تؤثر الحق و ان ضرک، علی الباطل و ان نفعک». المؤمن الحق لا ینحرف عن الحق قید شعره، فیقول الحق مهمـا کـانت نتـائجه له أو علیه. – و قـال علیه السـلام: «أحسـنوا النظر فیمـا لا یسـعکم جهله، و انصـحوا لأنفسـکم، و جاهـدوها فی طلب معرفه ما لا عذر لکم فی جهله، فان لدین الله أرکانا لا ینفع من جهلها بشده اجتهاده فی طلب ظاهر عبادته، و لا یضـر من عرفها فـدان بها حسن اقتصاده، و لا سبیل لأحد الی ذلک الا بعون الله عزوجل.» علی المؤمن أن یعرف أرکان الدین معرفه یقینیه و لاـ ینفعه جهلهـا فی طلب ظـاهر عبـادته. – و قال علیه السـلام: «ان الله ارتضـی لکم الاسـلام دینا فاحسـنوا صـحبته بالسـخاء و حسن الخلق». من نعم الله تعالی أنه ارتضی لنا الاسلام دینا فعلینا أن نحسن صحبته بالکرم و الأخلاق الحسنه. فالکریم من عبادالله یحبه الله و یحبه من یحسن الیهم. و الخلق الحسن صـفه مثلی یتمیز بها المسلم و لأهمیتها مدح بها الله عزوجل الرسول الأعظم «و انک لعلی خلق عظیم» فلیکن للمسـلمین فی جمیع أقطاب الأرض قدوه حسـنه. – و قال علیه السـلام: «ان العمل الدائم القلیل علی

يقين أفضل عندالله من العمل الكثير على غير يقين». [صفحه ۲۴۸] المعرفه اليقينيه أفضل بكثير من المعرفه السطحيه و ان كثرت لأن الهدف المنشود النوعيه و ليس الكميه. - «و ان مثل الدنيا كمثل ماء البحر كلما شرب العطشان منه ازداد عطشا» الدنيا غرور تستهوى البعض من الناس بمباهجها و ملذاتها و لا تستهوى البعض الآخر الذين يفضلون الدار الآخره. من الصنف الأول كان حكام بنى أميه و على رأسهم معاويه بن أبى سفيان الذى بنى (الدار الخضراء) و لما سأل أباذر الغفارى عن جمالها قال له: ان كانت من مال المسلمين فهى خيانه، و ان كانت من مالك فهى اسراف. و من الصنف الثانى كان على بن أبى طالب الذى لقب بأبى تراب لزهده و تقاه و هو الذى خاطب الدنيا قائلا: «أيتها الدنيا غرى غيرى». - «اتقوا الله و صونوا دينكم بالورع». يتفاضل المؤمنون بالتقوى و يصونون دينهم بالورع الذى تميز به الأئمه المعصومون و طلبوا من أتباعهم التحلى به ليكونوا خير أمه أخرجت للناس. - «ان الغنى و الفقر يجولان فاذا ظفرا بموضع التوكل أوطناه». فمن توكل على الله و سعى قدر طاقته توطن الغنى عنده، أما من لم يتكل على الله و لم يبذل جهدا يتوطن عنده الفقر. - ألا و ان أحب المؤمنين الى الله من أعان المؤمن الفقر من الفقير فى دنياه و معاشه، و من أعان و نفع و دفع المكروه عن المؤمنين». الاسلام فرض الأخوه بين المسلمين فالمسلم أخ المسلم يعينه و يحفظه و يشاركه أفراحه و أتراحه. و الأخوه فى الايمان عروه وثقى و تشد أزر المسلمين و تمسك بهم فلا تذهب ريحهم و لا تهزهم هزات الزمن

مهمـا قست أو عنفت، «انمـا المؤمنون اخوه». - «اياكم و الخصومه فى الـدين، فانها تشـغل القلب عن ذكر الله، و تورث النفاق، و تكسب الضـغائن، و تسـتجيز الكذب». [صفحه ۲۴۹] - «ان أبغض خلق الله تعـالى عبـد اتقى النـاس لسـانه». اللسان مفتاح العقل يترجم عنه مـا يجول فيه من أفكـار و مـا يتحسـس من عواطف، و منه تنجم الأعمـال الصـالحه أو الطالحه حسب اراده الانسان. و صيانه اللسان واجب أساسـى على كل انسان و اذا ما أساء صاحبه اسـتعماله أصبح مبغوضا عندالله مكروها عند عبادالله. - «ان من عرف نعمه الله بقلبه اسـتوجب المزيد من الله قبل أن يظهر شـكرها على لسانه» «أما بنعمه ربك فحدث»، كل ما عندنا من خيرات و نعم هى من عندالله عزوجل و هبها سـبحانه لعباده من حبه لهم. فالمؤمن الذى يحس بنعم الله الغفيره عليه أن يظهرها على لسانه شكرا له و اعترافا بفضـله و بـذلك تزيـد و تنمو و تعطى خيرا من هنا نـذكر (و بالشـكر تدوم النعم). - «ثلاثه لم يجعل لأحد من النـاس فيهن رخصه: بر الوالـدين، برين كانـا أو فاجرين، و الوفاءبالعهـد للبر و الفاجر، و أداء الأمانه للبر و الفاجر» هـذا الحـديث ينسـجم مع قول الله عزوجل فى توصيه الأبناء بالآباء و الأمهات قال تعالى: «... و بالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهمـا فلاـ تقـل لهما أف و لا تنهر ما و قل لهما قولا جميلا» [۳۳۲] . - «حسن الظن بـالله أن لاـ ترجو الاـ الله و لا تخاف الا ذنبك» المؤمن لا يحسن الظن الا برب العالمين و لا يخاف أحدا الا نفسه. - «الحياء و الايمان مقرونان

فـاذا ذهب أحـدهما اتبعه الآـخر». من لاـ حياء له لا دين له، من هنا قول أحـد الحكماء: اذا لم تسـتح فافعل ما تشاء!. - «خف الله كأنك تراه، و ان كنت لا تراه فانه يراك، و ان كنت ترى أنه لا [صـفحه ۲۵۰] يراك فقد كفرت، و ان كنت تعلم أنه يراك ثم بـدرت له بالمعصـيه فقـد جعلته من أهون الناظرين اليک». و المؤمن يراقب نفسه باسـتمرار و كأن مراقبا يراقبه فى كل حركاته و سكناته فكيف اذا كان المراقب الله، سـبحانه و تعالى الـذى لا يغيب عن بال المؤمن لحظه واحده؟. - «الصـلاه قربان كل تقى، و الحج جهاد كل ضـعيف، و زكاه البدن الصيام، و الداعى بلا عمل كالرامى بلا وتر، و استنزلوا الرزق بالصدقه، و حصنوا أموالكم بالزكاه، و ما عال من اقتصـد، و التـدبير نصف العيش، و التودد نصف العقل، و قله العيال أحـد اليسارين، و من أحزن والديه فقد عقهما، و من ضـرب يده على فخذه عند مصـيبه فقد حبط أجره، و الضـيعه لا تكون ضـيعه الا عند ذى حسب و دين، والله تعالى منزل الصبر على قدر المصـيبه، و منزل الرزق على قدر المؤونه، و من قدر معيشـته رزقه الله، و من بذر معيشته حرمه الله». حديث كامل شامل يحث على الـدين و الأخلاق و الاقتصاد و الصبر و كل ما يجب أن يتحلى به المؤمن من صـفات ايجابيه طيبه. - «ان المؤمن أخو المؤمن، عينه و دليله، لا يخونه و لا يظلمه، و لا يغشه، و لا يعـده عده فيخلفه». لما كان المؤمن العين و الدليل لأخيه المؤمن الآخر فهل تصح الخيانه و الظلم و الغش و

اخلاف الوعد؟ معاذ الله!!. - «عليك بالنصح لله فى خلقه فانك لن تلقاه بعمل أفضل منه». ان كل تصرفات العبد الصالح يجب أن تكون لله و فى سبيل الله، فيحب فى الله و يكره فى الله و يعمل من أجل مرضاه الله. - «و سئل عليه السلام: هل يكون المؤمن بغيضا؟. قال: لا. و لا يكون ثقيلا. المؤمن الحق صاحب الأخلاق الرفيعه و العزه و الكرامه لا يمكن الا أن يكون [صفحه ٢٥١] محبوبا خفيف الظل مفضلا عند الجميع لأن قلبه لا يفيض الا بالموده و الرحمه، و لا ينبض الا بالعطف و المحبه. - «ليس الايمان بالتحلى و لا بالتمنى، ولكن الايمان ما خلص فى القلوب و صدقته الأعمال». المؤمن هو عبدصالح يقول صالحا و يعمل صالحا، و العمل الصالح هو ترجمان القلب الصالح و النيه الصالحه. و الله تعالى يبارك من خلصت قلوبهم من كل زيف و صدقت أعمالهم فى حياتهم الخاصه و العامه. - «لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد محاسبه الشريک شريكه فيعلم من أين مطعمه، و من أين ملبسه أمن حلال أم من حرام؟. أعلى درجات الايمان التقى و لا تحصل هذه الصفه النبيله الا بمحاسبه الانسان نفسه كما يحاسب شريكه تماما و عند ذلک يعلم جيدا من أين الحلال و من أين الحرام. - «ينبغى للمؤمن أن يكون فيه ثمان خصال: و قور عند الهزاهز، صبور عند البلاء، شكور عند الرخاء، قانع بما رزقه الله، لا يظلم الأعداء و لا يتحمل الأصدقاء، بدنه منه فى تعب و الناس منه فى راحه». - «اذا استقبلت القبله فآيس من الدنيا و ما فيها، و الخلق و ما هم

فیه، و استفرغ قلبک من کل شاغل یشغلک عن ذکر الله، و عاین بسرک عظمه الله عزوجل، و اذکر و قوفک بین یدیه قال تعالی: «هنالک تبلوا کل نفس ما أسلفت وردوا الی الله مولاهم الحق» [۳۳۳] وقف علی قدم الخوف و الرجاء». عند الصلاه علی الانسان أن یتحضر روحیا للوقوف أمام خالق الکون فیستفرغ قلبه من کل شاغل یشغله لیعاین بسره عظمه رب العالمین لأنه یقف بین یدیه جل و علا خاشعا متضرعا خائفا راجیا. [صفحه ۲۵۲] - «المؤمن هو الذی اذا غضب لم یخرجه غضبه من حق، و اذا رضی لم یدخله رضاه فی باطل، و الذی لم یأخذ أکثر مما له». بلا ریب، المؤمن یحب فی الله و یغضب فی الله، و اذا غنم فلا یبطر و اذا غضب فلا- یتجاوز حدوده الشرعیه. - «من عظمت نعمه الله علیه اشتدت مؤونه الناس الیه». من نعم الله علینا حاجه الناس الینا، فبقدر ما یستطیع الانسان تقدیم خدمات للآخرین بقدر ما یکسب أجرا کبیرا. من هنا کان قول الرسول الأعظم: «الناس کلهم عیال الله و أقربهم الیه أنفعهم لعیاله». - «المعروف زکاه النعم، و الشفاعه زکاه الجاه، و العلل زکاه الأبدان و العفو زکاه الظفر و ما أدیت زکاته فهو مأمون السلب». لکل شی ء زکاه و ما تؤدی زکاته فهو مأمون السلب. - «لو أن الناس أدوا زکاه أموالهم ما بقی مسلم فقیرا محتاجا». فهل یسمع المسلمون هذا النداء الالهی العظیم الذی یجمع أواصر المسلمین و یأخذ بیدهم الی ما فیه الخیر و الفلاح؟ لو سمعوا و وعوا لما بقی مسلم فقیرا محتاجا. لکنهم یضعون أموالهم فی مصارف الأعداء بدل أن یصرفوها علی

الأصدقاء. من هنا كان المال سلاحا ذا حدين.

الحكم الاجتماعيه

- «اياكم و الخصومه فانها تشغل القلب، و تورث النفاق، و تكسب الضغائن، قال النبى صلى الله عليه و آله و سلم: ما كان جبرائيل يأتينى الا قال: يا محمد اتق شحناء الرجال، و عداوتهم». يعتمد بناء المجتمعات السعيده على صفاء القلب و البعد عن الخصومه و المشاحنات، لأن العداء يورث البغضاء، و البغضاء تورث الضغائن التى تفسد العلاقات الاجتماعيه و تفكك أواصر المجتمع. لذلك أوصى جبرائيل عليه السلام [صفحه ۲۵۳] النبى صلى الله عليه و آله و سلم بالبعد عن العداوه و الشحناء، و هذا ما أوصانا به حفيده الامام الصادق عليه السلام الأمين على حفظ الرساله الاسلاميه و صيانتها. - «اطلبوا العلم و لو بخوض اللجج و شق المهج». جاءت هذه الحكمه انطلاقا من قول الله عزوجل فى تمييزه العلماء و تفضيلهم. قال تعالى: «هل يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون» [۳۳۴] . و قال الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم: «طلب العلم فريضه على كل مسلم و مسلمه» لقد جعلها صلى الله عليه و آله و سلم: فريضه من الفرائض. لأن العلم نور يستضىء به القلب، و يهتدى به العقل. فهو سبيل الايمان و الأمان. و قد أكد الامام الصادق عليه السلام على طلب العلم و لو بخوض الجج مهما صعبت، و شق المهج مهما تكثفت الغمائم و الحجب. - «اذا أردت أن تختبر عقل الرجل فى مجلس واحد فحدثه فى خلال حديثك بما لا يكون، فان أنكره فهو عاقل، و ان صدقه فهو أحمق». و هذا اختبار حقيقى لأن انسان فى أى مجتمع، فان صدق المحال فهو أحمق بلا عقل

و لا رویه، و ان أنکر فهو عاقل یفکر و یتبصر. - «ان یسلم الناس من ثلاثه أشیاء کانت سلامه شامله: لسان السوء، و ید السوء، و فعل السوء». و هذا یعود بلا ریب الی البصیره المنوره بالایمان، لأن المؤمن یحفظ لسانه من الزلل، و یده من الحرام، و أفعاله من أعمال السوء و أذی الآخرین. و هنا أتذکر قول أحد الشعراء الحکماء: لسان الفتی نصف و نصف فؤاده فلم یبق الا صوره اللحم و الدم - «و اذا بلغک عن أخیک ما تکرهه فاطلب له من عذر واحد الی سبعین عذرا، فان لم تجد له عذرا فقل: لعل له عذرا لا أعرفه» کل انسان معرض للخطأ و السهو و علی أفراد المجتمع الواحد التساهل فیما بینهم و التسامح فیما یصدر عنهم من [صفحه ۲۵۴] أخطاء. و هذا ما یطلبه منا الامام الاصادق علیه السلام فی طلب العذر لاخواننا لتسهل حیاتنا و تکمل سعادتنا. لأن عتاب الاخوان علی کل شارده و وارده توهن العلاقات الاجتماعیه و تفکک أواصرها. و اذا ما نظر کل منا الی أخطائه کف لسانه عن أخطاء الآخرین و عذرهم. قال فی هذا المجال بشار بن برد عندما عاتبه أحد اخوانه علی بعض أخطائه: اذا کنت فی کل الأمور معاتبا صدیقک لم تلق الذی لا تعاتبه فعش واحدا أوصل أخاک فانه مقارف ذنب مره و مجانبه اذا أنت لم تشرب مرارا علی الأذی ظمئت و أی الناس تصفی مشاربه - «أحب اخوانی الی من أهدی الی عیوبی». الصدیق الصدوق هو الذی یشعر مع أخیه بشعور صادق و نبیل و کأنه یری أخطاء صدیقه أخطاءه هو نفسه. فلا یرضاها له لحبه لصدیقه و

حرصه على انتقاد الآخرين له. و أنا شخصيا أطلب من أصدقائى أن يدلونى على أخطائى و يرشدونى الى هفواتى لأبتعد عنها و أصلح من شأنها بأى حال. لكن النصيحه يجب أن تكون غايتها التصليح و ليس التجريح. قال أحمد شوقى: لك نصحى و ما عليك جدالى آفه النصح أن يكون جدالا - «ان سرعه ائتلاف قلوب الأبرار اذا التقوا و ان لم يظهروا التودد بألسنتهم، كسرعه اختلاط ماء السماء بماء الأنهار و ان بعد ائتلاف قلوب الفجار اذا التقوا، و ان أظهروا التودد بألسنتهم كبعد البهائم من التعاطف، و ان طال ائتلافها على مذود واحد». ان المؤمنين الأبرار يلتقون بقلوبهم و ألسنتهم لأنهم صادقون مخلصون أما الأشرار فانهم يلتقون بألسنتهم دون قلوبهم و يظهرون عكس ما يضمرون لأنهم كاذبون خائنون. من هنا يطلب الينا الامام الصادق أن نتمهل فى اختيار الأصدقاء الأوفياء الذين يؤثرون أصدقاءهم على أنفسهم. قال تعالى: «يؤثرون على أنفسهم و لو كان بهم خصاصه» [الحشر: ٩]. [صفحه ٢٥٥] - «ان صله الرحم و البر يهونان الحساب و يعصمان من الذنب، فصلوا أرحامكم، و بروا اخوانكم، و ليس بحسن الجواب ورد السلام» لا- شك أن صله الرحم أمر ضرورى فى توثيق العلاقات الاجتماعيه و احياء روح التعاون و المحبه بين أفراد العائله. و صله الأرحام و بر الاخوان و مساعدتهم فى محنهم حث عليها الاسلام و لفضلها و تمييزها قال عنها الامام الاصادق أنها تعصم من الذنب و تهون الحساب «يوم لا ينفع مال و لا بنون الا من أتى الله بقلب سليم» [الشعراء: ٨٨]. ثم ان بر الاخوان يكون عملا لا قولا باللسان ورد السلام، فمن أراد مساعده المجاهدين الخيرين يمكنه

ذلـک بشتی الوسائـل. و أفضـل مثل علی ذلک المقاومه الاسـلامیه فی جنوب لبنان و فی البقاع الغربی فمساعـدتها فرض واجب علی کل مؤمن و مؤمنه. لأنها تـدافع عن شـرف الأمه الاسـلامیه و کرامتها. تدافع ضد عدو آثم یحتل أرضـنا و ینتهک حرماتنا و یقتل أطفالنا و شـیوخنا و نساءنا کل یوم. فدعمها واجب شـرعی بلا ریب. بارک الله بها و أعانها من نصـر الی نصر... – «ایاک و خصلتین: الضجر و الکسل، فانک ان ضجرت لم تصبر علی حق، و ان کسلت لم تؤد حقه». لقد نهانا الامام الاصادق علیه السلام عن الضـجر لأن صاحبه یفقـد صبره و عنـد ذلک یبتعـد عن وضع الحق فی مکانه، و کـذلک الکسل یوهن قوه الانسان و یجعله یعیش فی عزله عن النـاس و یضـعف عن القیـام بواجبـاته تجاه الآخرین. – «تـدخل یـدک فی فم التنین الی المرفق خیر لک من طلب الحوائج الی من لم یکن له ثم کان». جاء فی الحدیث الشـریف «الید العلیا خیر من الید السفلی» [۳۳۵] فالذی یستطیع علی العطاء خیر له من أن یمد یده الی الغیر لسد حاجاته. و اذا کان لا بد من الطلب فلیکن من أهل الخیر الذین یعملون المعروف من أجل المعروف و لیس لشـهره أو جاه منفعه شخصـیه. بل یعملون فی سبیل الله لنیل مرضاته عزوجل [صـفحه ۲۵۶] یعملون الخیر بالسـر کما کان یعمل الأئمه المعصومون علیهم السـلام نذکر منهم علی سبیل المثال جد الامام الصادق الامام زین العابدین علیه السـلام. ثم حـذرنا علیه السـلام من طلب الحـاجه من غیر أهلها فکأننا فی طلبنا لها کمن یـدخل یـده فی فم التنین. أعاذنا الله من شره. – «تحتاج الأخوه فیما بینکم الی ثلاثه

أشياء فان استعملتموها و الا تباينتم و هي: التناصف، و التراحم، و نفي الحسد». لما فرض الاسلام الأخوه في الايمان فرض لها شروطا أساسيه حتى تستقيم الحياه الاجتماعيه سليمه معافاه. و هي: التناصف و التراحم و نعني الحسد. فالمؤمن ينصف أخاه منه فيعطيه حقه بلا نقصان، و يرحمه عند كل شده أو اهمال و يغبطه و لا يحسده، لأن الحسد، كما وصفوه يأكل صاحبه كما تأكل النيران الحطب. – «داووا مرضاكم بالصدقه و ادفعوا البلاء بالدعاء». و هذا ما دعا اليه جده الامام زين العابدين في الصحيفه السجاديه فالصدقه بالاضافه الى وجوبها في الاسلام فهي من العناصر التي تشد أواصر المجتمع و تنميه، و المتصدق يدفع بصدقاته البلاء عن نفسه و عن أسرته فالله سبحانه و تعالى هو الشافي و اذا ما وقع البلاء فالدعاء هو أفضل دواء لدفعه و الله هو المعافي «ادعوني أستجب لكم» دعاء المؤمن الذي يتكل على الله وحده في كل أمور حياته. – «الرجال ثلاثه: عاقل و أحمق و فاجر. فالعاقل ان كلم أجاب و ان نطق أصاب، و ان سمع وعى، و الأحمق ان تكلم عجل، و ان حمل على القبيح فعل، و الفاجر ان ائتمنته خانك و ان حدثته شانك». و الرجال مفاتيحها التجارب فمن أعمال هؤلاء تعرف النتائج فلتقترب من العاقل لأنه يفيد في حالتي التحدث أو السماع ان تحدث أصاب و أفاد و ان سمع وعى و استوعب. أما الأحمق فانه يضر في الحالتين في القول و العمل، و كذلك الفاجر يؤذي [صفحه ۲۵۷] من عرفه في الحضور أو الغياب. و قد نهانا الامام الصادق عن هذه الآفات التي تفتك في جذع الشجره الاجتماعيه فتفسد فيها

و تعرقـل نموهـا. - «لعن الله قـاطعى سبيـل المعروف. قيـل له: و من قـاطعوا سبيل المعروف؟ قال عليه السـلام: «الرجل يصـنع اليه المعروف فيكفره فيمتنع صاحبه من أن يصـنع ذلك الى غيره». لعن الله ناكرى المعروف الذين يسدى اليهم المعروف فينكرونه و يمنعون بـذلك أصـحاب الخير من القيـام بأعمـالهم نحو الآخرين خوفا من ضـياعها أو تخوفا من امتناع أصـحابها من أن يعيـدوا صنـاعه معروفهم. و هنـا يخطر لى قصه رواهـا لى أحـد أصـحابى قـال: «كـان أحـد الأمراء فى فسـحه فى الصـحراء يركب جواده الأصـيل و بينما هو فى الطريق صادف رجلا تعبا يسـير على قـدميه. طلب منه هذا الرجل أن يردفه وراءه على جواده فنزل الأمير و سمـح له من ركوب الجواد فتره من الزمن. و لما تمكن من ركوب الجواد أطلق ساقيه للريح و ترك الأمير وسط الصـحراء لا ماء عنـده و لا ـ غـذاء. و قبـل أن يبعـد كثيرا ناداه الأمير ليتريث بعض الوقت ليقول كلمه الوداع. قال لناكر المعروف: أيها الرجل خذ الجواد و ما عليه و أوصـيك أن لا تروى ما حـدث معنا عنـد القوم خوفا من ضـياع المعروف بين الناس!!. - «الصـمت كنز وافر و زين الحليم و ستر الجاهل». الكلام له أوقاته و السكوت له أوقاته، و كما للكلام فن القول كذلك للسكوت فن الاصغاء. فالحليم العاقل يفسح المجال لغيره من المتكلمين ليصـغى اليهم و يستفيد منهم، و متى جاء دوره فى الكلام يتحدث بما عنده من مخازن فكره ليفيـد غيره من جواهر حكمه و بنـات أفكـاره. أما الجاهل الـذى لا يعرف أن يتكلم و لا يفهم ما يتكلم به الآخرون فخير له أن يسكت و لا ينبس ببنت شفه خوفا

من افتضاح أمره و بيان جهله. و مره قال ابن المقفع لأد جلسائه الجاهلين: السكوت زين لك فلماذا تندم عليه. [صفحه ۲۵۸] – «ثلاثه يحتاج الناس اليها طرا: الأمن، و العدل، و الخصب». لا حياه سعيده بلا أمن لأن من الأمن الأمان و الاستقرار و طيب العيش و لا استقرار بلا عدل، لأن العدل أساس الملك و العداله أمر لازم و فرض واجب فى المجتمع الاسلامى، و عندما يعم الأمن و يسود العدل تزهر الحياه و تخصب الأرض و يحلو العيش. و كم نحن بحاجه اليوم الى تطبيق هذا الحديث فى مجتمعاتنا الحاضره. من هنا كان قول الامام الصادق «اذا أراد الله برعيه خيرا، جعل لهم سلطانا رحيما و وزيرا عادلا». فعلى الرئيس المسؤول أن يتمتع بالرحمه ليكون أبا رحيما لجميع الناس و على الوزير أن يكون عادلا يحكم بالسويه بين جميع أفراد الرعيه.

الحكم الأخلاقيه

«العاقل من كان ذلولا عند اجابه الحق، منصفا بقوله جموحا عند الباطل، يترك دنياه و لا يترك دينه، و دليل العاقل شيئان: صدق القول و صواب الفعل، و العاقل لا يتحدث بما ينكره العقل و لا يتعرض للتهمه و لا يدع مداراه من ابتلى به. و يكون العلم دليله فى أعماله، و الحلم رفيقه فى أحواله، و المعرفه تعينه فى مذاهبه، و الهوى عدو العقل و مخالف الحق، و قرين الباطل، و قوه الهوى من الشهوه، و أصل علامات الشهوه أكل الحرام، و الغفله عن الفرائض و الاستهانه بالسنن و الخوض فى الملاهى». لقد وصف لنا عليه السلام العاقل بكل أحواله، فهو الذليل عند الحق و الجموح للباطل و المنصف فى أقواله و أعماله و يعرف العاقل بصفتين هامتين: صدق القول

و جواب الفعل، و من تحلى بهما اتخذ العلم دليله و الحلم رفيقه و المعرفه معينه... ثم عاد عليه السلام ففصل لنا صفات الجاهل محللا صفاته و معددا أحواله ومفصلا أسبابه و أعماله. فمن كان من الصنف الأول كان عنصرا صالحا فی مجتمع صالح علينا [صفحه ۲۵۹] معاشرته و التقرب منه، و من اتصف بصفات الجهل كان عنصرا فاسدا فی المجتمع حذرنا الامام منه و نصحنا بالبعد عنه. من هنا كان قوله عليه السلام: - «اياک و مخالطه السفله فان مخالطه السفله لا تؤدی الی خير». - «ان عيال الرجل أسراؤه فمن أنعم الله عليه فليوسع على أسرائه، فان لم يفعل يوشک أن تزول تلک النعمه عنه» تشبيه لطيف و مصيب فأسره الرجل أسراء عنده و على الانسان أن يعامل أسراءه بلطف و تقدير فلا يظلمهم و لا يبخل عليهم و لا يهملهم بل يرعاهم بحلمه و عاطفته لتعيش الأسره عيشه سعيده تغمرها المحبه و تكلأها السعاده. - «باشر كبار أمورک بنفسک و كل ما صغر منها لغيرک»الأمور الكبيره فی الأسره أو المجتمع على رب الأسره أن يباشرها بنفسه ليضمن نجاحها، أما الأمور الصغيره التی لا تؤثر تاثيرا كبيرا فی الحياه الخاصه و العامه فلا بأس ان تركها لمساعديه. - «اصنع المعروف الی من هو أهله و الی من ليس هو أهله، فان لم يكن هو من أهله فكن أنت من أهله». عمل المعروف واجب اجتماعی تجاه كل الناس لأن المعروف و لو زرع فی غير موضعه قد يعطی خيرا. و هو من الأسباب التی توثق العلاقات الاجتماعيه فتثمر محبه و عطاء مباركا. و قد اختلف الحكماء فی نوع الأفراد الذين يسدی اليهم المعروف، فهل يسدی

للأخيار المستحقين أم للأشرار غير المستحقين. قال الشاعر الحكيم زهير بن أبى سلمى: و من يعمل المعروف فى غير أهله يكن حمده ذما عليه و يندم حكيم آخر و قال: ازرع جميلا و لو غير موضعه فلن يضيع جميل أينما زرعا و ما نراه أن عمل المعروف يصنع لجميع الناس على حد قول الامام الصادق فان لم يكن من يسدى اليه المعروف من أهله فليكن الذى يسدى المعروف من [صفحه ۲۶۰] أهله. و قد قالوا: ان الهديه على مقدار مهديها. - «ثلاثه لم يجعل الله لأحد من الناس فيهن رخصه: بر الوالدين، برين كانا أو فاجرين، و الوفاء بالعهد للبر و الفاجر، و أداء الأمانه للبر و الفاجر». بر الوالدين و الوفاء بالعهد و أداء الأمانه ثلاثه عناصر أساسيه أوصى الله بها عباده الصالحين ليصلح المجتمع الاسلامى و يتماسك كالبنيان المرصوص. فمهما كانت حاله الأبوين أو حاله الأخوه أبرارا كانوا أم فجارا على المسلمين الوفاء لهم و حفظ عهدهم و أمانتهم. - ثلاثه من لم تكن فيه فلا يرجى خيره أبدا: من لم يخش الله فى الغيب، و لم يرعو عند الشيب، و لم يستح فى العيب» خشيهالله فى السر و العلن أمر واجب على كل مسلم يعتقد متأكدا أن الله يراه فى كل حركاته و كل سكناته و هو أقرب اليه من حبل الوريد. و المشيب عهد على كل من بلغه مراعاه أحواله فلا يليق بالكبير أن يتصرف تصرف الشباب فى حديثه و لباسه و حياته بجميع حالاتها. أما الذى يخطى ء فى تصرفاته مع الآخرين و يعمل أعمالا معيبه عليه أن يعتذر من الذى يسى ء اليه و يعترف بما كسبت يداه، و الا كان

كمـا قـال أبوالطيب المتنبى: من يهن يسـهل الهوان عليه ما لجرح بميت ايلام و علينا أن نحـذر هؤلاء الثلاثه فلا نتعامل معهم لأن وجودهم و عدمه على حد سواء، لا خير يرجى منهم. - «ثلاثه تدل على كرم المرء: حسن الخلق، و كظم الغيظ، و غض الطرف». الكرم صـفه عامه عند العرب و خاصه عند المسـلمين، لأن المال هو مال الله و المسـلم يتصرف به فى دنياه فينقله من يد الى يد و من حال الى حال. و الله كريم و يحب الكرماء، و المسـلم الكريم يتحلى بأفضل الصفات الاجتماعيه النبيله منها: الأخلاق الحسنه، و صـاحب الأخلاق الحسـنه يكظم غيظه اذا مـا أصـيب بمكروه اعتقـادا منه: ما أصابكم الا ما كتب الله لكم. و يغض طرفه اذا ما شاهد عورات [صـفحه ۲۶۱] الآخرين و هـذه الصـفات الكريمه يتميز بها المسـلم فى حياته الخاصه و العامه. لـذلك نرى الامام الاصـادق عليه السـلام يركز على حسن الخلق انطلاقـا من القرآن الكريم الـذى وصف الرسول الأعظم بالأخلاق الحسـنه: «انک لعلى خلق عظيم» فقـال عليه السـلام مخاطبـا المسـلم: - «خـذ من حسن الخلق بطرف تروج به أمرک، و تروح به قلبک» فلو أخذ المسـلم من حسن الخلق بطرف واحـد لتيسـرت أموره و أعماله فى حياته العامه و اطمأن قلبه فى حياته الخاصه و أصـبح من خير الساده الذين وصـفهم الامام الصادق عليه السـلام بقوله: - «خير الساده أرحبهم ذراعا عند الضـيق، و أعدلهم حلما عند الغضب و أبسـطهم وجهـا عنـد المسـأله، و أرحبهم قلبـا اذا سـلط، و أكثرهم صـفحا اذا قـدر». فهـل أفضل و أنبل و أكمل من هـذا الانسان المتصف بهذه الصفات؟ هذه الصفات الاجتماعيه الانسانيه الكريمه تجعله محبا و

محبوبا. - «رأيت المعروف لا يصلح الا بثلاث خصال: تصغيره، و ستره، و تعجيله فانک ان صغرته عظمته عند من تصنعه اليه، و اذا سترته تممته و أذا عجلته هنأته، فاذا فعلت غير ذلک فانک سخفته و نكرته» و هذا أمر بديهی و منطقی لأن علی المرء أن يعامل غيره كما يحب أن يعاملوه. فاذا صغر المعروف يكون قد عظمه فی الوقت نفسه، و اذا يسره و ستره يكون قد أتمه، و اذا عجله و لم يتأخر فی عطائه يكون قد هنأه. و لا يصح اسداء المعروف الا بهذه الطرق الثلاث. ثم تابع الامام الصادق عليه السلام فی وصف المعروف فقال: - «رأيت المعروف كاسمه، و ليس شی ء أفضل من المعروف الا ثوابه و ذلک يراد منه، و ليس كل من يحب الی الناس يصنعه، و ليس كل من يرغب فيه يقدر عليه، و لا- كل من يقدر عليه يؤذن له فيه، فاذا اجتمعت الرغبه و القدره فهناک تمت السعاده للطالب و المطلوب»المعروف اسم علی مسمی و ليس أفضل منه سوی ثوابه، و هذا هو الهدف منه، أما اذا أراد صاحب المعروف التشهير بالمعروف من أجل غايه شخصيه رخيصه أو شهره أو جاه، سقط معروفه و ذهب ثوابه فالقادر علی المعروف يرغب فيه لوجه الله تعالی، خدمه لعيال الله و بذلک يكسب رضی الله [صفحه ۲۶۲] عزوجل، فهنيئا للراغب و القادر الذی تمت له السعاده فی الدارين فكسب رضی الله و كسب رضی الناس. - «سرک من دمک فلا تجره فی غير أوداجک». لكل انسان أسراره الخاصه فعليه أن يحتفظ به كدمه فلا يطلع عليه أحد من اخوانه ان كان صديقا صدوقا تأثر عليه و

تأسف و ان كان غير و فى لا يستحق حمل الأمانه عيره و شمت به. فحفاظا على كرامته يحتفظ بأسراره لأن كل سر جاوز الاثنين شاع. «سته لا تفارقهم الكآبه: الحقود، و الحسود، و فقير قريب العهد بالغنى، و غنى يخشى الفقر، و طالب رتبه يقصر عنها قدره، و جليس أهل الأدب و ليس منهم». و الحقيقه أن هؤلاء السته يعيشون فى كآبه دائمه و هم موجودون فى كل زمان و مكان نرى منهم اليوم نماذج كثيره فى مجتمعنا الحاضر. نرى الحقود الذى لا يعرف التسامح قلبه، و الحسود الذى يأكل الحسد أعصابه كما تأكل النار الحطب،و الأغنياء الجدد الذين كسبوا المال الوفير بطرق شتى فباتوا لا يعرفون التصرف الحسن مع الآخرين، و الأغنياء القدامى الذين يخشون الفقر و هم يكدسون الأموال الطائله. هؤلاء وصفهم أبوالطيب المتنبى فقال: و من ينفق الساعات فى جمع ماله مخافه فقر فالذى فعل الفقر و طلاب المراتب العليا الذين ليسوا من أهلها، فهم كمن يلبس ثيابا فضفاضه فلا تليق به و ليست على قياسه لكن الحظ الأعمى رفعهم فى هذه الأيام التعيسه، أيام الفوضى و المحسوبيه فكان منهم وزراء و رؤساء و مدراء و سفراء و عمداء... و جليس أهل الأدب و ليس منهم يشارك أهل الأدب و يناقشهم و لا يفقه ما يقول و اذا ما جرى أى حوار حول أى موضوع أدبى يشارك فيه و يعارض كبار الأدباء ليقول الناس فلان عارض فلان و هو لا يدرى أنه لا يزال فى مكانه الخاص، بل ربما سقط عن مكانه لأنه تعرى تماما و أظهر عيوبه و قصوره. [صفحه ۲۶۳] - «الصفح الجميل: أن لا تعاقب على الذنب،

و الصبر الجميل: الذی لیس فیه شکوی». یدعو الامام الصادق المسلمین الی الصفح الجمیل، أی العفو عند المقدره علی الذین یسیؤون الیهم فلا یعاقبوا علی الذنب و بذلک علیهم أن یصبروا صبرا جمیلا فلا یتأففوا و لا یتأسفوا لأن الصبر علی ما یصیبهم من مکروه جهاد مأجور. - «ما من أحد تکبر أو تجبر الا لذله وجدها فی نفسه» الکبریاء و العظمه صفتان من صفات الله تعالی یکسوهما خلیقته و یلبسهما بریته و ذلک دون ما یعتقد الجبارین و المتملکین الجهال فان تعظیمهم لیس من الله سبحانه لهم؛ و انما العظمه و الکبریاء فی الحقیقه هما الکرامه التی یلقیها الله علی رسله الکرام و القائمین بالقسط من عباده الصالحین. من هنا کان قول الرسول الأعظم صلی الله علیه و آله و سلم: «و رجل ینازع الله رداءه فان رداءه الکبریاء و ازاره العظمه» [۳۳۶] . فالعظمه رداء الله و الکبریاء ازاره لیس لأنه یکتسبهما ولکن لأنه یکسوهما من أراد من عباده المؤمنین الصالحین. أما الذی یعتقد غیر ذلک فیکون لنقص عنده و لذله وجدها فی نفسه. - «ما أقبح بالمؤمن أن تکون له رغبه تذله» رغبات الانسان مسموحه له و لیست ممنوعه علیه، لکن هذه الرغبات لها حدود علیه أن یعرفها و یقف دونها. و لا یخفی أن معرفه الحدود تتطلب علما واسعا و فهما عمیقا للحیاه بکل مالها و علیها (فرحم الله امرأ عرف حده فوقف عنده) فالنقطه الأولی: معرفه الحدود، و النقطه الثانیه: الوقوف عندها دون تجاوزها لأن تجاوزها یذل الانسان و یسقطه فی مجتمعه و الله تعالی یذکرنا أن لا ننسی نصیبنا من الدنیا لکن بحدود فلا افراط و لا تفریط: «و

لا تنس نصیبک من الـدنیا» [۳۳۷] . [صـفحه ۲۶۴] - «الصـداقه محـدوده فمن لم تکن فیه تلـک الحـدود فلا تنسـبه الی کمال الصـداقه و من لم یکن فیه شـی ء من تلـک الحـدود فلاـ تنسـبه الی شـی ء من الصـداقه: أولها: أن تکون سـریرته و علانتیه لک واحـده. الثـانیه: أن یزینـک زینه و یشـینک شـینه. الثـالثه: أن لاـ یغیره مـال و لاـ ولایه. الرابعه: أن لا یمنعک شـیئا مما تصل الیه مقدرته. الخامسه: أن لا یسلمک عند النکبات». الصدیق الصدوق الذی یصفه الامام الصادق علیه السلام هو الذی تتمثل فیه هذه الصـفات مظهره و جوهره واحد، یشعر مع صدیقه و یشارکه فی السراء و الضراء، و یحافظ علی موقف واحد فی جمیع الحالات، و یتعاون مع صـدیقه بکل ما یقـدر علیه و یحفظه عنـد کل مکروه فمن اکتملت فیه هـذه الصـفات یمکن أن یتخذ صدیقا. لکن الحیاه لا تحلو بـدون الأصـدقاء المخلصـین الأوفیاء و ان قلوا فی هذه الأیام. - «طلبت الجنه فوجدتها فی السـخاء، و طلبت العافیه فوجـدتها فی العزله و طلبت ثقل المیزان فوجـدته فی شـهاده أن لا اله الا الله محمد رسول الله. و طلبت سـرعه الدخول الی الجنه فوجـدتها فی العمـل لله، و طلبـت حب المـوت فوجـدته فی تقـدیم المـال لـوجه الله، و طلبت حلاـوه العبـاده فوجـدتها فی ترک المعصـیه، و طلبت رقه القلب فوجدتها فی الجوع و العطش، و طلبت نور القلب فوجدته فی التفکر و البکاء، و طلبت الجواز علی الصـراط فوجـدته فی الصـدقه، و طلبت نور الوجه فوجـدته فی صـلاه اللیل، و طلبت فضل الجهاد فوجـدته فی الکسب للعیال، و طلبت حب الله فوجدته فی بغض المعاصی، و طلبت الریاسه

فوجـدتها فی النصـیحه لعبـاد الله، و طلبت فراغ القلب فوجـدته فی قله المـال، و طلبت عزائم الأمور فوجـدتها فی الصبر، و طلبت الشـرف فوجـدته فی العلم، و طلبت العباده فوجـدتها فی الورع، و طلبت الراحه فوجـدتها فی الزهـد، و طلبت الرفعه فوجدتها فی التواضع، و طلبت العز فوجـدته فی الصدق، و طلبت الغنی فوجدته فی القناعه، و طلبت الأنس فوجدته فی قراءه القرآن، و طلبت رضاالله فوجدته فی بر الوالدین». [صـفحه ۲۶۵] یرید الامام الصادق علیه السـلام من المسـلم صاحب الأخلاق الرفیعه فی الدنیا و صاحب الـدرجه الرفیعه فی الآخره أن یکون بمسـتوی المطلوب، یسـعی بکل طاقته بتنظیف جسـده من الشوائب و المعایب لیلیق بـالروح الطـاهره التی أنزلها الله تبارک و تعالی لتکون مصونه نظیفه عنـد لقاء ربها. لـذلک وجب علی المسـلم المؤمن أن یکون عمله کله لله یحب فی الله و یکره فی الله و یعمـل فی سبیـل الله و یجاهـد فی الله و یصبر علی مـا یصـیبه من مکروه و لا یقنط من رحمه الله. و هذا الحدیث کغیره من الأحادیث الحکمیه یعتبر دستورا کاملا فی الحیاه العملیه و منهجا صالحا فی الحیاه الأخلاقیه و نموذجـا عظیمـا فی الحیاه الاجتماعیه. و لا غرو فهو ابن الوصـی و حفیـد النبی صـلی الله علیه و آله و سـلم. - «الغضب ممحقه القلب الحلیم، و من لم یملـک غضـبه لم یملـک عقله». الغضب نقیض الرضا، و یکون مـذموما و محمودا، فالمـذموم ما کان فی غیر الحق، و المحمود مـا کـان فی جـانب الـدین و الحق. و الغضب المـذموم من الرذائـل الخلقیه التی اذا مـا تحکمت فی نفوس الناس و تمنکت من مجتمعاتهم کان لها أسوا الأثر فی

حیاتهم لأنها توهن ما بینهم من روابط المحبه و تمزق عری الموده بین الأفراد. لذلک جعل الاسلام الحلم من صفات المتقین الذین یستحقون رضوان الله، فلا یستسلمون للغضب بل یکظمون الغیظ و یمسکون ما فی النفس بالصبر حتی لا یظهر له أثر فی نتائج أعمالهم و حسن سلوکهم قال تعالی: «سارعوا الی مغفره من ربکم و جنه عرضها السماوات و الأرض أعدت للمتقین. الذین ینفقون فی السراء و الضراء و الکاظمین الغیظ و العافین عن الناس و الله یحب المحسنین» [آل عمران ۱۳۳ – ۱۳۴]. و قال الامام علی علیه السلام: «اذا أردت امتحان انسان فعاینه عند غضبه لا عند رضاه» و امتلاک الغضب یعود الی الحلم وسعه العقل. قال الرسول الأعظم صلی الله علیه و آله و سلم: «لیس الشدید بالصرعه انما الشدید من یمتلک نفسه عند الغضب» [۳۳۸] . [صفحه ۲۶۶] فاذا أردنا مجتمعا اسلامیا سلیما ینشد الرقی الأدبی و السمو الحضاری علینا أن نتعود علی امتلاک أنفسنا عند الغضب فنبطن کل نزوه فینا یبعثها الانفعال الطاری ء فینطلق بها الفم قبل أن یتمحصها العقل، فنتجنب بذلک مشاکل لا حصر لها. من هنا حذرنا الامام الصادق من الغضب فقال علیه السلام: «الغضب مفتاح کل شر». – «من استشاره أخوه فلم یمحضه النصح سلبه الله رأیه» علی المستشیر أن یعرف من یستشیر من الاخوان لتکون استشارته مصیبه و فی محلها. و علی المستشار أن یکون نصوحا لمن استشاره فیعطی من ضمیره الحی کل ما یعرف من معلومات و ارشادات حول الموضوع الذی أستشیر به. أما اذا لم یعط کل ما یعرف أو أنه أعطی قسما و أخفی قسما آخر، أو حرف فیما یعطی فیکون قد غش

و أفسد و بذلك فان الله تعالى يسلبه رأيه نتيجه انحرافه عن الحق و غشه فيما يعطى. و فى الاسلام النصيحه واجبه لكل من طلبها. و «من غشنا ليس منا». - «من صدق لسانه زكى عمله، و من حسنت نيته زيد فى رزقه، و من حسن بره بأهل بيته مد فى عمره». فى صدق اللسان زكاه الأعمال، و من زكاه الأعمال النوايا الصادقه و أصحاب النوايا الصادقه يكسبون محبه الناس فى هذا الدار، و رضوان الله عزوجل فى الدار الآخره. و أفضل الأعمال الصالحه البر بالوالدين. - «من دعا الناس الى نفسه وفيهم من هو أعلم منه فهو مبتدع ضال» العاقل هو من عرف مقدار نفسه و مقدار غيره، و من تملك هذه المعرفه نجا من اتهام الناس له لأنه وضع نفسه فيما يجب أن يكون. - «من أخلاق الجاهل: الاجابه قبل أن يسمع، و المعارضه قبل أن يفهم و الحكم بما لم يعلم». كما وصف عليه السلام العاقل عاد فوصف لنا الجاهل لنبتعد عنه، و هو الذى يعطى الجواب قبل أن يسمع أو يعى السؤال و بطبيعه الحال يأتى حكمه خطأ لأن [صفحه ۲۶۷] لسانه كان قبل قلبه. على عكس العاقل الذى وصفه الامام على عليه السلام فقال: «لسان العاقل وراء قلبه». فعلى الانسان أن يفكر فيما يقول ثم يقول ليكون كلامه موزونا سليما. قال أحد الحكماء: «اذا تكلمت بالكلمه ملكتنى و ان لم أتكلم بها ملكتها». و من هنا كانت حكمه الامام الصادق عليه السلام التاليه: - «دعامه الانسان العقل، و بالعقل يكمل، و هو دليله و مبصره و مفتاح أمره» و هذه الحكمه الصادقه تعتمد على القرآن الكريم دستور الانسانيه الخالد. الذى يركز

على العقـل و يميز العقلاء فى آيات كثيرات نـذكر منها (هل يسـتوى الـذين يعلمون و الـذين لا يعلمون) و أحاديث نبويه كثيره أيضا تمجد العلماء و تعلى مقامهم منها: «العلماء ورثه الأنبياء» فالسـلام عليكم يا أهل البيت ورثه الأنبياء. - «من عذر ظالما بظلمه سلـط الله عليه من يظلمه و ان دعـا لم يسـتجب له و لم يؤجره الله على ظلامته». السـكوت على الظلم لا يجوز و مقاومه الظالمين مفروضه على كل مسـلم و من أعان ظالما على ظلمه شاركه فى ظلامته و كتب عنـدالله من الظالمين و «سـلط الله عليه من يظلمه» (و من يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون) [۳۳۹] و المؤمن يدعو الله فيسـتجيب له، أما الظالم فأعماله باطله و اذا دعا لم يستجب الله دعـاءه، و لا يغفل عنه. قال تعالى: (و لا تحسـبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) [۳۴۰] . و من هنـا كانت حكمه الامام الصادق التـاليه: «من ظلم مظلمه أخـذ بهـا فى نفسه أو فى مـاله أو فى ولـده» فـاذا لم تظهر المظلمه فى الظالم نفسه ظهرت فى ماله أو فى ولـده جزاء لـه بهم. - «من كـان الحزم حـارسه و الصـدق جليسه عظمت بهجته و تمت مروته. و من كـان الهـوى مـالكه و العجز راحلته عاقاه عن السـلامه و ألماه الى الهلكه». قال الحكماء: خلق الله الملائكه من عقل بلا شـهوه، و خلق الحيوان شهوه [صفحه ۲۶۸] بلا عقل، و خلق الانسان من كليهما فمن غلبت شهوته عقله كان شر البهائم، و من غلب عقله شهوته كان خير الملائكه». و صاحب الاراده هو الذى يتحكم بأعماله فيحزم فى أوقات الحزم و يصدق فى جميع أقواله و أعماله،

و عنـدها يعظم فى أعين القوم و يعيش سـعيدا مسـرورا. أما الذى يتحكم به هواه و تضـعف ارادته أمام مغريات الحياه و مباهجها يتعثر به طريق السـلامه و تؤدى به الى الفشل و الخسران. و على العاقل أن يتحكم بالظروف و لا يسمح للظروف أن تتحكم به. - «من زرع العـداوه حصـد ما بـذر» كل انسان يحصـد ما يزرع ان زرع الخير حصد خيرا و عاش سـعيدا بين أهله و قومه، و ان زرع الشر حصد شر أعماله و عاش حزينا منبوذا. فلنجاهد أنفسنا للتشبه بالأفضال و لنتنافس فى الخيرات [٣٤١] .

الحكم السياسيه

- «ثلاـثه تجب على السـلطان للخـاصه و العـامه: مكافأه المحسن بالاحسـان ليزدادوا رغبه فيه، و تغمـد ذنوب المسـيئين ليتوبوا و يرجعوا عن غيهم، و تـألفهم جميعـا بالاحسـان و الانصـاف». الثواب و العقاب مبـدأ تربوى أساسـى فى حياه الناس عامه و طلاب العلم خـاصه. فمن أحسن فى عمله على المسؤول أن يكرمه و يشـجعه على الاسـتمرار فى العطـاء. أما المسـى ء فيكون عبئا ثقيلا على نفسه و على مجتمعه ولكى يتراجع عن غيه و ضـلاله على الحـاكم أن ينبهه و يحـذره و يتغمـد اساءته عله يتوب و يعود الى الطريق المستقيم، و قد يتحول من المسى ء الى المحسن بعد تأثير النصيحه فى نفسه. و بذلك يكون الحاكم قد عالج الاثنين معا بالاحسان و الانصاف، لأنه بحكم موقعه يعتبر الأب الحنون الـذى يفرح بالمجتهدين الناجحين و يحزن الفشل المسـيئين الراسبين فجميع الرعيه له الخاصه و العامه و عليه أن يكون لهم جميعا فلا يفرق بين [صفحه ٢٦٩] قريب أو بعيد أو بين غنى أو فقير، و لا يحقد على أحد فالمحسن يشجعه و يكافئه

و المسی ء ینبهه و یرشده. فالموعظه الحسنه تؤثر فی النفس أکثر من الزجر و التهدید. و هنا یلفتنا قول الامام علی علیه السلام [۳۴۲] فی وصیه لمالک الأشتر علی مصر: و أشعر قلبک الرحمه للرعیه، و المحبه لهم و اللطف بهم، و لا تکونن سبعا ضاریا تغتنم أکلهم؛ فانهم صنفان: اما أخ فی الدین أو نظیر لک فی الخلق! تفرط منهم الزلل، و تعرض لهم العلل، و یؤتی علی أیدیهم فی العمد و الخطأ، فاعطهم من عفوک و صفحک مثل ما الذی تحب و ترضی أن یعطیک الله من عفوه و صفحه، فانک فوقهم، و ولی الأمر علیک فوقک، و الله فوق من ولاک!. فما أحرانا نحن الیوم و فی کل یوم الی تمثل حکامنا بهذه الصفات الحکیمه التی یجب أن یتحلی بها الحاکم من العداله النفسیه، و الثقافه الحقوقیه حتی یتمکن من اقامه العدل بین جمیع أفراد الرعیه. و علیه أن یتملک هواه و یشح بنفسه و یجعل العداله هدفه و غایته لیعطی کل ذی حق حقه بلا- أی امتیازات عرقیه أو اجتماعیه أو مذهبیه. - «صدقه یحبها الله: اصلاح بین الناس اذا تفاسدوا و تقارب اذا تباعدوا» علی الحاکم أن یسهر علی شؤون رعیته فی جمیع أحوالها فیصلح بین القوم اذا ما وقع بینهم خلاف و یطفی ء النار قبل أن یستفحل أمرها فیقاصص المعتدی و یرضی المعتدی علیه. أما اذا تباعدوا فی الرأی فیسعی بکل جهده لیقرب بین وجهات النظر بعد أن یستمع الی أقوال کل طرف منهم. و بذلک یکون قد حفظ شؤون رعیته وصانها من الزلل فیتماسک أفرادها و یتعاون کبیرهم مع صغیرهم و تعم السعاده بینهم. - «ان المشوره لا تکون

الا بحدودها فمن عرفها بحدودها و الا كانت مضرتها على المستشير أكبر من نفعها: [صفحه ۲۷۰] فأولها أن يكون الذى تشاور عاقلا. و الثانيه: أن يكون حرا متدينا. و الثالثه: أن يكون صديقا مواخيا. و الرابعه: أن تطلعه على سرك، فيكون علمه به كعلمك بنفسك، ثم يسر لك و يكتمه، فانه اذا كان عاقلا انتفعت بمشاورته و ان كان حرا متدينا أجهد فى النصيحه لك، و اذا كان صديقا مواخيا كتم سرك اذا أطلعته عليه، و اذا أطلعته على سرك فكان علمه كعلمك به، فهناك تمت المشوره و كملت النصيحه». الله تعالى أمر بالشورى بين المسلمين فقال سبحانه: «و الذين استجابوا لربهم و أقاموا الصلاه و أمرهم شورى بينهم..» [الشورى: ۳۸] و المشوره أمر ضرورى و منطقى فى اصابه الحق و تصويب الحقائق لكن لمن تكون المشوره؟. للمشوره حدود نبهنا لها الامام الصادق عليه السلام لتكون صائبه فى محلها فعلى الذين نشاورهم أن يكونوا: عقلاء، أصحاب دين، أصدقاء يحفظون السر لك و يبيحونك أسرارهم. هكذا تكون المشوره الصحيحه التى أرادها لنا الله فى كتابه العزيز أما اذا كانت المشوره لمصالح شخصيه و لغايات سياسيه فانها باطله و لا تثمر ثمار خيره. و التاريخ ملى ء بالشواهد نذكر منها: المشوره التى حصلت فى السقيفه أثناء انتقال الرسول الأعظم الى الرفيق الأعلى لم تحصل كما أمر سبحانه و تعالى ثم مشوره عمر بن الخطاب فى تعيين عثمان بن عفان خليفه على المسلمين بعد استشارته سته أشخاص أربعه منهم له؟!. - «العدل أحلى من الماء يصيبه الظمآن». من المثل العليا فى الاسلام تكليف متبعيه القيام بالعدل بين الناس دون تمييز أو تفريق من ناحيه العرق و الدم و الجنسيه

و الطائفيه و ما الى ذلک من فروق. قال تعالى فى كتابه المجيد: «يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله و لو على أنفسكم أو الوالدين و الأقربين ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا» [النساء: ۱۳۵]. [صفحه ۲۷۱] فهذا أمر الهى أمر به الله تعالى المؤمنين ليكونوا قائمين بالعدل بين الناس، و أن يكونوا مبالغين فى تحرى العدل الخالص لوجه الله بعيدا عن كل غرض دنيوى أو هدف شخصى، حتى ولو كانت هذه الشهاده على أنفسهم، أو على والديهم أو أقرب الناس اليهم. و لم يكتف الاسلام بهذا الحد بل أمر المسلمين بمراعاه قواعد العدل حتى مع أعدائهم قال تعالى: «و لا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى» [المائده: ۸]. و العدل أساس الملک، هدفه صيانه حقوق الانسان ليعيش حياه كريمه عزيزه هانئه تدعو الى العمران و عدم الفساد فى الأرض التى لا يرثها الا عبادالله الصالحون. قال تعالى: «و لقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون» [الأنبياء: ۱۰۵] أى الصالحون لكل خير و منه الحكم القائم على أساس العدل و سياسه الشعوب سياسه حكيمه سليمه تهدف رضوان الله العزيز الحكيم. لذلک شبه الامام الصادق طالب العدل كطالب الماء فى حاله الظمأ فكم يكون العطشان مشتاق للماء كذلک المظلوم يطلب الحق و يتعشقه. و تحقيق العداله بين سائر خلق الله يتطلب على الحاكم أن يذل للحق اذا لزمه. من هنا كان قول الامام الصادق عليه السلام: - «العز أن تذل للحق اذا لزمک»، حدث فى عهد عمر

بن الخطاب أن جاء أحدهم و قدم شكوى للخليفه بحق على بن أبى طالب. و لما حضر الطرفان الى المحاكمه قال عمر لعلى: تفضل و اجلس يا أباالحسن، و ترك الطرف الآخر. فقال له على: لا يجوز أن أجلس و خصمى واقف، و لا يجوز كنيتى دون الآخر فوافقه الخليفه و حكم بين الطرفين متماثلين متعادلين حتى أعطى الحق لصاحبه و كان لصالح على. هذه هى العداله فى الاسلام. فهل يعمل بها حكامنا اليوم؟ نأمل ذلك، و ذكر ان نفعت الذكرى!. - «لا تكن أول مشير، و اياك و الرأى الفطير، و تجنب ارتجال الكلام، و لا تشر على مستبد برأيه، و لا على وغد، و لا على متلون، و لا على لجوج» الرأى [صفحه ٢٧٢] الفطير كالخبز الفطير غير ناضج و غير مخمر فهذا لا يستلذه الطاعمون و ذاك لا يستطيبه السامعون. و كذلك الكلام المرتجل يقذف به صاحبه من لسانه دون أن يشحن بشحنات عقله و عندها يحصل الخطأ و تضام الحقيقه فى مهدها. أما الكلام المدروس الصادر عن حكمه و تعقل و وعى و تفكير يصيب به صاحبه القصد و يبلغ الهدف الذى يريد. و لهذا سميت البلاغه لأن بها يبلغ صاحبها هدفه المقصود. و المشوره تقال لأصحابها الذين يستحقونها حتى لا تكون رخيصه و بلا فائده فلا تقال لانسان مستبد برأيه لا يثبت على حال واحد و لا يقف موقفا ثابتا يميل مع الريح و يلبس كل يوم بذله حسب الظروف التى تناسب مصالحه. و لا تقال المشوره لانسان ملحاح لجوج يستعجلك رأيك و لا يستوعب النتائج فتذهب مشورتك باطلا. - «ثلاثه يحتاج اليها الناس طرا: الأمن، و العدل، و الخصب».

انی أعتقد أن هذه العناصر الأساسیه الثلاثه التی تحتاج الیها الناس طرا متعلقه ببعضها و لا غنی لواحد منها عن الآخره. بالخصب متعلق بالعدل و هذا متعلق بالأمن. فالبلاد الآمنه المستقره یسود فیها العدل بین جمیع الناس، و من سیاده العدل یأتی الخصب المبارک و الخیر العمیم. و لا یخلو مجتمع من المجتمعات یرغب فی الحیاه الهادئه المطمئنه الا و یحتاج الی هذه العناصر الهامه سویه. - «اذا أراد الله برعیه خیرا جعل لهم سلطانا رحیما و وزیرا عادلا» علی السلطان أن یشعر قلبه الرحمه تجاه رعیته فیساعد الضعیف و یحن علی المحزون، و یشارک المهموم فی همومه لیخفف عنه منها حتی تشعر الرعیه و کأنه أب لها یخفق قلبه بالمحبه و الرحمه و العاطفه النبیله. و من واجب السلطان أن یختار وزیرا عادلا ـ ینصف عادلا القوم دون أی مراعاه بین غنی أو فقیر، أو قوی أو ضعیف، أو وجیه أو مواطن عادی فالکل أمام الحق سواء. هکذا یجب أن یکون الوزیر ساعد السطان فی صیانه شؤون الرعیه و مصالحها الخاصه و العامه. فالوزیر یحمل مسؤولیات کبری أمام الناس و أمام الله، و من لم یجد فی نفسه هذه القوه للقیام بمهام الوزاره فلیترکها الی غیره من العاملین [صفحه ۲۷۳] الناشطین لأن الوزاره وزر علی عاتق حاملیها. و قد طلب نبی الله موسی من ربه عزوجل: «واجعل لی وزیرا من أهلی، هارون أخی، أشدد به أرزی» [طه: ۲۹]. - «العامل بالظلم و المعین له و الراضی به کلهم شرکاء». لما قرر الاسلام العدل یعنی أنه رفض الظلم و شدد علی الظالمین. قال تعالی: «و أخذنا الذین ظلموا بعذاب بئیس بما کانوا یفسقون» [الأعراف: ۱۶۵]

و المعين على الظلم و الراضى به كلهم شركاء. و هذا ما حصل فى الماضى فى عصر النبى صلى الله عليه و آله و سلم و بعد عصر النبى و فى عصرنا الحاضر حيث بعض الرؤساء و الحكام العرب يتسابقون الى الظالمين ليعينوهم على ظلمهم بعد أن تفنن هؤلاء فى اجرامهم و ظلمهم الشعوب المستضعفه. لقد نسوا قول الله تبارك و تعالى فى عقاب الظالمين و ما سيلقون من نار جهنم. قال تعالى: «و اعتدنا للظالمين عذابا أليما» [الفرقان: ۳۷] و قال تعالى أيضا: «فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين» [الأنبياء: ۲۹]. - «ان الامامه لا تصلح الا لرجل فيه ثلاث خصال: «ورع يحجزه عن المحارم، و حلم يملك به غضبه، و حسند الخلافه على من ولى حتى يكون له كالوالد الرحيم». على الامام فى الاسلام أن يكون تقيا ورعا يحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الآخرون فورعه فى دينه يمنعه من تجاوز حدود الله المرسومه فى التشريع الاسلامى المنزل من عندالله و ليس من صناعه الأشخاص. و عليه أن يكون حليما يدرس أمور رعيته بحكمه و رويه، يتقبل قضاياهم و يحل مشاكلهم برحابه صدر فيكظم غيظه عند الغضب، و يكلمهم على قدر عقولهم و يعاملهم معامله الأب الرحيم العطوف. و بذلك يحسن رعايتهم و يمتلك قلوبهم و اطاعتهم. - «وجدنا بطانه السلطان ثلاث طبقات: طبقه موافقه للخير و هى بركه عليها و على الرعيه. و طبقه غايتها المحاماه على ما أيديها فتلك لا محموده و لا مذمومه، بل هى الى الذم أقرب. [صفحه ۲۷۴] و طبقه موافقه للشر و هى مشؤومه مذمومه عليها و على السلطان». لا بد لأى شعب من الشعوب أن يتألف

من طبقات ان فی الماضی أو الحاضر الا أن نوع الطبقات یختلف و کذلک مستوی فهمها للحیاه الانسانیه المتطوره. فوجدنا طبقه عاقله کریمه مـدرکه معنی وجودها و مدی تطلعها للحیاه الحره الکریمه. و هذه کلها خیر لأفرادها و لمجتمعها. و طبقه ثانیه همها مصالحها الشخصـیه تدافع عنها و لا هم لها سوی ذلک فخیرها محدود لا یزید عن مصالحها. و طبقه شریره معادیه مشئومه مؤذیه لنفسـها و لمجتمعها. و قـد حذرنا الامام الصادق علیه السـلام من الطبقه الشـریره المشؤومه، و بین لنا صـفات الطبقه الثانیه التی لا تفید الا نفسـها و خیرها لا یتجاوز حدودها. و طبقه یفیض خیرها علی أفراد مجتمعها. و دعانا لنکون من عدادها نفید أفراد رعیتنا و نفید الناس جمیعا بکل ما عندنا من طاقات. هذا الحدیث الصادقی ذکرنی بحدیث نبوی شـریف یقول: الناس ثلاثه أصـناف و هم کالأرض: ۱- منها أرض رملیه تشـرب الماء کله لنفسها فلا تفید غیرها من الناس و خیرها محصور بها دون سواها. ۲- و منها أرض قیعان صـلبه تحجز الماء و لا تشـربه بل یبقی محصورا مده من الزمن حتی یتبخر و ینتهی فهی بذلک لا تفید و لا تسـتفید. ۳- و منهـا أرض خصـبه تشـرب المـاء فتحیی به الزرع و یسـتفید منها کل الناس فتسـتفید و تفیـد، و کـذلک هم الناس فی شتی المجتعمـات. و ما نلفت الیه أن الطبقه الموافقه للخیر، و هی برکه علیها و علی الرعیه و موافقه للسـلطان فی الوقت نفسه، فمن هو السـلطان و ما هی صـفاته لکی تطیعه و تکون برکه علی الرعیه؟ بلا ریب و لا شک هو السـلطان الذی وصفه الامام الصادق علیه السلام فی أکثر من موقع.

فقال علیه السـلام: [صفحه ۲۷۵] «هو من کـان الحزم حارسه و الصـدق جلیسه...» و قال علیه السـلام أیضا: السـلطان الـذی یهتم بأمور المسـلمین: «من لم یهتم بأمور المسـلمین فلیس بمسـلم» و هـذا انطلاقا من قول رسول الله صـلی الله علیه و آله و سـلم: «من أصبح لا یهتم بأمور المسلمین فلیس منهم و من سمع رجلا ینادی للمسلمین فلم یجبه فلیس بمسلم» و قال علیه السلام فی صفات السـلطان أو الحـاکم: «ورع یحجزه عن المحـارم، و حلم یملـک به غضـبه، و حسن الخلافه علی من ولی حتی یکون له کالوالد الرحیم». هذه هی صفات الحاکم الذی یجب علی الطبقه الخیره أن تطیعه و تتعاون معه.

الحکم النفسیه

و قال علیه السـلام فی وصف النفس البشـریه المتلونه بألوان الحیاه و المتغیره بحسب الظروف الصافیه حینا و المتعکره أحیانا مما یؤثر فی حیـاه الفرد فیعمـد مره الی التعویض و مره أخری الی التصـعید. من هـذه الحکم النفسـیه الصادقه قال علیه السـلام: - «لا یطمعن ذو الکبر فی الثناء الحسن، و لا الحب فی کثره الصدیق، و لا السـی ء الأدب فی الشرف، و لا البخیل فی صله الرحم، و لا المسـتهزی ء بالنـاس فی صـدق الموده، و لاـ القلیـل الفقه بالقضـاء. و لا المغتاب فی السـلامه، و لا الحسود فی راحه القلب، و لا المعاقب علی الذنب الصغیر فی السؤود، و لا القلیل التجربه المعجب برأیه فی الریاسه». فی التشریع الاسلامی الرجل المناسب فی المکان المناسب، و طالب الولایه لا یولی و یعطی کل ذی حق حقه و لا مجال للتـدخلات السیاسـیه أو القبلیه من بعید أو قریب. لذلک حذرنا الامام الصادق علیه السلام من الأخذ بالمظاهر و التأکید علی الجوهر الخالص: فالثناء الحسن لا

يقـدم و لاـ يؤخر فى النفوس الكـبيره، و كثره الأصـدقاء لاـ تزيـد [صـفحه ٢٧٦] فى مـاهيه الحب، و صـدق المـوده لاـ تؤثر فى المسـتهزى ء بالناس و كذلك صـله الرحم بالبخيل، و القضاء بجاهل الفقه، و السـلامه فى المغتاب، و راحه القلب فى الحسود، و لا السؤود على المعاقب على الذنب، و لا المعجب برأيه فى التسـلط و حب الرياسه. و الأصل يبقى الأصل و الشجره الطيبه أصلها ثابت و فرعها فى السـماء، و لا تتأثر اذا رشـقها المفسـدون بالحجاره. - «لا يصـلح من لا يعقل، و لا يعقل من لا يعلم، و الصـدق عز، و الجهـل ذل، و الفهم مجـد، و الجـود نجـح، و حسن الخلـق مجلبه للموده، و العـالم بزمـانه لاـ تهجم عليه اللوابس، و الحزم مشـكاه الظن، و العاقـل غفور و الجاهـل ختور؛ و ان شـئت أن تهان فاخشن، و من كرم أصـله لان قلبه، و من خشن عنصـره غلظ كبـده، و من فـط تورط و من خـاف العـاقبه تثبت». العلم أساس العقل و العقل أساس كل صـلاح، و لا عز للجاهل و لا مجـد، و الكرم صـفه نفسـيه ترفع من قـدر صاحبهـا و تجلب له الموده. و الأصـل الكريم يلين الطبع أمـا الطبع يغلظ الطبع الخشن و يفسـد القول و خير الأـمور أوسـطها فلاـ افراط و لاـ تفريـط و من حاسب نفسه سـلم. - «لا تعتـد بموده أحـد حتى تغضـبه ثلاث مرات» الغضب نقيض الرضا رذيله من الرذائل الخلقيه التى نهى عنها الاسـلام، لـذلك جعل الحلم من صـفات المتقين الذين يسـتحقون رضوان الله فلايستسلمون للغضب بل يكظمون الغيظ و يمسكون ما فى النفس من الغضب بالصبر. و الغيظ هو أعلى درجات

الغضب. و الرسول الأعظم عد امتلاک الغضب من المجاهده و من امارات البطوله قال صلی الله علیه و آله و سلم: «لیس الشدید بالصرعه انما الشدید من یمتلک نفسه عند الغضب» [۳۴۳] . و قال الامام علی بن أبی طالب علیه السلام: «اذا أردت امتحان انسان فعاینه عند غضبه لا عند رضاه» لأن الانسان فی حاله الغضب حاکم جائر غیر منصف فهو لا یری وقت غضبه صوابا لذلک تأتی أحکامه بعیده عن الحق و قد جعل الاسلام العفو [صفحه ۲۷۷] من صفات المؤمنین، و خاصه عند الغضب قال تعالی: «و الذین یجتنبون کبائر الاثم و الفواحش و اذا ما غضبوا هم یغفرون» [الشوری: ۳۷]. و قال لقمان الحکیم: «ثلاثه لا تعرفهم الی فی ثلاثه: لا تعرف الحلیم الا عند الغضب، و لا الشجاع الا عند الحرب، و لا تعرف أخاک الا اذا احتجت الیه». لذلک نبهنا الامام الصادق علیه السلام أن لا نعتد بموده أحد من الناس حتی تغضبه، فعند ذلک نعرفه علی حقیقته. فیکون الغضب میزان المعرفه الصحیح و محک الاخوان الدقیق. - «لیس لک أن تأمن الخائن و قد جربته و لیس لک أن تتهم من ائتمنت». علی العاقل أن یتروی فی اختیار الاخوان و التجربه لهم أکبر برهان لصدقهم فی سلوکهم و معاملاتهم. و بعد التجربه یتبین الخائن من الأمین، فالأول لا مجال للتعامل معه و الثانی یتروی فی اصدار الحکم علیه قبل اتهامه. من هنا کان قول الامام علی علیه السلام: «ترو فی اختیار الصدیق و ترو فی ترکه». و الامام الصادق قد حذر من الخائن بعد تجربته فی أکثر من موقع فقال فی حدیث آخر: «احذر من الناس ثلاثه: الخائن، و النمام، و

الظلوم ثم وضـح لنـا الأسـباب: «لأن الخائن كما خان غيرك يخونک، و من نم اليک سـينم عليک، و من ظلم لک سـيظلمک». لقـد وضع الخيانه فى الدرجه الأولى ثم النميمه ثم الظلم، ثلاث صـفات من الرذائل نهى عنها الاسـلام و عاقب عليها. - «المغرور فى الدنيا مسـكين، و فى الآخره مغبون، لأنه باع الأفضل بالأدنى، و لا تعجب من نفسک فربما اغتررت بمالک و صـحه جسدک لعلک تبقى، و ربما اغتررت بطول عمرک و أولادک و أصـحابک لعلک تنجو بهم، و ربما اغتررت بجمالک و اصابه مأمولک و هواک فظننت أنـک صـادق و مصـيب و ربما اغتررت بما ترى من النـدم على تقصـيرک فى العباده، و لعل الله يعلم من قلبک بخلاف ذلک، و ربما أقمت نفسک على العباده متكلفا و الله يريـد الاخلاص، و ربما توهمت أنک تدعو الله و أنت تدعو سواه، و ربما حسـبت أنک ناصـح للخلق و أنت تريـدهم لنفسک، و ربما ذممت نفسک و أنت تمدحها على الحقيقه». [صـفحه ٢٧٨] من الصـعب أن يغش الانسـان النـاس و الأدهى أن يغش نفسه، و هـذه هى حال المغرور الـذى لا يقـدر وزنا صـحيحا لنفسه و لا يضع نفسه فى المكان الـذى يسـتحق. فهو مسـكين فى الدنيا لكره الناس له، و مغبون فى الآخره لبعده عن الحق و الرشاد. فبعض الناس يغترون بمالهم حيث يقدرون كل الأمور حتى المعنويه منها بالمال، فيتوهمون أنهم يسـتطيعون شـراء الضمائر كما يشترون السـلع من الأـسواق. و البعض الآـخر يغترون بصـحتهم الجيـده و لا يفكرون أنها صائره الى الهلاک و الفناء «كل من عليها فان و يبقى وجه ربک ذوالجلال والاكرام» [الرحمن: ٢٦]. و البعض يغتر بأولاده

و کثره أصحابه، ان کل ذلک لا یفیده شیئا کما یتوهم الملوک و أرباب العشائر و القبائل و نسوا أو تناسوا وعد الله للذین آمنوا و عملوا الصالحات أن لهم الجنه. قال تعالی: «و بشر الذین آمنوا و عملوا الصالحات أن لهم جنات تجری من تحتها الأنهار» [البقره: ۲۵]. و قال تعالی أیضا: «و بشر المؤمنین الذین یعملون الصالحات أن لهم أجرا کبیرا» [الاسراء: ۹] و کثیر من الآیات التی ترکز علی الأعمال الصالحات. و قد یغتر البعض أنهم یصیبون فی کل ما یقولون و ما یحبون ولا یعیرون وزنا لنقد الناس لهم فتأتی أقوالهم مغالیه و أعمالهم مبتوره. و البعض یغتر بمظاهر العباده فیتکلف و یتصنع و یتظاهر بخلاف ما یضمر فی نفسه متناسیا أن الله تعالی یعلم ما تکن الصدور و أنه أقرب الیه من حبل الورید. و البعض یحسب نفسه مرشدا صالحا للناس و هو یریدهم لخدمته و مصالحه متوهما أنهم ضعفاء جاهلون فیبدو و کأنه یذم نفسه و هو یمدحها، لأسن من مدح نفسه ذمه الناس، و من جهل حدود نفسه وقع فی النقصان و العمل الصالح هو المیزان الصحیح لتقدیر الناس فی الدنیا و الآخره. - «من وقف نفسه موقف التهمه فلا یلومن من أساء الظن به. و من کتم سره کانت الخیره بیده، و کل حدیث جاوز اثنین شاع، وضع أمر أخیک علی أحسنه، و لا تطلبن بکلمه خرجت عن أخیک سوءا و أنت تجد فی الخیر لها محملا، و علیک باخوان الصدق فانهم عده عند الرخاء و جنه عند البلاء، و شاور فی حدیثک الذین [صفحه ۲۷۹] یخافون الله و أحب الاخوان علی قدر التقوی، و اتق

خيار النساء و كن من شرارهن على حذر، و ان أمرن بكم فى المعروف فخالفوهن حتى لا يطمعن منكم فى المنكر». العاقل هو من ابتعد عن مكان التهم و صان نفسه من الرذائل، لأن الذى يعاشر الأشرار يكن منهم، و ان لم يكن منهم اتهم من قبل الأخيار. و من كتم سره بقى أمره بيده و خلص من نقد الناس له، و عليه أن لا يطلب أخيه فى كل أعماله بل يترك له مخرجا عله يعود عن غيه. كما عليه أن يحسن اختيار الأصدقاء المخلصين لأنهم عده له عند السراء و الضراء. و اذا أراد المشوره فليشاور أهل الدين لأنهم صادقون مخلصون لا يضمرون الا الخير للبعيد و القريب. أما النساء فحذر الامام من خيارهن متخذا قول جده أميرالمؤمنين الامام على بن أبى طالب قاعده أساسيه له، ثم أمر بمخالفتهن حتى لا يطمعن فى المنكر.

الحكم الاقتصاديه

و فى العلوم الاقتصاديه كان للامام عليه السلام جولات موفقه نذكر بعضها على سبيل الذكر لا الحصر. فقال: - «ان السرف يورث الفقر و ان القصد يورث الغنى». الا أن بين الاسراف و البخل رتبه اذا زاد أحدهما على الآخر وقع فى النقصان فمن صرف دون أن يحسب وقع فى الفقر دون أن يدرى، و من يبخل على نفسه و على عياله خوفا من الفقر فقد فعل الفقر و عاش عيشه الفقراء و أفضل حل فى هذا المجال هو الاقتصاد ننفق على أنفسنا ما نحتاجه و نقتصد الباقى لحين الحاجه اليه، و كما يقول المثل: القرش الأبيض لليوم الأسود. و الانفاق فى الاسلام يجب أن يكون فى سبيل الله و على مصالح الطبقه المحتاجه و قد رغب القرآن فى هذا الانفاق

لأنه فضـيله ساميه يقضى على الفوارق الاجتماعيه فى الدنيا و يكسب مرضاه الله فى الآخره. قال تعالى: [صفحه ۲۸۰] «مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبه أنبتت سبع سنابل فى كل سنبله مائه حبه والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم» [البقره: ۲۲۶]. كمـا وصف الله الانفـاق فى سبيـل الله تجـاره رابحه تنفع صاحبهـا فى الـدنيا و الآخره. قال تعالى: «يا أيها الـذين آمنوا هل أدلكم على تجاره تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله و رسوله و تجاهدون فى سبيل الله بأموالكم و أنفسـكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون» [الصف: ۱۱ - ۱۰]. فهذه التجاره العظيمه لا تبور و هى التى تعاطاها المجاهدون المؤمنون أيام النبى صلى الله عليه و آله و سـلم فى حروبه ضـد المشـركين و الكفـار و التى يخوضـها اليوم المجاهـدون فى جنوب لبنـان و فى البقـاع الغربى حيث يجاهدون بأنفسـهم من أجل كرامه المسلمين و الحفاظ على الأرض الاسلاميه من اليهود المعتدين الآثمين فبوركت سواعدهم و بورك نضـالهم. و لنوجه أموالنـا حيث يجب الله أن يوجه قـال الامـام الصادق عليه السـلام: - «انما أعطاكم الله هـذه الفضول من الأـموال لتوجهوها حيث و جهها الله عزوجل لم يعطكموها لتكنزوها». ان من يكنز المال و لا ينفقه حيث أمر الله سـبحانه و تعالى يقع فى اثم كبير يجـازى عليه جزاء عسـيرا. قـال تعـالى: «و الـذين يكنزون الـذهب و الفضه و لاـ ينفقونهـا فى سبيـل الله فبشـرهم بعذاب أليم» [التوبه: ۳۴]. - «الـدين غم فى الليـل و ذل فى النهار». غم فى الليل لأن صاحبه لا ينام و اذا نام لم يهنأ فى نومه يبقى قلقا مهموما و ذل فى النهار:

من مطـالبه النـاس له و طرق أبوابه ممـا يجعله خجلاـ ذليلا و لا يخفى أن الحياء من الـدين كما قال الامام الصادق: «مقرونان معا فاذا ذهب أحدهما اتبعه الآخر». فالذى يعمل حساباته بدقه و يحسن التوفيق بين المصـروف و المدخول لا يقع فى هم الدين و لا يغتم فى الليـل و يـذل فى النهـار بل (يمـد رجليه قـدر بساطه) و لهـذا قال الامام الصادق للـذين يخافون الفقر: [صـفحه ۲۸۱] - «ضـمنت لمن اقتصـد أن لاـ يفتقر» و عمليه الاقتصـاد عمليه واسـعه الجوانب عميقه الأبعـاد لهـا قواعـدها و أصولهـا العلميه يتقنها أصحاب الاختصاص الذين يعرفون طرق زياده الانتاج فى الزراعه و الصناعه و التجاره، و طرق توزيع الانتاج فى الأمكنه المناسبه و المقادير المناسبه، و تصدير الفائض و حمايه المحصول حتى يحافظ على سعره فى السوق المحلى و الأسعار الخارجيه. فالدوله التى تدرس اقتصادها دراسه علميه صحيحه فتعمل على زياده انتاجها و تساعد العاملين فى هذا المجال و تحمى أسواقها من الغزو الخارجى لايمكن أن تقع فى حبال الفقر و تعيش سـعيده موفوره الكرامه. - «كسب الحرام يبين فى الـذريه» وضع الاسـلام نظاما اقتصاديـا عادلاـ فمنع الغش و عين مقادير الكسب و بين التجاره الحلال و نهى عن التجاره الحرام. كالربا مثلا الـذى اعتبره منكرا اقتصاديـا غليـظ الاثم لأنه يتنافى مع تعاليم الاسـلام الانسانيه. و مال الربا هالك ممحقوق لا يعطى و لا يثمر و هو كسب حرام ان لم يبين فى المرابى عاجلاـ يبين فى ذريته آجلاـ قال تعالى: «يمحق الله الربا و يربى الصـدقات» [البقره: ۲۷۶] [۳۴۴] . و قد حرم الاسلام الربا تحريما قاطعا. قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله

و ذروا مـا بقى من الربـا ان كنتم مؤمنين، فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله و رسوله، و ان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون و لاـ تظلمـون. و ان كـان ذو عسـره فنظره الى ميسـره و أن تصـدقوا خير لكـم ان كنتم تعلمـون» [البقره: ۲۷۸ - ۲۸۰] و الرسول الأـعظم لعن آكل الربا و موكله و كاتبه و شاهـديه و قال: هم فيه سواء [۳۴۵] . و سـبب تحريـم الاسلام للربا لأنه يوهن العلاقات الاجتمـاعيه و يسـبب العـداوه و البغضاء بين الأفراد، فيفقـد التعاون بينهم، و تنضب المحبه من قلوبهم، و يولى الاخلاص الى غير رجعه، و ينـدب الوفاء حظه على هـذه الحاله المزريه، و تصـرخ المروءه صـرختها المدويه لتحمل عصاها و ترحل الى مكان آخر يقدرونها الناس حق [صفحه ۲۸۲] قدرها. و هذا ما يحصل فى عصرنا الحاضر عصر التكالب على الماده و جمع المال، بعيدا عن الشـفقه و الشـعور الانسـانى الـذى أودعه الله فى قلوب المؤمنين: «و ان كـان ذو عسـره فنظره الى ميسـره». فى هـذا الزمن التعيس عنـدما قال: العفاف غطونى بورق التين، و قالت النذاله زينونى بالوسامات، و قال الشـر: ألبسونى ملابس الصـلاح، و قال الخداع: ضعوا رداء الاخلاـص على كتفى، و قـالت الخيانه، ضـعوا تاج الأمانه على رأسـى. و قال الغش: ألبسونى رداء التواضع. قال الحق عندها: اتركونى عريانا فانى لا أخجل! [۳۴۶] و الدين الاسـلامى دين يسر و ليس دين عسر، و هو يحث على التصدق بالعفو عن المعسـر، و كل انسان يمر بحالات مختلفه فيها اليسـر و فيها العسر، و هكذا هى الحياه بشتى ألوانها. - «كل ذى صناعه مضطر الى ثلاث خلال يجتلب بها

الکسب: أن یکون حاذقا بعمله، مؤدیا للأمانه فیه، مستمیلا لمن استعمله» بعد أن حرم الاسلام الکسب الحرام عین الکسب الحلال و شجع علیه. ثم وضع شروطا له. فعلی الصانع: «أن یکون حاذقا بعمله» اتقان العمل واجب فی التشریع الاسلامی، و هذه نظره حضاریه متطوره ترفع من شأن الأوضاع الاجتماعیه و تساعد علی نموها. قال الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله و سلم: «من أراد منکم عملا فلیتقنه» و الاتقان هو أعلی درجات الحذق فی العمل. و الشرط الثانی للصانع المسلم: أن یؤدی الأمانه فی عمله. الغش فی العمل حرام، و الصانع الذی یغش لیس بمسلم. قال الرسول الأعظم «من غشنا لیس منا» فبعد الاتقان، الأمانه فی العمل لیحافظ علی شرف العمل و معامله الناس معامله حسنه و صریحه لا لبس فیها و لا خداع. و من یعمل بهذه الشروط، یتقن عمله بحذق و یؤدیه بأمانه، یستمیل الناس الیه یحببهم فیه. و بذلک یکسب مالا حلالا فی هذه الدنیا، و یکسب رضوان الله علیه فی الآخره. [صفحه ۲۸۳] - «ان من بقاء المسلمین و الاسلام أن تصیر الأموال عند من یعرف حقها، و یصنع فیها المعروف، و ان من فناء الاسلام و المسلمین أن تصیر الأموال فی أیدی من لا یعرف فیها الحق، و لا یصنع فیها المعروف» فیا سبحان الله! الامام الصادق امام کل زمان، فلو کان بیننا الیوم و رأی کیف یتصرف المسلمون العرب بأموالهم فماذا یقول!! المال سلاح خطیر جدا فی بناء المجتمعات المتحرره، فهو ذو حدین: فاذا کان فی أیدی المسلمین المخلصین الذین یحصلون المال الحلال و ینفقونه بالطرق الحلال، ففی ذلک بقاؤهم و بقاء الاسلام. أما اذا حصلوه بطرق

غير شرعيه كالقمار و تجاره المخدرات و غير ذلك من الطرق التى حرمها الاسلام، ثم وضعوه فى أيدى أعداء الاسلام الذين يكيدون المكائد للمسلمين، فبعمله هذا يكون قد ساهم فى فناء الاسلام و المسلمين. كما هو حاصل اليوم حيث نرى أصحاب الأموال المقنطره من العرب يضعون أموالهم فى المصارف الأمريكيه و الأوروبيه فيفيدون بها أعداء الاسلام و يحرمون من نفعها اخوانهم فى الدين و المصير!! فكان الأولى بهم أن يقيموا بأموالهم المكنوزه هذه مشاريع انمائيه فى البلاد الاسلاميه فيفيدون و يستفيدون. - «انما أعطاكم الله هذه الفضول من الأموال لتوجهوها حيث وجهها الله و لم يعطكموها لتكنزوها». أنعم الله على عباده بنعم لا تحصى منها المال، و هو وسيله هامه من وسائل العيش و الانماء. و المال فى الاسلام هو مال الله و صاحب المال يحوله كيفما شاء لكن بشروط، أهمها: مرضاهالله عزوجل. فاذا وجه هذه النعمه وجهها الصحيح و المشروع فى العمل الحلال و الربح الحلال كسب رضى الله و بالتالى رضى عبادالله المحتاجين فقد يقوم بمشاريع انتاجيه مفيده للمسلمين، فى الزراعه أو الصناعه أو الزراعه فيستفيد العامل المسلم و رب العمل فى الوقت نفسه ربحا حلالا زلالا لا مشوبه فيه. أما اذا اكتنز المال فى خزائنه خوفا من الفقر فكأنه يحرم نفسه و يحرم غيره من اخوانه العمال المسلمين الذين تنتظر سواعدهم القويه وهممهم العاليه هذه النعمه الهامه. و قد نبه الله عزوجل المسلمين الأغنياء من اكتناز المال و عاقب عليه [صفحه ۲۸۴] فقال تعالى: «.. الذين يكنزون الذهب و الفضه و لا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم تحمى بها جباههم و جنوبهم و ظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم

فـذوقوا ما كنتم تكنزون» [التوبه، ۳۴ و ۳۵] لذلک وضع الاسـلام الحل المناسب فشـرع الزكاه اختبارا للأغنياء و مساعده للفقراء. فقال الامام الصادق عليه السـلام: - انما وضـعت الزكاه اختبارا للأغنياء، و معونه للفقراء، و لو أن الناس أدوا زكاه أموالهم ما بقى مسـلم فقيرا محتاجا، و لا مسـتغن بما فرض الله عزوجل عليه. و ان الناس ما افتقروا و لا احتاجوا و لا جاعوا الا بـذنوب الأغنياء، و حقيق على الله عزوجل أن يمنع رحمته ممن منع حق الله فى ماله، و أقسم بالله الذى خلق الخلق و بسط الرزق، أنه ما ضاع مال فى بر و لا فى بحر الا بترک الزكاه، و أن أحب الناس الى الله عزوجل أسـخاهم كفا، و أسـخى الناس من أدى زكاه ماله، و لم يبخل على المؤمن بمـا افـترض الله عزوجـل لهم فى مـاله.» الزكـاه فى التشـريع السـلامى صـدقه، و فى اللغه تعنى: الطهـاره و سـمى الله الصـدقه المفروضه زكـاه لأنها تطهر النفس. قال تعالى: «خـذ من أموالهم صـدقه تطهرهم و تزكيهم بها» [التوبه: الآيه ۱۰۳] تطهر نفوسـهم من أرجـاس البخل و الأثره و الطمع و الزكاه حق معلوم للمحرومين عنـد الأغنياء، قال تعالى: «و الـذين فى أموالهم حق معلوم للسائل و المحروم» [المعارج: ۲۴ - ۲۵]. و قد شدد الاسلام على الزكاه فجعلها مع التوبه من الشرک. قال تعالى: «فان تابوا و أقاموا الصلاه و آتوا الزكاه فاخوانكم فى الدين» [التوبه: ۱۱] فقد اقترنت الزكاه بالصلاه دائما، لأن الصلاه عمود الدين و الزكاه قنطرته، ن عبر عليهـا نجـا. و للزكـاه أثر جليـل على المجتمع، فمن مظاهرهـا التكافل الاجتماعى و الأخوه الانسانيه، فعـدم استئثار الفرد على أخيه بما

يكون أحوج اليه منه، يشيع عداله اجتماعيه رفيعه المستوى، عداله تنبع من داخل الفرد و لا تفرض عليه، فهو يشعر أن ما فى يده يجب أن يسخره بدافع شخصى لقضاء حاجه أخيه، لأن الأخوه هى الرباط الوثيق الذى يجمع أفراد المجتمع و يجعل منهم جسما واحدا، اذا أصيب [صفحه ۲۸۵] أحد أعضائه تداعت له سائر الأعضاء بالحمى و السهر. و الأخوه بلا ريب أرفع شأنا من المال، و ما جعل المال الا صونا لها و عندما يشعر الطرف الآخر الذى يعطى أن فى يد أخيه لقضاء حوائجه يكون بلا ريب أدعى فى نفسه للحفاظ عليه و يحب الازدياد بين يديه بلا طمع أو غيره أو حسد. و عندما يكون المال للجميع دون مفاضله أو منه، يتحقق عندها التوازن الاجتماعى، و تزول الفوارق بين الأفراد فيذهب الفقر و يختفى الفقراء على الأرض الاسلاميه. فالزكاه بمفهوم الامام الصادق و الشرع الاسلامى تقوم بأداء دور السماواه و تحقيق العداله الاجتماعيه، حتى يكون الناس طبقه واحده لا يفضل أحدهم على الآخر الا بصفاته الشخصيه الموهوبه له تكوينيا لا تشريعيا. أما روح الزكاه فهى عدم الاستئثار على الأخ بما هو أحوج اليه، فتقوم الفريضه بتأديه هذا الدور فى الحدود الممكنه، لأن المال مال الله جعل خواتيمه فى الأرض لصالح عباده، فلا فضل لمجتنيه الا ـ فى ايصال ما ائتمن عليه. و الزكاه حق مفروض فى المال غير متروك لوجدانيات الأفراد و لا لمدى احسانهم، حق تأخذه الدوله و تقاتل عليه، و ليس احسانا فرديا من يد الى يد، و من متفضل عليه. فالمطلوب من المسلمين العرب الأغنياء أن يتقيدوا بأحكام الله و يؤدوا الزكاه ابتغاء وجه الله و ليس من

غرض خاص قال تعالی: «و ما تنفقون الا ابتغاء وجه الله و ما تنفقوا من خير يوف اليكم و أنتم لا تظلمون» [البقره: ۲۷۲].

الحكم العلميه

- «أطلبوا العلم و لو بخوض اللجج، و شق المهج». قالوا: العلم نور يهتدى به أهل البصائر الی سواء السبيل، و العلم غذاء الروح يحييها و يمتعها و يرقی فی مدارج الحياه السعيده. و بالعلم تخلص الانسان من خشونه الحياه الجاهليه و عرف حدوده و نظم حياته و وسع أفقه، و أدرک مسؤوليته، و کسب حريته، و علم حقوقه فی الحياه الکريمه. و بالعلم عرف الانسان ربه و اهتدی الی الدين الحنيف: قال تعالی: «انما يخشی الله من عباده العلماء» [فاطر: ۲۸]. [صفحه ۲۸۶] لأن العلماء قد اهتدوا الی سواء السبيل بنور علومهم فخافوا الله و کأنه يراهم فی حرکاتهم و سکناتهم، فکسبوا رضاه و اطمأنوا فی حياتهم. و العلماء ورثه الأنبياء فبعد أن کسبوا رضوان الله کسبوا أيضا محبه الناس و احترامهم و تقديرهم، فکانوا مميزين فی مجتمعهم جباههم عاليه و أياديهم بيضاء و روائح أعمالهم عطره جملها العطاء و جللها الثناء. قال تعالی: «قل هل يستوی الذين يعلمون و الذين لا يعلمون» [الزمر: ۹] و قال الرسول الأعظم صلی الله عليه و آله و سلم: «العلم فريضه علی کل مسلم و مسلمه» و قال الامام علی عليه السلام: «اطلب العلم من المهد الی اللحد». و هذا ما دفع بحفيده الی القول: اطلبوا العلم و لو بخبوض الجج و شق المهج. و بعد أن حرض الامام الصادق عليه السلام علی طلب العلم و بذل الجهود فی تحصيله أکد علی کيفيه تحصيله فقال: - «ان هذا العلم عليه قفل و مفتاحه

السؤال». العلوم مسجونه فی خزائن أصحابها و لاـ یمکن الحصول علیها الا بسؤال طلابها. فمن أراد المعرفه علیه بالسؤال، ولکن علیه أن یعرف کیف یسأل و من یسأل و ماذا یسأل؟ فطلاب العلم یأخذون علومهم من أصحابها المعروفین، و من مکامنها الصالحه. و علی العلماء أن یعلموا طلابهم لوجه الله لیفیدوا اخوانهم و یسعدوا مجتمعهم. أما العالم الذی یعلم و یخبی ء مفاتیح علومه فکأنه لا یعلم و یصبح کالغنی البخیل یکنز أمواله فلا یستفید و لا یفید. و علینا أن نکون کما یریدنا الامام الصادق أنهارا فیاضه تجری باستمرار لینهل منها کل المتعطشین لکسب العلوم بشتی أنواعها. فلا نبخل بسؤال ما نعلم، و لا نتذمر من أسئله الطالبین. نجیبهم برحابه صدر و نهتم بجمیع أسئلتهم الکبیره و الصغیره حبا بهم و عطفا علیهم. - «طلبه العلم علی ثلاثه أصناف: فاعرفهم بأعیانهم و صفاتهم: ۱- صنف یطلبه للجهل و المراء. [صفحه ۲۸۷] ۲- و صنف یطلبه للاستطاله و الختل. ۳- و صنف یطلبه للفقه و العقل. فصاحب الجهل، و المراء متعرض للمقال فی أندیه الرجال یتذاکر العلم، وصفه الحلم، قد تسربل بالخشوع، و تخلی عن الورع فدق الله من هذه خیشومه. و صاحب الاستطاله و الختل: ذو خب و ملق، یستطیل علی مثله من أشباهه و یتواضع للأغنیاء من دونه. و صاحب الفقه و العقل ذو کآبه و حزن یعمل و یخشی، وجلا داعیا مشفقا علی شأنه، عارفا بأهل زمانه، مستوحشا من أوثق اخوانه». التاریخ یعید نفسه و ما کان فی عصر الامام الصادق نجده الیوم فی مجتمعنا نجد الناس مختلفین فی نشأتهم و مواهبهم و أهدافهم. فمنهم من یطلب العلم لیتفاخر به و یقال

عنه أنه من المتعلمين. و صنف آخر يطلبه ليتميز به عن أقرانه و يظهر أمام أفراد مجتمعه متعاليا. و صنف ثالث يطلب العلم ليكتسب معرفه و ينور قلبه بالايمان، و يغذى فكره بالمعرفه العلميه يصلح بها نفسه و يفيد غيره من اخوانه مشفقا عليهم عارفا بأحوالهم، مستوحشا من أوثق العناصر فيهم. - «العاده على كل شى ء سلطان». يقول علماء النفس العاده طبيعه ثانيه، لأن من اعتاد على شى ء ألفه و أحبه، و من أحب شيئا تعلق به و أصبح جزءا من كيانه لا يقدر على تركه أو البعد عنه و بذلك تتسلط العاده على نفسه و يصبح أسيرها. و لا يخفى أن بعض العادات سيئه تؤذى صاحبها بعد أن تجرفه فى تيارها و عندها قد يحاول الرجوع الى الشاطى ء فلا يقدر على العبور. و بعض العادات حسنه تفيد الانسان و ترفع من شأنه و تجعله محبوبا بين أفراد مجتمعه لا ينغص له عيش و لا يرفض له طلب و كأنه يفيدهم باحسان على حد قول أبى الطيب المتنبى: و قيدت نفسى فى ذراك محبه و من وجد الاحسان قيدا تقيدا [صفحه ۲۸۸] لكن صاحب الاراده القويه يحد من سلطان العاده عليه و يتحرر الى حد من السيطره عليه. و مقاومه هوى النفس خلق من أخلاق الاسلام العظيم و قد عظم الله تعالى و نوه بشأن من يفلح فى مقاومه هواه: «و أما من خاف مقام ربه و نهى النفس عن الهوى، فان الجنه هى المأوى» [النازعات: ۴۰ - ۴۱]. - «لو يعلم السائل ما عليه من وزر ما سأل أحدا أحدا، و لو يعلم المسؤول اذا منع، ما منع أحد أحدا». يذكر الامام الصادق عليه السلام

السائـل و المسؤول بما عليهم من واجبات تجاه أنفسـهم فيقول للسائل: ان عليه وزرا كبيرا اذا سأل من غير حاجه، و كـذلك على المسؤول اذا امتنع عن العطـاء و هو قادر عليه... و يقول عليه السـلام للمسؤول أن يفتـح باب خزائنه على مصـراعيها فلا يمتنع عن اجابه أى سائل بل يجيب بكل ما يعلم برحابه صـدر و بشاشه وجه حبا بالعطاء. و بهذا تتكامل الحياه و يسـعد الانسان. -«من سأل من غير حـاجه فكأنمـا يأكـل الجمر». - لأـنه يتعود على الكسـل، و يكون عضوا عاطلاـ فى المجتمع، و أكثر من هـذا فهو بسؤاله يحرم المسـتحقين الـذين يجب ان يتفقـدهم الأغنياء. و قد أعطانا جميع الحالات للسائل و المسؤول و طريقه طرح السؤال، و أفاد بهـا جميع الخلق. - ان الله يحب معـالى الأـمور و يكره سفاسـفها». فمن منـا أراد العطاء عليه أن يعطى أفضل ما عنـده من عطاء و أجود ما يعلم من المعارف. و لا يمكنه ذلك الا أن يتقن عمله اتقانا كاملا حتى يكون عطاؤه محمودا. و بـذلك يكون الامام قد نبه المسلمين على الجوده فى صناعاتهم و اتقان أعمالهم و كأنه يذكرنا بحديث جده الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم: «من عمـل منكم عملاـ فليتقنه» و لاـ ريب أن الاتقـان هو أعلى درجـات الأمور التى أحبها الله لعباده الصالحين. [صـفحه ۲۸۹] - «القضاه أربعه: قاض قضى بالحق و هو لا يعلم أنه الحق فهو فى النار. و قاض قضى بالباطل و هو لا يعلم أنه باطل فهو فى النار. و قاض قضى بالباطل و هو يعلم أنه باطل فهو فى النار. و قاض قضى بالحق و هو يعلم أنه

الحق فهو فی الجنه. المعرفه أمر ضروری لجمیع القضاه و الأمر الضروری أیضا اقتران المعرفه مع الضمیر الحی. فمن علم و لم یعلم أنه عالم فهو جاهل. و من لا یعلم و لا یعلم أنه لا یعلم فهو فی قمه الجهل، أما الذی یعلم و یعلم أنه یعلم فهو فی قمه المعرفه و بذلک یکسب رضی الله و رضی الناس معا.

الحکم الفلسفیه

- «دراسه العلم لقاح المعرفه و طول التجارب زیاده فی العقل، و الشرف و التقوی و القنوع راحه الأبدان». عن طریق العلم یتکسب الانسان معارفه، و کما تتلقح الأزهار لتثمر و تنتج کذلک الأفکار کل فکره منها تسرع لتقترن بالفکره التی تناسبها و تنسجم معها، و کل معرفه تتحلق مع جماعتها التی تعشقها. و الذی یزید فی هذا التلاحم و یقوی الصلات بینها طول التجارب فالتجربه محطه علمیه کبری فی تاریخ التقدم الحضاری، و عملیه ناجحه فی تصنیف العلوم و المعارف، و من هذا التصنیف المعرفی ترقی الانسان فی مدارج حیاته السعیده. و کما قالوا: العقل بحیره تصب فیها الأنهر أو السواقی المتحدره من الحواس الخمس عند الانسان: فکلما کانت هذه الحواس قویه و سلیمه کلما أتت بمعلومات دقیقه و غزیره تغذی العقل و تعطیه دفعا جدیدا یفجر فیه مواهب عظیمه و قوی خلاقه مبدعه. و عندما یتغذی العقل عطاء مبارکا یتحرک فی اتجاهات شریفه و نبیله تدفعه فی طریق التقوی و القناعه. [صفحه ۲۹۰] و هل أرقی من التقوی التی تحکم ما بین الانسان و الله تبارک و تعالی و ما بین الانسان و اخوانه من عباد الله الصالحین؟ و التقوی تصب فی أکثر آیات القرآن الأخلاقیه و الاجتماعیه، و المراد

بها أن يتقى العبد ما يغضب الله و ما فيه ضرر لنفسه أو ضرار لغيره، فتكون النفس و الحاله هذه فى وقايه و خوف من الله عزوجل و الخوف من الله يستدعى العلم بالمخوف، من هنا كان الذى يعلم الله أكثر يخشاه أكثر، و بطبيعه الحال الذى يخشاه هو الذى يتقيه (انما يخشى الله من عباده العلماء) [فاطر: ٢٨] و هل أفضل من القناعه؟ قالوا عنها أنها كنز لا يفنى. تبعد صاحبها عن الأنانيه البشعه و الطمع القاتل الذى يفرق بين الاخوان و يجعلهم فى قلق و حيره و بهتان. و عندما تقترن القناعه بالتقوى يعملان بصدق على راحه الأبدان و سعاده الانسان فى كل زمان و مكان. كل هذه المكتسبات تأتى بنتيجه دراسه العلم الذى هو لقاح المعرفه على حد قول الامام الصادق الذى كان نفسه طبيب اللقاح البشرى و الله سبحانه و تعالى فتح للانسان نوافذ عبر حوسه الخمس ليتواصل مع العالم الخارجى، و ليتواصل العالم الخارجى معه فينتج عن ذلك التواصل المعرفه التى ملأت الكيان الانسانى بألوانها الحقيقه حينا و المزيفه حينا آخر و لتبيان ذلك يطرح الامام الصادق عليه السلام الطريقه و المنهج الذى يهدى العقل الى سواء السبيل فينجيه من التفكير الخاطى ء و يحدد له التفكير الصحيح. فهل نسبح وراء كل موجه معرفيه و نحط عند أى جزيره فكريه نصل اليها و تحت أى شجره نعمر تحتها؟. شجره المعرفه تنبت فينا بالفطره و تنمو فى داخلنا مع سواقى الحواس و النوافذ، تجلب الماء الذى يجعل منه كل شى ء حى. هذه الشجره الطيبه تحتاج الى لقاح لتنتج الثمر الطيب و اللقاح الصحيح حتى لا تطرح ثمرا خبيثا. و الامام عليه السلام يرشدنا الى

طريقه تلقيحها بالـدراسه العلميه أى الأخـذ بالطريق و الأسـلوب و المنهج العلمى فى التفكير بكل تفاصـيله و قواعده المتميزه عن المنهج البدائى العشوائى. [صـفحه ۲۹۱] ينادى الامام عليه السـلام بنـداء واضـح جلى لا لبس فيه: أن المعرفه لقاحها العلم، العلم بمـا يتضـمن من مختلف الأـصول و الفروع، و من مجاهـل مختلفه و متعـدده، لاـ كما يتهمون الـدين الاسـلامى بالمثاليه المطلقه أحيانـا و لمـا يثبته الامام عليه السـلام من حقائق معرفيه، يطلب منا الأخـذ بالمعرفه العلميه ثم يزيـدها تأكيـدا حين يقول: ان طول التجارب بحـد ذاته يزيـد فى العقل و ينميه سواء أعطى حقائق ثابته أو لم يعط. و هنا يظهر موضوع ادعاء الجاهليين على الاسـلام من أصحاب المنهج التجريبى. بأن الاسلام لا يأخذ به. لكن أى دعوه أصدق و أوضح من دعوه الامام الصادق فى هذا الحديث، الى الأخـذ بالتجـارب و التى يعطيهـا ميزه الزيـاده فى العقـل الـذى به يعاقب جل و علا، و به يثيب؟! هـذا فى الجانب الروحى أو العقلى للانسان، أما فى الجانب المادى يتوجه الامام عليه السـلام الى انسانيه الانسان فيعطيه الطريقه الصـحيحه للمحافظه عليه من النقص و العيب و المرض. و يعطيه ثلاثه أدويه للمعالجه الـدائمه نتيجه تعبه من بحث العقل فى دراسه العلم ليلقـح المعرفه بطول التجارب مما يزيـد فى غنى العقل. فيطلب له: الشـرف أى السـمو و العلو و الترفع بحيث يـذكرنا بأجواء الآيه الكريمه (و كلوا من طيبـات ما رزقناكم) [البقره: ۱۷۲] كما يـذكرنا بالتعالى عن الماديات الـدنيئه التى تطمع الأبدان بها لشـهواتها و لذاتها الرخيصـه الزائله و التى تتعامى عن اللذات الحلال. فان كان الانسان شريفا نظيفا يأخذ منها ليريح بدنه المتعب، بينما يلاقى العكس لو أخذ بالدناءه

المتعبه للأبدان. و التی تأخذ منها أکثر مما تعطیها من لذه و سعاده وراحه. أما الأسلوب الشریف فیجده الانسان بتقوی الله التی حددها الشرع الاسلامی لیعلم المسلم الحلال و الحرام فیأخذ بالحلال لیریح نفسه و یترک الحرام الذی و ان أعطی اللذات المؤقته فانه سوف یشعر بالندم الذی یفسد راحه البدن و یجعل النفس فی حاله قلق و تعب دائمین. و کی یکون الامام علیه السلام أکثر تحدیدا لهذه التقوی أعطی عنوانا عاما لمبادئه ألا و هی القناعه. التی قالوا عنها: أنها کنز لا یفنی. فالانسان العاقل یقتنع بالاعتدال فلا اسراف و لا تقتیر، بل خیر الأمور [صفحه ۲۹۲] أوسطها. هذا الحد الذی یلجم رغبات البدن و ملذاته المتطلع دائما الی المزید. و هنا یبدأ العقل بنشاطاته الفکریه التی تساعده علی متابعه الحرکه فی خدمه الجوهر فیأخذ بمعدل وسط کل ما یحتاجه فی حیاته السعیده المتطوره من أجل انطلاقه جدیده فی اتجاه الرقی و الصعود نحو المعرفه الصحیحه التی توصل صاحبها الی الخالق العلیم العظیم سبحانه و تعالی. - «اذا کان الله قد تکفل بالرزق فاهتمامک لماذا؟ و ان کان الرزق مقسوما فالحرص لماذا؟ و اذا کان الحساب حقا فالجمع لماذا؟ و اذا کان الخلف من الله فالبخل لماذا؟ و اذا کانت العقوبه من الله عزوجل النار فالمعصیه لماذا؟ و ان کان الموت حقا فالفرح لماذا؟ و ان کان العرض علی الله حقا فالمکر لماذا؟ و ان کان الشیطان عدوا فالغفله لماذا؟ و ان کان کل شی ء بقضاء و قدر فالحزن لماذا؟ و ان کانت الدنیا فانیه فالطمأنینه لماذا؟». ینفذ الامام الصادق علیه السلام بکلماته المتسائله کالماء بین طیات النفس الانسانیه بهدوء و قوه لیشعل فی

الفکر و القلب شوق البحث عن الحقیه أو حب المعرفه المفیده. سؤال کبیر یتفرع منه أسئله عده، یتناول مفهوم الرزق الذی یتواجه به الانسان مع عده وجوه له فی أغلب لحظات حیاته بجسده و روحه مما یجعله حاجه ملحه أو مسأله ترتبط بالوجود مباشره علی طول طریق الحیاه الدنیا و کأنها المرکبه التی بها تصل الی الجنه ان سارت فی الطریق الصواب، أو النار ان سارت فی الطریق الخطأ... فیتدرج فی سؤاله المجیب و یصعد بنا مراحل فکریه تصل فی نهایتها الی أن نفتح أعیننا لنطرد الغفله و نعود لنسأل کل هذه الأسئله مره جدیده و جدیده حتی نؤمن بهذا الحدیث و بعقیدته الراسخه. فی البدء اذا کان الله جل و علا قد تکفل بالرزق فاهتمامک لماذا؟ یصیب الامام بسهمه الأول الحاله النفسیه التی یعیش فیها أغلب الناس و التی تسبب قلقا فی التفکیر و فی تدبیر المقومات الأساسیه للعیش و أسباب الرزق، فلا بد للانسان أن یهتم بهذه المسأله و یبقی عندها ملوما محسورا یفکر و یتساءل من أین و کیف و بما أحصل الرزق لنفسی الراغبه، و هل من أوجدنی قد تکفل بذلک؟ أم أننی: رب رزقی الأوحد؟؟. یهتم الانسان بذلک حتی یشرد أو یسرح فی آلام هذا الاهتمام ناسیا أو [صفحه ۲۹۳] متناسیا أن ربه المؤمن به قد تکفل له بهذا الرزق و ما علیه هو الا أن یسعی لیؤمن الأسباب و لیس أن یقعد مهتما فی معرفه تحصیل الرزق، أو یهاجر تارکا دینه وراء ظهره من جراء اهتمامه أیضا فلماذا - یقول الامام الصادق - تذهب فی اهتمامک بعیدا و أنت مؤمن بقلبک ان الله ربک و رب العالمین قد

تكفل برزقك أفلا تفعل ما تؤمن به؟!. ثم يصعد الامام عليه السلام درجه ثانيه فيسأل و ان كان الرزق مقسوما فالحرص لماذا؟. و كأنه يرجع بهذا السؤال وجه الذى يسأله لينظر فى عينى الامام الصادق بعدما مال بوجهه عنه حين سأله السؤال الأول و كأنه يقول للامام لماذا غيرى عنده الرزق و أنا محروم منه؟ فيجيبه الامام بأن الله ربک قد قسم الرزق لعباده جميعا، فعبد أن تؤمن بأن ربک قد تكفل برزقك!... و قد قسم لک حسب أيامک فى الدنيا من الرزق ما يكفيک حتى مماتک؟. فأين القناعه!. ثم يصعد الامام درجه أخرى ليسأل عن افاده (الجمع) و يؤمن الانسان بيوم الحساب، و يعلم أن هذا اليوم سينشر فيه ما كان يجب عليه دفعه؟! و قد يكون هناک انسان قد جمع ثم دفع. أما الذى جمع فبخل يسأله الامام: ان الرزق الذى معک هو من الله ربک و قد يسره بين يديک لتعمل به فلماذا تحفظه فى طمعک و أنانيتک مع علمک أن الذى أعطاک اياه قد يأخذه منک ساعه يشاء أو يزيد عليه ساعه يشاء، فلماذا تبخل و ربک الكريم قد أعطاک و ربک الكريم قد أمرک بالدفع أم أن لست مؤمنا بكرم ربک؟؟.
ثم يأخذ بنا الامام الصادق فى صعوده المتسائل ليرعبنا ان نحن أصرينا و شددنا على الرزق الذى بين يدينا حين أننا وضعناه مكان قلوبنا فيصرخ بنا الامام عليه السلام ألم تعلموا أن النار جزاء - من عصى ربه فلماذا هذه الاستهانه و هذه اللامبالاه؟. فربما يجيب الامام أحدنا بقوله ان جمع الرزق يسبب الفرح للانسان يجيب الامام قائلا: أو لم تؤمن بالموت فما قيمه هذه الفرحه ان قربت ساعتک و أنت

عاص؟؟. [صفحه ۲۹۴] بل أكثر من ذلک ما بعد الموت و القبر و الحساب ألم تؤمن بهذا اليوم العظيم يوم لا ينفع مال و لا بنون الاـ من أتى الله بقلب سلم؟ و الحساب سيكون أمام ربک الخالق الرازق القوى الجبار الذى تعرض عليه كل أعمالک و كل ما جمعت أم أنک تمكر و الله خير الماكرين؟ انک تمكر على نفسک ليس الا، أما الله فسيفضح مكرک أمامک، يوم الحساب العظيم. ثم ينبه الامام الصادق الانسان الى العدو الذى يدفع الانسان للاهتمام برزقه أو حرصه أو جمعه أو بخله أو معصيته أو فرجه أو مكره و يقول له: ان الشيطان هو من يدفعک للابتعاد عن ايمانک بأن الله هو المتكفل بالرزق و مقسمه و رب الحساب و الخلق و العقوبه و الموت و العرض فانتبه أيها الانسان و لا تغفل عن ذلک طرفه عين و كن صاحيا دائما مع نداء ربک المؤذن لک... و قد يخلص البعض الى الوقوع بالحزن من جراء الخساره أو من عدم ما جمع و يجمع فيبلسم الامام جراحه و حزنه و يقول له ناصحا: أن لاـ يفرح دائما فيبطر أو أن يحزن دائما فييأس و يقنط، بل أن يعيش دائما بين الرجاء و الخوف، و أن لا يطمئن فى هذه الحياه الدنيا أبدا، أو أن يعيش حاله الاستسلام، فهذه الدنيا فانيه فانيه، و أما الايمان الصحيح و الأعمال الصالحه فباقيه باقيه. هذه الفلسفه الصادقيه أو الحكمه المحمديه تأخذ الانسان فى طريق الشک و التساؤل، و تواجهه مع فطرته السليمه التى فطره الله جل و علا عليها، و الايمان الصادق الذى لم يتلوث بمصائب الدنيا لتوقظ الانسان الغافل الى يقظته

و لتحرك فى قلبه الميت و فكره الخامل التساؤل و حب التفكير، و ذلك ليصعد الانسان بعلمه الراسخ الى درجه ايمانيه أعلى فى دربه للوصول الى لقاء ربه الرازق الأوحد. - «نجوى العارفين تدور على ثلاثه: الخوف، و الرجاء، و الحب. فالخوف فرع العلم، و الرجاء فرع اليقين، و الحب فرع المعرفه، فدليل الخوف الهرب، و دليل الرجاء الطلب، و دليل الحب ايثار المحبوب على ما سواه فاذا تحقق العلم بالصدر خاف، و اذا صح الخوف هرب، و اذا هرب نجا». لا تتوقف خيول العلم عند الامام الصادق عليه السلام بل هى فى سعى دائم [صفحه ۲۹۵] متواصل فى كل أنحاء الأرض البكر و السماء البكر، فهى العاديات فى الصبح اذا تنفس و هى الكواكب المشرقه فى الليل اذا عسعس. تجلب الخير العميم لأبناء الانسان المتعطش لمعرفه الطريق الصحيح، الطريق المستقيم و خصوصا العارفين الذين اتخذوا العرفان سبيلا للقاء ربهم و محبوبهم. و هنا يوجه امام العارفين، الامام الصادق، أبناء هذا الطريق فيحدد فهم معالمه من البدايه و حتى النهايه، و يرى نجواهم تدور على ثلاثه عناصر أساسيه: الخوف و الرجاء و الحب. و لا ننسى هنا فى أجواء هذا الحديث العرفانى أن الامام الصادق عليه السلام يتكلم الى جميع الطبقات الاجتماعيه على حد سواء، أعنى للبادئين فى هذا الطريق و سالكيه، أو لمن ارتقى فيه الى آخر درجاته؛ فيحدد الزاد اللازم للسالك: الخوف و الرجاء و الحب. ثم يعطى مصادرها بوضوح حتى لا يضيع السالك فيمن يخاف أو يرجو أو يحب. فالخوف أولا مصدره العلم، فالذى يخاف الله أكثر يعطيعه أكثر و الذى يطيعه أكثر علمه أكثر، علم الصراط المستقيم، و علم القرآن الكريم و

علم آل بیت محمد صلی الله علیه و آله و سلم: المفسرین و المیسرین والدالین الی ما هو خطأ و ما هو صواب حتی لا تکون من المغضوب علیهم و لا- الضالین. قال تعالی: (انما یخشی الله من عباده العلماء). و کیف یخاف الانسان ملکا ان لم یعلم بقوته و عظمته و جبروته و جلاله و عدله و حکمته؟! و کیف یخاف الانسان ملکا ان لم یعلم بعرشه و حضرته و الساجدین بین یدیه و وسع کرسیه؟؟. و الرجاء مصدره الیقین، فبعد أن یعلم الانسان بعظمه ربه و ما یعلمه و ما یخفیه علیه أن یلقن قلبه ما فتح به عقله فیزیل الحجب الصیقه عن قلبه الغافل الراقد لیمطر شتاء علمه ببرقه و رعده المخیف و الخاطف للأبصار علی صدر قلبه الذی رانت علی اقفاله غفلته و معصیته؛ عندها یزیل الحجب العازله لیدخل العلم الذی تعلمه الی مجسد البدن و یؤدی عبادته الأقرب و الأفلح لربه العلیم. عند ذلک یری بعین الیقین ما یعلم لیحصل منه الرجاء. و الحب الذی تولده المعرفه. [صفحه ۲۹۶] فحین یحول الانسان بصره التائه الی نفسه الی داخل أعماقه و ینظر بقوه علمه و یقین رجائه تحصل له المعرفه بنفسه، المعرفه الحقیقه التی تعرفه بخالقه العظیم القدیر. و لا- یحصل الحب بدون المعرفه، فمعرفه جمال خلق الله، جمال الأرض و السماء و الکون، و مال النفس البشریه و ما فیها من بلاد یهاجر فیها الانسان لیشاهد ما تستلذه النفس من روائع و عجائب و خیال یتولد علی جزر التأمل برکان عظیم یتفجر أمام دهشه الناظرین العارفین!!. و هل هناک حب من دون دهشه؟ و حین العوده من تلک الرحله

الی بر الواقع لا نری الانسان الا کالطائر المـذبوح یرتعش من الشوق الی رحله ثانیه و ثالثه و أبـدیه من سـکره الحب التی غمرت روحه المهاجره. تلک هی النظره المتولـده من المعرفه، النظره الأولی تولد المیل و منه الرغبه و منها الحب. ثم یعود بنا الامام فی رحلته النجوی لیعطینـا الـدلیل علی نجاح و فلاح ما مررنا به من خوف و رجاء و حب فیشـیر الی من هرب بأنه خائف، و الی من طلب بأنه الراجی، و الی من آثر المحبوب علی سواه بأنه عاشق. فکما قال الامام السـجاد فی دعاء أبی حمزه الثمالی عنـد السـحر «هـذا مقـام الهارب الیک من النار «أو «هـذا مقام الهارب منک الیک» نری درجه الخوف التی تمتلک الانسان أن العالم الهارب الی ربه بکـل جوارحه تارکـا وراءه کل ما یشـغله، یرجو النجاه بنفسه، و لا یفضـح هـذا الرجاء الا الطلب، الطلب من الله عزوجل التوفیق فی المسـیر و السبیل الی النجاه خوفا من قطاع الطرق و المسـتکبرین الـذین قـد یظهرون فی أی وقت لیسـرقوا کل الزاد و یقتلوا المسـافر الـذی جهل أن کل ما أراد من خوف و رجاء و حب لن یحصل له بـدون الطلب من الرب المهیمن رب العالمین. أمـا دلیـل الحب فهو ایثـار مـا تطمع به النفس أو الجسـد من لـذه علی مـا یطلبه المحبوب من طـاعه و عبـاده تؤلـم النفس و تؤلـم الجسـد ألمـا لا ـ بـد منه للتخلص من الأورام الخبیثه بالخوف و الرجاء و هما یـدا الطبیب الجراح المسـبب للألم و واهب الحیاه و السعاده. [صفحه ۲۹۷] و هکذا یخاف الانسان فیرتعش قلبه فی صدره خافقا دائما بأسماء الله الحسنی فیهرب مترقبا متخفیا من

القوم الظالمين فی لیله المدلهم نحو النار التی یأنس بها فی الوادی المقدس طوی، فهو لا یعلم بما فعل و قد تأکد بما عمل بالیقین بأنه مقتول لا محاله، فیهرب و یهرب الی عند حبیبه نحو عرشه العظیم لینجو بنفسه و یلتقی المحب بحبیبه. و هنا یبین لنا الامام الصادق علیه السلام ترابط الجواهر الثلاثه للوصول الی جنه الملتقی بدؤا بالخوف ثم الرخاء و أخیرا الحب الذی أکثر من عرفه و أکبر من عرفه هو حبیب الله النبی الأکرم صلی الله علیه و آله و سلم فهذا هو الطریق و هذا هو الزاد و هذه هی السوق، فهل نخاف الموت من الجوع فنشتری الزاد و نمضی الی الحبیب، أم نبقی فی الزوایا الحالکه و الروائح النتنه؟!. [صفحه ۲۹۸]

فی رحاب الفلسفه

اشاره

مثلما کان جعفر بن محمد اماما فی العلوم الدینیه و الفقهیه، فقد کان اماما طویل الباع بمعظم العلوم المدنیه من فلسفیه و اجتماعیه و نفسیه و اقتصادیه... لأنه یری فیها ما یساعده علی فهم العلوم الدینیه. و قد وضع تعریفا للعلم حیث قال: ان استشاره القلب هی روح العلم، و الصدق هدفه، و الالهام دلیله، و العقل مستقره، و الله موجهه». و من مثل هذه الکلمات التی ترشح بالروحانیه و الخیر یمکن للقاری ء أن یدرک الذوق اللغوی الرفیع للامام الصادق علیه السلام. و لا غرابه فی الموضوع فهو ابن أبیه و أجداده، أهل بیت رسول الله علیهم السلام.

فلسفه الخلق

فی حلقه من حلقات دروسه جاءه ملحد یزهو بنفسه و یهمس الحاده فی أذنه أنه سیتغلب علی کل حجه للامام الصادق علیه السلام فأجابه علیه السلام بأجوبه معجزه مدادها سحر العلم و نفاذها ضیاء العقل. یقول الامام الصادق: الأرض تدور.... و الفلک یدور [۳۴۷] و ان لهذا الکون خالقا حکیما لا یعجزه [صفحه ۲۹۹] شی ء لکن أحد من الناس لم یر هذا الخالق، فکیف یعبدون خالقا لا یرونه رأی العین..؟ و یتابع الملحد أسئلته بلهجه یتمطی فیها روح الغرور یقول: کیف یعبدالله الخلق و لم یروه؟ فیقول له الامام: «رأته القلوب بنور الایمان و أثبتته العقول بیقظتها اثبات العیان، و أبصرته الأبصار بما رأته من حسن الترکیب و احکام التألیف... ثم الرسل و آیاتها، و الکتب و محکماتها، و اقتصرت العلماء علی ما رأت من عظمته دون رؤیته». فقال الملحد: ألیس هو قادرا أن یظهر لم حتی یروه فیعرفوه، فیعبدونه علی یقین؟. قال الامام: لیس للمحال جواب [۳۴۸] . قال الملحد: فمن أین أثبت أنبیاء و رسلا؟ قال علیه السلام، انا

لما أثبتنا أن لنا خالقا متعاليا عنا، و عن جميع ما خلق و كان ذلك الصانع حكيما، لم يجز أن يشاهده خلقه، و لا أن يلامسوه و لا أن يباشرهم و يباشروه، و يحاجهم و يحاجوه، ثبت أن له سفراء فى خلقه و عباده يدلونهم على مصالحهم و منافعهم، وما به بقاؤهم، و فى تركه فناؤهم، فثبت الآمرون و الناهون عن الحكيم العليم فى خلقه، و ثبت عن ذلك أن له معبرين و هم: الأنبياء و صفوته من خلقه، و حكماء و مؤدبين بالحكمه، مبعوثين عنه، مشاركين للناس فى أحوالهم على مشاركتهم لهم فى الخلق و التركيب، مؤيدين من الحكيم العليم بالحكمه و الدلائل و البراهين و الشواهد، من احياء الموتى و ابراء الأكمه و الأبرص فلا تخلو الأرض من حجه يكون معه علم يدل على صدق مقال الرسول و وجوب عدالته». فقال الملحد: من أى شى ء خلق الله الأشياء؟. قال الامام عليه السلام: من لا شى ء. قال: كيف يوجد شى ء من لا شى ء؟ قال الامام عليه السلام: ان الأشياء اما أن تكون خلقت من شى ء، أو من غير [صفحه ۳۰۰] شى ء، فان كانت الأشياء خلقت من شى ء كان معه فان ذلك الشى ء قديم، و القديم لا يكون حديثا و لا يتغير، و لا يخلو ذلك الشى ء من أن يكون جوهرا واحد، فمن أين جاءت هذه الألوان المختلفه و الجواهر الكثيره الموجوده فى هذا العالم من ضروب شتى؟ و من أين جاء الموت ان كان الشى ء أنشئت منه الحياه حيا؟ أو من أين جاءت الحياه ان كان ذلك الشى ء ميتا؟. «و لا يجوز أن ينشأ من حى و ميت قديمين لم يزالا، لأن الحى لا يجى ء

منه میت و هو لم یزل حیا... و لا یجوز أیضا أن یکون المیت قدیما لم یزل لما هو به من الموت، لأن الموت لا قدره و لا بقاء». و یبهت الملحد و ینبهر. کلا-ن یحسب نفسه محلقا فاذا به فاشلا نادما.. أمام ذلک المنطق الباهر باستدلاله المفحم بحججه فتململ و تلعثم و کأنه یبری ء نفسه من مفاسد الالحاد... و یسنده الی غیره: من أین قالوا ان الأشیاء أزلیه؟؟ فیجیبه الامام: «هذه مقاله قوم جحدوا مدبر الأشیاء، فکذبوا الرسل و مقالاتهم و الأنبیاء و ما أنبأوا عنه، و سموا کتبهم أساطیر، و وضعوا لأنفسهم دینا بآرائهم و استحسانهم». ثم وضع أمامه براهین أخری واقعیه عن حدوث العالم فیقول له: «و ان الأشیاء تدل علی حدوثها من دوران الفلک بما فیه سبعه أفلاک، و تحرک الأرض و من علیها، و انقلاب الأزمنه، و اختلاف الحوادث التی تحدث فی العالم من: زیاده و نقصان، و موت و بلی، و اضطرار الأنفس الی الاقرار أن لها صانعا و مدبرا» [۳۴۹] ثم تابع علیه السلام: «ألا تری أن الحلو یصیر حامضا، و العذب مرا، و الجدید بالیا، و کل الی تغیر و فناء». و یعلق الشیخ أبوزهره علی هذه المناظره فیقول: «و هذه المناظره تدل علی أمرین، أحدهما أن الصادق کان علی علم دقیق [صفحه ۳۰۱] بالفلسفه و مناهج الفلاسفه، و علی علم بمواضع التهافت عندهم، و أنه کان مرجع عصره فی رد الشبهات، و قد کان بهذا جدیرا، و ذلک لانصرافه المطلق الی العلم، و لأنه کان ذا أفق واسع فی المعرفه لم یتسن لغیره من علماء عصره، فقد کانوا محدثین و فقهاء أو علماء فی الکلام، أو

علماء فی الکون، و کان هو کل ذلک». و الأمر الثانی الذی تدل علیه هذه المناقشه أن الزنادقه صنف واحد فی کل العصور، یضربون علی وتر واحد: أصل الوجود، فانک تقرأ أو تسمع کلام زندیق هذه الأیام، فتجده یسأل هذه الأسئله التی وجهها هذا الزندیق الی أبی عبدالله جعفر الصادق - حفید علی بن أبی طالب، و محمدا رسول الله، فهی وراثه یتوارثها الزنادقه فی کل جیل» [۳۵۰] .

فلسفه التوحید

سأل هشام بن الحکم تلمیذ الصادق علیه السلام فقال: الله. مم هو مشتق؟؟ قال علیه السلام: یا هشام الله مشتق من (اله) یقتضی مألوها، و الاسم غیر المسمی، فمن عبدالاسم دون المسمی، المعنی، فقد کفر و لم یعبد شیئا، و من عبدالاسلام و المعنی فقد کفر، و من عبدالمعنی دون الاسم فذاک التوحید. أفهمت یا هشام؟ فطلب هشام مزیدا من الشرح أسطع وضوحا. فیجیبه الامام کاشفا عن المعنی موضحا کل الخفایا. قال هشام: زدنی. قال الامام علیه السلام: «ان لله تسعه و تسعین اسما، فلو کان الاسم هو المسمی، لکان کل اسم منها الها، ولکن الله معنی یدل فهذه الأسماء کلها غیره». ثم یزید موضحا فیقول: «یا هشام الخبز اسم للمأکول، و الماء اسم للمشروب، و الثوب اسم للملبوس، و النار اسم للمحروق، أفهمت یا هشام فهما تدفع به، و تناضل به أعداءنا المتخذین مع الله الها غیره؟. [صفحه ۳۰۲] قال: نعم فهمت» [۳۵۱] . و من محاضره له جوابا علی سؤال: هل یوصف الله؟. فقال: لا یوصف بکیف؟ و لا أین؟ و لا حیث؟. و کیف أصفه و هو الذی کیف الکیف حتی صار کیفا، فعرفت الکیف بما کیف الناس من الکیف... أم کیف أصفه بأین، و

هو الـذى أين الأين حتى صار أينا، فعرفت الأين بما أين لنا من الأين. أم كيف أصـفه بحيث، و هو الذى حيث الحيث حتى صار حيثا فعرفت الحيث بما حيث لنا من الحيث. «فالله تبارك و تعالى داخل فى كل مكان، و خارج من كل شى ء، لا تدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار» [۳۵۲] . و يقول لهشام: «ان الله تعالى لا يشبه شيئا، و لا يشبهه شى ء و كلما وقع فى الوهم فهو بخلافه».

فلسفه التنزيه

قال فى احدى محاضـراته لطلابه فى تنزيه الله: «من زعم أن الله فى شى ء أو على شى ء أو يحول من شى الى شى ء، أو يخلو منه شى ء، أو يشـتغل به شـى ء... فقد وصـفه بصفه المخلوقين، و الله خالق كل شى ء لا يقاس بالقياس و لا يشبه بالناس، لا يخلو منه مكان، و لا يشـتغل به مكان، قريب فى بعـده، بعيد فى قربه ذلك الله رب العالمين لا اله غيره». و فى نفى شـبهه الجسم و الصوره قال: «ان الجسم محدود متناه، و الصوره محدوده متناهيه، فاذا احتمل الحد احتمل الزياده و النقصان و اذا احتمل الزياده [صـفحه ۳۰۳] و النقصان كان مخلوقا». الحد احتمل الزياده و النقصان، و اذا احتمل الزياده و النقصان كان مخلوقا». و يلتبس على أحدهم قـول الامـام، فيسـأله: مـاذا أقول؟. فيلطف به الامـام، و يعلمه كيف ينزه الله عزوجـل عن الجسم و الصوره فيقول له: لا ـ جسم و لا صوره... و هو مجسم الأجسام، و مصور الصور.. لم يتجزأ و لم يتناه، و لم يتزايـد، و لم يتناقص، لو كان كما يقولون لم يكن بين المخلوق و الخالق فرق، و لا بين المنشى ء

و المنشاء» [۳۵۳] .

قیمه الحکم الصادقیه

تعد الحکم الصادقیه من التعالیم الاسلامیه الراقیه التی تفید رجل الدین فی فقهه و الأدیب فی أدبه، و المحدث فی أحادیثه، و المربی فی تنشئه طلابه، و المشرع فی تشریعاته، و المفکر فی میادین معارفه، و المثقف فی توسیع ثقافته، و عالم الاجتماع فی بناء مجتمعه بناء قویما، و اصلاح شؤون أمته اصلاحا سلیما. لکن من المؤسف أن هذه الحکم ما تزال مبعثره فی بطون الکتب، هنا و هناک، و لم نجد حتی الآن من تصدی لجمعها و شرح غوامضها [۳۵۴] . و الحقیقه أن الحکم الصادقیه غذاء روحی غزیر، و رصید کبیر من الأخلاق و الثقافه و الآداب الانسانیه. و لا بد لکل عاقل منصف أن یتعرف بأهمیه ذلک، و سوف یأتی الیوم الذی تبرز فیه هذه الآثار، بالصوره المطلوبه لتکون منهجا تربویا أخلاقیا، یعتز به المسلمون، و تکون موضع اهتمام و تقدیر. [صفحه ۳۰۴] و هذه الحکم التی ذکرتها غیض من فیض، و جزء من ذلک التراث العظیم، و هی علی سبیل الذکر لا ـ الحصر تکشف لنا وجهه نظره علیه السلام فی کثیر من قضایا الانسان و المجتمع. و الامام الصادق کغیره من الأئمه المعصومین کان حریصا علی معالجه القضایا الاجتماعیه التی عرضها و وصف لها العلاج المناسب لحلها. لقد تعلم من جده سیدالشهداء أبی عبدالله، کیف یصلح شؤون الأمه الاسلامیه متذکرا قوله علیه السلام: «ما خرجت أشرا و لا بطرا و انما خرجت من أجل الاصلاح فی أمه جدی صلی الله علیه و آله و سلم.» و الامام الصادق حاول بأی طریقه اصلاح النفوس قبل اصلاح النصوص التی اعتمدها الحکام العباسیون، و حارب العادات الرذیله و دعا الی

اعتناق الفضائل الحميده. لقد صور لنا عليه السلام النفس الانسانيه فی جمیع حالاتها و کشف عن جمیع عقدها و انفعالاتها، و جعل لها حدودا و مقاييس تطمئن اليها فی حاله رضاها و غضبها و أمنها و خوفها، و اطمئنانها و قلقها. و عليها أن تلتزم بهذه التعاليم الناجحه و قد بينها فی كثير من حكمه و تعاليمه و مواعظه و أجوبته و وصاياه. و خلاصه القول أن هذه الحكم القويمه التی يقرها العقل، يعترف بها الوجدان و يرتاح لها الضمير الحی، و يشهد لها الواقع بصحتها و صوابها تعد: خلاصه تعاليم اسلاميه تهدف الی سعاده الفرد فی حياته، و بعد مماته، و الی اصلاح الأمه الاسلاميه فی سياستها و رعايتها وصونها الحريه التی نادی بها الاسلام. و الامام الصادق أرسل هذه الدرر من النصائح و المواعظ لتكون بين يدی الآباء و الأجداد و ليضعوها بين أيدی الأبناء و الأحفاد. فكان عليه السلام رسول النصح يرسل مواعظه عبر العصور معلما راشدا و فيصلا بين الحق و الباطل لقد كان عليه السلام من أعظم الشخصيات الاسلاميه التی أدت واجبها و قامت بدورها فی الدعوه الی الله عزوجل، فظهرت فی معترک الحياه ببطوله خارقه و جهاد رائع يبعثان فی نفوس الأمه قوه الايمان، و صحه العقيده، و مقاومه الهوی، و التسابق الی الخير، و الاخلاص و الوفاء و المحبه و الأخوه فی الاسلام و تعظيم شعائر ابتغاء وجه الله [صفحه ۳۰۵] و أعدادا ليوم الحساب [۳۵۵] . لقد أراد أن يعالج المشاكل السياسيه و الاداريه و الاجتماعيه التی كان يموج بها العالم الاسلامی فی عصره [۳۵۶] ، علی ضوء ما جاء به الاسلام فی مبادئه القويمه و تعاليمه السمحه الانسانيه،

بعیدا عن المصالح الشخصیه و الأهداف الخاصه، فکان علیه السلام یدعو الناس الی التسلح بالقوی المعنویه، و الشجاعه الفردیه، التی لا ـ تقف أمامها أی قوه، الا الایمان بالله و رسوله و الیوم الآخر. و هـذه القوه هی أعظم قوه تضـمن للأمه الاسـلامیه النصـر و الفلاح و السؤود. لأن المؤمن قوی القلب قوی الاراده، مجاهد صـبور، واثق بنصرالله و تأییده، فهو عزوجل یذلل له کل الصعاب، و یهون علیه کـل العقبـات، و به وحـده سـبحانه و تعـالی یتغلب علی میوله و شـهواته (الجهـاد الأ ـکبر) و ینشأ عن ذلک الایثار و المحبه، و التضـحیه، و نکران الـذات، و التفـانی من أجل صـلاح المجتمع [۳۵۷] و الشاهـد الناطق لهذه المثل العلیا الاسـلامیه ما یقـدمه المقـامون الاسـلامیه فی جنوب لبنـان و فی البقاع الغربی و فی فلسـطین و فی ایران و الایمان المطلق بالله تعالی یجعل فی نفوس المسـلمین و عیا مسـتنیرا و ادراکا واقعیا سلیما یبعثهم علی التمسک بالفضائل التی دعا الیها الاسلام، و الابتعاد عن الرذائل التی نهی عنها. و بالوعی الاسـلامی یدفع خطر العابثین بمقدرات الأمه الاسلامیه، و لا یجعلها فریسه لکل طامع معتدی کما یدفع عنها أیضا أمواج الفتن و تیارات الآراء المدسوسه الباطله.

افضل الجهاد

اشاره

جاهـد أهـل البیت بکـل مـا عنـدهم من طاقـات، و ان جهادهم کله فی سبیل الله لأن الأمه الاسـلامیه مکلفه بتحقیق العـداله علی الأ ـرض. و نقصـد بالعـداله الاسـلامیه و لیس العـداله المزیفه التی یتکلم بها مجلس الأمن من الـدولی، الـذی یعمل علی اصـدار القرارات فقط!!. [صـفحه ۳۰۶] و أهـل البیت کـان جهادهم فی سبیل الله عملا بقول الله: «و جاهـدوا فی الله حق جهاده» [الحـج: ۷۸] و قال تعالی أیضا: «و

قاتلوا فی سبیل الله» [البقره: ۲۴۴]. و لا ریب أن سبیل الله هو الحق، و کل جهاد هو فی سبیل الـدین و الأمه الاسـلامیه لدفع الظلم عنهـا و مناصـره المستضـعفین فی شتی أنحـاء الأرض، لا فرق بین جنس و جنس و لون و لون و دین و دین. و قال تعالی مخاطبا أمه محمد صـلی الله علیه و آله و سـلم: «و کذلک جعلناکم أمه وسـطا لتکونوا شهداء علی الناس و یکون الرسول علیکم شهیدا» [البقره، ۱۴۳] أی لتکونوا شـهداء علی النـاس فی تقصـیرهم و غلوهم فتقوموا باظهار عوجهم بالأسـلوب الـذی ترونه مناسـبا. قال رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم: «جاهدوا المشرکین بأموالکم و أنفسکم و ألسنتکم» [۳۵۸] فمن أهل البیت علیه السلام من جاهـد بماله، و منهم من جاهـد بنفسه، و منهم من جاهد بلسانه و کله جهاد فی سبیل الله. فالامام علی علیه السـلام جاهد بماله و نفسه، و ابنه الامام الحسـین علیه السـلام جاهد بنفسه و استشـهد من أجل اعلاء کلامه الحق و الاصلاح أمه جده صلی الله علیه و آله و سـلم و عقیله بنی هاشم السـیده زینب جاهدت بلسانها فرفعت صوتها فی وجه الحکام الظالمین محرضه القوم علی المطالبه بحقهم و الـدفاع عن أنفسـهم فقالت مخاطبه یزیـد، الحاکم الظالم المنحرف عن الاسـلام: و لئن جرت علی الدواهی مخاطبتک، انی لأستصغر قدرک، و أستعظم تقریعک و أستکثر توبیخک ولکن العیون عبری، و القلوب حری، الا فالعجب کل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشـیطان الطلقاء. و لئن اتخـذتنا مغنما لتجـدن و شـیکا مغرما حین لا تجد الا ما قدمت یداک و ما ربک بظلام للعبید، و الی الله المشتکی و علیه المعول».

و هـذه بلاـ ريب من أفضـل الجهـاد. «أفضـل الجهاد كلمه حق تقال بين يـدى سـلطان جائر». و الامام زين العابـدين جاهـد ضـد الحكام الظالمين و حذر من معونتهم [صفحه ۳۰۷] فقال عليه السلام: «اياكم و صحبه العاصين، و معونه الظالمين» [۳۵۹] . و زيد بن على جاهد استشـهد ضد الحكام الطغاه... و الامام الصادق عليه السـلام أمضـى حياته كلها جهادا متواصـلا ضد ملوك عصره فالـدوله الأـمويه لم تتخـذ الاسـلام نظامـا فى حريه الرأى و الاجمـاع الصـحيح من أهـل الحـل و العقـد، بل دعت الى محاربته و ارتبطت أشـد الارتبـاط بفوضـى الجـاهليه. و بـدل أن تجمع شـتات المسـلمين فرقت ذلـك الجمع الـذى جمعه المصـلح الأعظم بدعوته المباركه. فالاسـلام أمر بوحده المسلمين و هم عملوا على تفريقهم، و الاسلام نهى عن اراقه الدماء و قد ولغوا فيها بقدر، و الاسـلام أمر بالعـدل و الاحسان و قد جاروا فى الحكم و أساؤوا السـيره فى الأمه. و اذا قلبنا تاريخ الجاهليه أدركنا أنه تمثل فى عصـرهم بأوضـح صوره، و نوجز القول: أنهم تمردوا على نظم الاسـلام و أوامره و شـرعه المقـدس الـذى يحفـظ سـلامه الأمه و سعـاده البشـر عـامه. و لاـ ريب أن التعاليم الاسـلاميه التى تكفلت للأمه السـعاده فى اتباعها تحتاج الى اراده سـليمه فى التنفيـذ و التطبيق. و لا يقوم بهذه المهمه الا الحاكم العادل الذى يفضل المصـلحه العامه على مصلحته الشخصيه، و الذى يغذى الأمه بعلمه النمير و تعاليمه القويمه لتنال السـعاده فى الدارين الحياه الدنيا و الحياه الآخره. و لا يخفى على ذوى البصائر أن الاسلام مجموعه نظم و قوانين سماويه هبطت الى الأرض بواسطه الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم فهو الذى تولى

تطبیقها فی حیاته، و من اختاره لـذلک بعد وفاته بأمر المشـرع الأعلی رب العالمین جل جلاله. «و ربک یخلق ما یشاء و یختار ما کان لهم الخیره» [القصـص: ۶۸] و الامـامه منصب الهی کـالنبوه، فکمـا أن الله سـبحانه یختـار من یشاء من عباده للنبوه و الرساله فکـذلک یختـار للامـامه من یشاء، و یأمر نبیه بالنص علیه و أن ینصـبه اماما للناس من بعـده للقیام بالوظائف التی کان علی النبی القیام بها؛ سوی أن الامام لا [صفحه ۳۰۸] یوحی الیه کالنبی، و انما یتلقی الأحکام منه عزوجل. فهو صـلی الله علیه و آله و سلم مبلغ عن الله، و الامام مبلغ عن النبی، و الامامه متسلسـله فی اثنی عشـر اماما کل سابق ینص علی اللاحق و هو معصوم - کالنبی - عن الخطأ و الخطیئه، و الا ـ لزالت الثقه. قـال تعـالی: «انی جاعلـک للنـاس امامـا قـال و من ذریتی قال: لا ینال عهـدی الظالمین» [البقره: ۱۲۴] لأن الغرض الأساسـی: تکمیل البشـر و تزکیه نفوسـهم بالعمل الصالح قال تعالی: «هو الذی بعث فی الأمیین رسولا منهم یتلو علیهم آیـاته و یزکیهم و یعلمهم الکتاب و الحکمه» [الجمعه: ۲] و لا ریب أن فاقد الشی ء لا یعطیه و الناقص لا یکون کاملا ـ و الامـام الصـادق هو سـادس الأئمه الأثنی عشـر، و ولی أمر المسـلمین، و هو الانسان الکامل الـذی اختاره الله عزوجل و أوصی به والده الامام الباقر علیه السلام اختاره الله لتطبیق ذلک النظام المقدس فی عصره مهما کلف الثمن. و حسبک دلیلا علی نزاهته خصومه - علی کثره عددهم و اختلاف عقائدهم - کلهم یشـهدون بکفاءاته و نزاهته و أهلیته. و فی عصـره کانت الأنظار متجهه

الیه، و قد طلب منه قواد الثوره أن یبایعوه خلیفه لثقه المجتمع به، لکنه امتنع عن ذلک لما یراه وراء سیر الحوادث. و شاهد الامام علیه السلام بأم عینه ضیاع ملوک عصره و ابتعادهم عن الاسلام و سیرتهم الملتویه فی منهجهم السیاسی المائج بالاضطرابات و الثورات... و کان همهم الأوحد اشباع رغباتهم من أی طریق کان. فخالفوا الکتاب و السنه و وقفوا حاجزا دون سعاده الأمه التی اختارها تعالی «خیر أمه أخرجت للناس» و سوف نعرض یعض الحوادث التی جرت فی عصر الامام لنقف علی ما تحمله من تلک الأوضاع الشاذه، و نقدر جهاده المستمر حتی انتقاله الی جنه المأوی...

موقف الامام من الظالمین

اشاره

کان موقفه فی تلک الفتره موقف المصلح و المرشد و الواعظ یراقب الحوادث عن کثب و یشارک المسلمین فی مآسیهم، و یتألم لتلک الفضائح و الجرائم لکن أعوانه قله و یده شلاء، فما العمل؟ لم یترک الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر [صفحه ۳۰۹] و ارشاد الناس الی الحق و الخیر، مع شده المراقبه علیه من الحکام و نصب الحبائل له و المکاید لیلحقوه کما ألحقوا أباه وجده بشهداء آل محمد. لکن العنایه الالهیه تدفع شرهم عنه فی کل مکیده. کان یحذر الأمه من مخالطه أهل الجور و یبث تعالیمه فی معارضتهم و هذا ما کان یقلقهم لکنهم لا یستطیعون الحاق الأذی به لمحبه الجماهیر له. و من مواعظه لأمته و تحذیراته لهم قوله: «ایاکم أن یخاصم بعضکم بعضا الی أهل الجور، أیما مؤمن قدم مؤمنا فی خصومه الی قاضی أو سلطان جائر فقضی علیه بغیر حکم الله فقد شرکه فی الاثم. أیما رجل کان بینه و بین أخ له مماراه فی حق فدعاه

الی رجل من اخوانکم لیحکم بینه و بینه فأبی الا أن یرافعه الی هؤلاء، کان بمنزله الـذین قال الله عزوجل فیهم: «ألم تر الی الذین یزعمون أنهم آمنوا بما أنزل الیک و ما أنزل من قبلک یریدون أن یتحاکموا الی الطاغوت و قد أمروا أن یکفروا به و یرید الشیطان أن یضلهم ضلالا بعیدا» [النساء: ۶۰]. و مما حذر به أیضا قوله: «اتقوا الحکومه فان الحکومه للامام العالم بالقضاء، العادل بالمسلمین کنبی أو وصی نبی». و سأله رجل عن قاض بین فرقتین یأخذ من السلطان علی القضاء الرزق؟ فأجابه علیه السلام: «ان ذلک سحت.» و قال: العامل بالظلم، و المعین له، و الراضی به کلهم شرکاء ثلاثتهم». و کان علیه السلام یحث الناس و یدعوهم الی مقاطعتهم و عدم الرکون الیهم، و یدعو الأمه الی الاتحاد ضد أولئک الظالمین امتثالا لقول الله تعالی «و لا ترکنوا الی الذی ظلموا فتمسکم النار و ما لکم من دون الله من أولیاء ثم لا تنصرون» [هود: ۱۱۳] و هو بصفته امام زمانه یبث النصیحه بین طبقات ذلک المجتمع و یواصل جهاده فی سبیل الدعوه الاصلاحیه، لیفک أسر الأمه من ید من أفسدوا ذلک المجتمع الصالح. و قد عاصر کثیرا من ملوک عصره و ما ر کن لهم، و ما استطاعوا أن یستمیلوه. من الذین عاصرهم: عشره ملوک من بنی أمیه و هم: [صفحه ۳۱۰] عبدالملک بن مروان تولی بعد عهد أبیه مروان سنه ۶۵ ه و بقی الی سنه ۸۶ ه الولید بن عبدالملک تولی سنه ۸۶ ه و توفی سنه ۹۵ ه و مده ولایته ۹ سنوات؛ سلیمان بن عبدالملک تولی سنه ۹۶ بعهد من أبیه عبدالملک و استمر

حتی سنه ۹۹ ه؛ عمر بن عبدالعزیز تولی الحکم سنه ۹۹ و بقی الی سنه ۱۰۱ ه؛ یزید بن عبدالملک تولی سنه ۱۰۱ و بقی حتی سنه ۱۰۵ ه؛ ۴ هشام بن عبدالملک ولی الأمر بعهد من أخیه یزید سنه ۱۰۵ و بقی الی سنه ۱۲۵ ه الولید بن یزید بن عبدالملک ولی بعهد من یزید سنه ۱۲۵ ه و بقی فی الحکم سنه و شهرین ابراهیم بن الولید بن عبدالملک تولی سنه ۱۲۶ ه کانت مده ولایته ثلاثه أشهر و مروان بن محمد الملقب بالحمار تولی سنه ۱۲۷ و بقی حتی سنه ۱۳۲ ه و به انتهی الحکم الأموی. و عاصر من ملوک العباسیین: عبدالله بن علی بن عبدالله بن العباس المعروف بالسفاح، و أخیه المنصور الدوانیقی و قد حاول المنصور أن یستمیل الامام الصادق لیوهم الناس أن ولایته علی حق فأرسل الیه: لم لا تغشانا کما یغشانا سائر الناس؟.. و کان المنصور یظن أن ینال من الامام جوابا ایجابیا اذ أنه کان سلطان العصر و مهاب الجانب! فکان جواب الامام علیه السلام: «ما عندنا من الدنیا ما نخافک علیه و لا عندک من الآخره ما نرجوک له، و لا أنت فی نغمه فنهنیک علیها، و لا تعدها نقمه نعزیک علیها، فلم نغشاک؟» قال له المنصور: «تغشانا لتنصحنا». فأجابه الامام علیه السلام: «من أراد الدنیا فلا ینصحک، و من أراد الآخره فلا یصحبک» انه الجواب السدید و الجری ء الذی یتناسب مع کبار الطغاه!. و عظم هذا الجواب علی المنصور ولکنه یعرف منزله الامام الصادق فی مجتمعه فأضمر له الشر منتظرا الوقت المناسب و من جهاده صلی الله علیه و آله و سلم تجاه مجتمعه: نهیه عن

فض الخصومه لـدى الحكام الظالمين: لقد منع المرافعه عند حكام الجور، و أمر بمقاطعتهم، و قد أقام جماعه من [صـفحه ۳۱۱] كبار أصحابه حكاما من قبله، ينظرون فى الخصومات، و يحكمون بكتاب الله و سنه نبيه صلى الله عليه و آله و سلم و قد أمر عليه السـلام بـالرجوع اليهم، و المرافعه عنـدهم و قال: أيما رجل كانت بينه و بين أخ له مماره فى حق، فـدعاه الى رجل من اخوانكم ليحكم بينه و بينه، فأبى الا أن يرفعه الى هؤلاء، كان بمنزله الذين قال الله عزوجل فيهم: «ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليـك و مـا أنزل من قبلـك يريـدون أن يتحـاكموا الى الطـاغوت و قـد أمروا أن يكفروا به» [النساء: ۶۰] و كـان يعلن عليه السلام بأن المرافعه الى أولئك الحكام اثم، و أن حكمهم غير نافذ، لأن الحكومه للامام العادل بالحكم، العالم بالقضاء، كنبى أو وصـى نبى، و هو صـلى الله عليه و آله و سـلم أحق بـالحكم، و أمر بـالرجوع لمن جعله من قبله للحكم بين المتنـازعين. و قـد نبه جماعته: «اياكم أن يخاصم بعضـكم بعضا الى أهل الجور، و أيما مؤمن قدم مؤمنا فى خصومه الى قاض أو سـلطان جائر فقضـى عليه بغير حكم الله فقد شركه فى الاثم». و قال فى جواب من سأله عن ذلك: «ما أحب أن أعقد لهم عقده، أو وكيت لهم وكاء، ان الظلمه فى سرداق من نار، حتى يحكم الله بين العباد».

حثه على مساعده المحتاجين

كان هو عليه السـلام المثل الأعلى فى مساعده الضـعفاء و أبناء السبيل. دخل عليه عمار السـباطى، فقال له: يا عمار انك رب مال كثير فتؤدى ما افترض الله عليك من

الزكـاه؟. قـال: نعم. قـال الامام عليه السـلام: فتخرج الحق المعلوم من مالك. قال: نعم. قال عليه السـلام: فتصل قرابتك؟ و تصـل اخوانک؟. قال: نعم. قال عليه السلام: يا عمار المال يفنى، و البدن يبلى، و العمل يبقى و الديان حى لا يموت. يا عمار، ما قدمت فلم يسـبقك، و ما أخرت فلن يلحقك. و لشده اهتمامه بمساعده الضعفاء، و قضاء حوائج المؤمنين، كان يرى أن الاعراض عن [صفحه ۳۱۲] المؤمن المحتاج للمساعده استخاف به، والاسـتخاف بالمؤمن اسـتخفاف به عليه السـلام. و جاء ذلک موضـحا فى قوله قد كان عنده جماعه من أصـحابه: ما لكم تستخفون بنا؟ فقام اليه رجل من أهل خراسان فقال:. معاذ الله أن نستخف بكم أو بشـى ء من أمركم!. فقال عليه السـلام: انک أحد من اسـتخف بى. فقال الرجل: معاذ الله أن أسـتخف بک!! فقال عليه السـلام: و يحـك ألم تسـمع فلانـا و نحن بقرب الجحفه، و هو يقول لک: احملنى قـدر ميل فقـد و الله أعييت. فوالله ما رفعت له رأسا، لقد اسـتخففت به، و من اسـتخف بمؤمن فينـا اسـتخف، وضـيع حرمه الله عزوجل. و قال له رجل من أصـحابه: جعلت فـداك: بلغنى أنک تفعل فى عين زاد (اسم ضـيعه) شـيئا أحب أن أسمعه منک. فقال عليه السلام: نعم كنت آمر اذا أدركت الثمره أن يثلم فى حيطانها الثلم، ليـدخل الناس و يأكلوا، و كنت آمر أن يوضع عشـر بنيات يقعد على كل بنيه عشـره، كلما أكل عشـره جاء عشـره أخرى، يلقى لكل نفس منهم مد من رطب، و كنت أمر لجيران الضـيعه كلهم: الشيخ و العجوز و المريض، و الصبى، و المرأه، و من لا يقدر، أن يجى ء فيكون لكل انسان مدا، فاذا أوفيت القوام و

الوکلاء أجرتهم أحمل الباقی الی المدینه، ففرقت فی أهل البیوت و المستحقین علی قدر استحقاقهم، و حصل لی بعد ذلک أربعمائه دینارا و کانت غلتها أربعه آلاف. و قال مصادف: کنت عند أبی عبدالله الصادق فدخل رجل فسلم علیه فسأله علیه السلام کیف خلفت من اخوانک؟ فأجاب الرجل و أحسن الثناء و أطراهم. فسأله الامام: کیف عیاده أغنیائهم لفقرائهم؟. فقال الرجل: قلیله. قال الامام: کیف صله أغنیائهم لفقرائهم فی ذات أیدیهم؟ فقال الرجل: انک تذکر أخلاقا قل ما هی فیمن عندنا. قال الامام: فکیف یزعم هؤلاء أنهم شیعتنا؟!. و قال اسحاق بن عمار: دخلت علی أبی عبدالله الصادق. فنظر الی بوجه [صفحه ۳۱۳] قاطب فقلت: ما الذی غیرک لی؟. قال علیه السلام: الذی غیرک لاخوانک، بلغنی یا اسحاق أنک أقعدت ببابک بوابا یرد عنک الفقراء. فقلت: جعلت فداک انی خفت الشهره. فقال الامام: ألا خفت البلیه!. کان علیه السلام یبذل جهده فی توجیه الناس و تقویم أخلاقهم و اصلاح شؤونهم ما استطاع، و یدعو ذوی الیسر الی الانفاق علی ذوی العسره، و أن یوسعوا علی المضیق منهم حتی یمنعوهم من ذل السؤال. و کان ینفق حتی لا یبقی شیئا لعیاله [۳۶۰] .

حثه علی العمل و الرزق الحلال

و من جمله تعالیمه حثه علی طلب المال من حله و یدعو أصحابه الی التکسب فی الأسواق و یری ذلک عزا لهم. یقول المعلی بن خنیس: رآنی أبوعبدالله علیه السلام و قد تأخرت عن السوق، ما لی أراک و قد ترکت غدوک الی عزک؟!. فهو علیه السلام یدعو الی الکسب الحلال لینال المرء عزه له و لا یکون عائلا علی الناس فیهان. و لقد أخبر عن رجل قال: لأقعدن و لأصلین، و لا صومن و لأعبدن

الله، فأما رزقی فیأتینی... فقال الامام علیه السلام: هذا أحد الثلاثه الذین لا یستجاب لهم. و قال له رجل: انا لنطلب الدنیا و نحب أن نؤتاها. قال علیه السلام: ماذا تحب أن تصنع بها؟ فقال الرجل أوسع بها علی نفسی و عیالی، و أصل بها قرابتی، و أتصدق و أحج و أعتمر. فقال علیه السلام: لیس هذا طلب الدنیا، هذا طلب الآخره. [صفحه ۳۱۴] و کان الامام الصادق یطلب الرزق الحلال بنفسه. قال أبوعمر الشیبانی: رأیت أبا عبدالله الصادق و بیده مسحاه یعمل فی حائط له و العراق یتصبب، فقلت: جعلت فداک، أعطنی أکفک. فقال لی: انی أحب أن یتأذی الرجل بحر الشمس فی طلب المعیشه. و قال المفضل بن قره: دخلنا علی أبی عبدالله فی حائط له (بستان) و بیده مسحاه یفتح بها الماء و علیه قمیص، و کان یقول: انی لأعمل فی بعض ضیاعی و ان لی من یکفینی لیعلم الله أنی أطلب الرزق الحلال.

حثه علی صله الرحم

کان من حسن سیرته و مکارم أخلاقه یصل من قطعه، و یعفو عمن أساء الیه، و یحاول أن یزیل من القلوب الضغائن و الأحقاد التی تبعث علی الکراهه و الفرقه و قد ورد أنه وقع بینه و بین عبدالله بن الحسن کلام، فأغلظ عبدالله فی القول ثم افترقا و ذهبا الی المسجد، فالتقیا علی الباب. فقال الصادق لعبدالله بن الحسن: کیف أمسیت یا أبامحمد؟ فقال عبدالله بخیر - یقول المغضب. قال الصادق: یا أبامحمد أما علمت أن صله الرحم تخفف الحساب؟. ثم تلی قوله تعالی: «و الذین یصلون ما أمرالله به أن یوصل و یشخون ربهم و یخافون سوء العذاب» [الرعد: ۲۱]. فقال عبدالله: فلا ترانی بعدها قاطعا رحما.

ان کل هذه الفضائل التی تساهم فی بناء مجتمع اسلامی سلیم قویم و النشاط فی تحقیقها تعد فی عداد الجهاد الأکبر الذی دعا الیه الاسلام من أجل سعاده الانسان فی الدارین الدنیا و الآخره. [صفحه ۳۱۵]

الخاتمه

أیها الامام. أیها الامام العظیم، أیها الامام العلیم، أیها الامام الحلیم تری هل و فیتک حقک و أنا أقفو خطاک فی هذا البحث المتواضع؟ لکن یا مولای: «ان الهدیه علی مقدار مهدیها». عشت معک ساعات و أیاما و شهورا فی هذا العام المبارک ۱۴۱۷ - الموافق ۱۹۹۶ م و أنا أتنقل بین روائع عطایاک فی المراجع و المصادر المعطره بذکرک، فوجدتک فی جمیعها عظیما منیرا و رائعا بلیغا و معلما کبیرا. وقفت خاشعا أمام وقع خطاک حائرا أمام نمیر عطایاک. یا امامی الحبیب. أنت واسع کالمدی و أنت غزیر کالفیض و أنت کریم کالغیث فأی عقل منیر و أی علم و فیر و أی اجتهاد کبیر!. أنعم الله علیک فأجزلت بنعمه علی کل انسان و استمرت هذه النعم عطره فی عمق الوجدان، ناصعه علی صدر الزمان لأنها نهلت من عطر النبوه و رحیق العتره. نورت أمامنا طریق جدک المصطفی صلی الله علیه و آله و سلم و سهلته أمامنا حتی نقفو خطاک، و وضحته بعزمک الملحاح لنبلغ به محطات جلیله و نحقق بواسطته غایات نبیله. جمعت العلم من مکامنه العمیقه و رصعته بجهودک النشیطه و قدمته للأمه لتفجر به طاقاتها الکریمه. [صفحه ۳۱۶] و جمعت المعرفه و رسمت منها سیاسه الأمه لتصلح أمورها و تنظم حیاتها و تعیش حریتها و تکون کما أراد مولاها خیر أمه أخرجت للناس تأمر بالمعروف و تنهی عن المنکر. فمن تکون

هـذه الأـمه ان لم تلبـك النـداء؟. و من نكون ان لم نترسم خطاك؟ و نعمل جاهـدين على كسب رضاك فيا ليت عصورنا كلها تقفو خطـاك، و يـا ليت الجميع يلبون نـداك فيحبون فى الله كما أردت، و يكرهون فى الله كما أوصـيت و يعملون فى سبيل الله كما عملت. فسـلام عليك يوم ولدت و سلام عليك يوم توفيت و سلام عليك يوم تبعث حيا. و هذه الصفحات التى حررتها من دم قلبى و نور عينى أرفعهـا اليـک يـا مولاـى رمزا للحب و الولاء، و تمسـكا بحبل العتره الأطهار آملا منك القبول. العبـد الفقير حسين ابراهيم الحاج حسن شمسطار ۱۳ رجب ۱۴۱۸ ه الموافق ۱۳ تشرين الثانى ۱۹۹۷ م

پاورقی

[۱] الأحزاب الآيه ۳۳.

[۲] أصول الكافى ج ۱ ص ۲۸۵.

[۳] الأحزاب الآيه ۶.

[۴] المناقب ج ۲ ص ۳۴۴ و كشف الغمه ص ۲۲۶ و أعيان الشيعه ج ۲ ص ۱۷۱.

[۵] الامام الصادق لمحمد أبى زهره ج ۱ ص ۱۵۳.

[۶] راجع الفهرست للشيخ الطوسى و رجال النجاشى و الامام الصادق و المذاهب الأربعه لأسد حيدر.

[۷] الجعد من الشعر خلاف السبط.

[۸] الشم: ارتفاع قصبه الأنف و انتصاب الأرنبه طرف الأنف ويكنى به عن الآباء.

[۹] الامام الصادق لمحمد أبى زهره ص ۷۵.]

[۱۰] ذكر أهل السـير أن المنصور العباسى كتب الى عامله على المدينه أن ينظر الى من أوصى اليه الصادق عليه السلام فيقدمه و يضرب عنقه، و لما كتب له بأسماء الأوصياء قال: ليس الى قتل هؤلاء من سبيل و هنا يظهر الغرض من هذه الوصيه.

[۱۱] الارشاد ص ۲۸۹.

[۱۲] الارشاد ص ۲۷۱.

[۱۳] كفايه الأثر.

[۱۴] المصدر نفسه.

[۱۵] بحار الأنوار ج ۱۱ ص ۱۰۸ و القصص الآيه ۵.

[۱۶] الامام الصادق و المذاهب الأربعه

ج ۱ ص ۲۹ و ج ۲ ص ۳۹۸.

[۱۷] الفهرست ص ۳۰۸.

[۱۸] لسان الميزان ج ۱ ص ۲۴.

[۱۹] الفهرست ص ۳۰۸.

[۲۰] نفسه ص ۵۰ و كشف الظنون ج ۲ ص ۴۴۴.

[۲۱] نفسه ص ۲۵۰ و ذكر له ۲۵ كتابا.

[۲۲] راجع تهذيب التهذيب ج ۲ ص ۴۸.

[۲۳] الفهرست للشيخ الطوسى ص ۴۵.

[۲۴] الخصال ج ۱ ص ۷۷.

[۲۵] المناقب ج ۴ ص ۲۴۸.

[۲۶] تذكره الحفاظ ص ۱ ص ۱۶۶.

[۲۷] المناقب ج ۴ ص ۲۵۵.

[۲۸] من أمالى الامام الصادق لمحمد الخليلى ج ۴ ص ۱۵۷.

[۲۹] الملل و النحل ج ۱ ص ۱۶۶.

[۳۰] الفصول المهمه ص ۲۲۲.

[۳۱] تذكره الحفاظ ج ۱ ص ۱۶۶.

[۳۲] كتاب الجفر جلد جفر كتب فيه الامام الصادق عليه السلام لآل البيت كل ما يحتاجون الى علمه و كل ما يكون الى يوم القيامه.

[۳۳] الأعلام ج ۲ ص ۱۲۱.

[۳۴] المصدر نفسه.

[۳۵] الامام الصادق ص ۶۵ و ۶۸.

[۳۶] حلیه الأولیاء ج ۳ ص ۱۹۲.

[۳۷] المصدر نفسه.

[۳۸] رسائل الجاحظ للسندوبی ص ۱۰۶.

[۳۹] النجوم الزاهره ج ۲ ص ۸.

[۴۰] تاریخ العرب ص ۱۷۹.

[۴۱] کتابه جعفر بن محمد ص ۶.

[۴۲] مقدمه کتاب الهفت و الأضله ص ۱۵ – ۱۶ عارف تامر، و الأب أ.عبده خلیفه الیسوعی.

[۴۳] هذا ما قاله المفید فی الارشاد.

[۴۴] الرعد الآیه ۲۱.

[۴۵] تستشان: أی یکون لک شأن و منزله.

[۴۶] أعیان الشیعه ۴ ق ۲ / ۲۰۷ و مطالب السؤول ج ۲ ص ۵۷ و صفوه الصفوه ج ۲ ص ۹۵ و الفصول المهمه ص ۲۱۰ و کشف الغمه ص ۲۳۳.

[۴۷] الخصال ص ۹۷ – الحشر الآیه ۹.

[۴۸] أمالی الشیخ الصدوق ص ۴۹۱.

[۴۹] راجع هذه الوصیه فی تحف العقول.

[۵۰] القصص الآیه ۸۳.

[۵۱] أعیان الشیعه ج ۲ ص ۲۰۵ و

حليه الأولياء ج ۳ ص ۱۹۵.

[۵۲] روضه الكافى ص ۱۴۳ و المعارج الآيه ۴.

[۵۳] أئمتنا للحاج على دخيل عن الروضه من الكافى ص ۴۹.

[۵۴] نفسه عن عقاب الأعمال ص ۲۸۸.

[۵۵] العلق الآيه ۱ - ۵.

[۵۶] القلم الآيه ۱ - ۲.

[۵۷] الاسراء الآيه ۹.

[۵۸] الطلاق الآيه ۱۱.

[۵۹] البقره الآيه ۳۰.

[۶۰] ص الآيه ۲۶.

[۶۱] المائده الآيه ۳.

[۶۲] الجمعه الآيه ۲.

[۶۳] راجع كتاب اقتصادنا للامام الشهيد الصدر ص ۱۹ و ما بعدها.

[۶۴] الرعد الآيه ۱۱.

[۶۵] علم الاجتماع الأدبى للمؤلف ص ۶۹.

[۶۶] الملك الآيه ۱۵.

[۶۷] المائده الآيه ۸۷.

[۶۸] القصص الآيه ۶۰.

[۶۹] القصص الآيه ۷۷.

[۷۰] النافقون الآيه ۸.

[۷۱] البقره الآیه ۳۰.

[۷۲] انظر: البقره الآیه ۴۳ و ۸۳ و ۱۱۰ و النساء الآیه ۷۷ و ۱۰۳ و الأنعام الآیه ۷۲ و الأعراف الآیه ۲۹ و یونس الآیه ۸۷ و الحج الآیه ۷۸ و النور الآیه ۵۶ و المائده الآیه ۵۵ و الأنفال الآیه ۳ و التوبه الآیه ۷۱ و النمل الآیه ۳ و لقمان الآیه ۴ و غیرها کثیرات.

[۷۳] من حدیث الامام القائد الی الطلبه السعودیین المقیمین فی ایران ۲۴ - ذی الحجه - ۱۴۰۰ ه.

[۷۴] ألقی هذا الحدیث فی ایران بتاریخ ۲ - ۵ ۱۹۸۰ م.

[۷۵] نظره عامه فی تاریخ الفقه الاسلامی ص ۱۹۳.

[۷۶] الطبری ج ۹ ص ۱۴۲.

[۷۷] تاریخ الطبری ج ۹ ص ۱۴۲ حوادث سنه ۱۳۲ ه.

[۷۸] الکامل لابن الأثیر ج ۵ ص ۲۱۲ حوادث سنه ۱۳۵ ه.

[۷۹] نفسه ج ۶ ص ۱۲.

[۸۰] الفجر الآیه ۵ - ۶ - ۷.

[۸۱] حور العین لأحمد بن فارس ص ۲۱۰.

[۸۲] أبوأیوب: هو سلیمان بن مخلد کاتب المنصور و المقرب منه، قلده الدواوین و الوزاره و کانت له عند المنصور منزله رفیعه،

حتی قالت العامه: انه قد سحر أباجعفر و بعد ذلک غضب علیه و نکبه و صادر أمواله سنه ۱۵۳ ه و الربیع بن یونس بن أبی فروه مولی کیسان، کان من أعیان الدوله تولی نفقات المنصور ثم قلده الوزاره و قلد ابنه المفضل بن الربیع الحجابه.

[۸۳] هذا الحدیث ورد فی مطالب السؤول.

[۸۴] فقرات من الدعاء الثانی فی الصحیفه السجادیه.

[۸۵] نهج البلاغه خطبه رقم ۸۷.

[۸۶] نهج البلاغه خطبه رقم ۱۰۹.

[۸۷] حیاه الامام الحسین بن علی: باقر شریف القرشی ج ۲ ص ۲۸۱.

[۸۸] أئمتنا ۱ / ۱۵۱.

[۸۹] نفس المصدر.

[۹۰] الدعه: الخفض و الطمأنینه.

[۹۱] المماظه: شده المنازعه.

[۹۲] تحف العقول للشیخ الجلیل أبی محمد الحرانی ص ۲۳۰.

[۹۳] الکافی ج ۱ ص ۲۲۱.

[۹۴] مقتل الامام الحسین (ع) للسید عبدالرزاق المقرم ص ۱۳۹.

[۹۵] روضه الکافی ج ۸ ص ۳۳۰.

[۹۶] راجع روضه الکافی للشیخ الکلینی حدیث رقم ۴۱۲ و ینابیع الموده: الحافظ سلیمان بن ابراهیم القندوزی الحنفی، دارالکتب العراقیه.

[۹۷] حیاه الامام الباقر للشیخ القرشی ص ۱۷۲ عن طبقات ابن سعد ج ۹ ص ۴۶۳.

[۹۸] حلیه الأولیاء و طبقات الأصفیاء الأصفهانی مجلد ۳ ص ۲۰۶.

[۹۹] حیاه الامام الباقر للشیخ القرشی ص ۱۷۲. [

[۱۰۰] حلیه الأولیاء و طبقات الأصفیاء مجلد ۳ ص ۲۰۶.

[۱۰۱] مختصر بصائر الدرجات ص ۹۷.

[۱۰۲] وسائل الشعیه ج ۶ ص ۴۲۹ - ۴۳۰.

[۱۰۳] الامام الصادق للشیخ محمد حسین المظفری ج ۱ ص ۹۶.

[۱۰۴] آل عمران الآیه ۲۸.

[۱۰۵] الامام الصادق للشیخ محمد حسین المظفری ص ۹۶.

[۱۰۶] البقره الآیه ۱۷۱.

[۱۰۷] الأنعام الآیه ۱۲۰.

[۱۰۸] الامام الصادق للشیخ محمد حسین المظفری ص ۴۰ - ۴۳.

[۱۰۹] المناقب ج ۲ ص ۳۴۵ و الامام الصادق و المذاهب الأربعه ج ۲ ص ۳۵ و الامام الصادق للمظفری ج ۱ ص ۲۵۹.

[۱۱۰] رجال الکشی

ص ۱۲۱.

[۱۱۱] الکافی ج ۵ ص ۲۸۹.

[۱۱۲] المحاسن ص ۴۰۰.

[۱۱۳] الکافی ج ۴ ص ۹.

[۱۱۴] راجع حلیه الأولیاء ج ۳ ص ۱۹۴ و أعیان الشیعه ج ۴ ص ۳۱.

[۱۱۵] الامام الصادق و المذاهب الأربعه ج ۴ ص ۳۹.

[۱۱۶] النحل الآیه ۱۲۵.

[۱۱۷] فصلت الآیه ۳۴.

[۱۱۸] انظر الحدیث فی الفصل السابق.

[۱۱۹] حلیه الأبرار للسید هاشم البحرانی ج ۲ ص ۱۴۵.

[۱۲۰] الامام الصادق (ع) محمد حسین المظفر ج ۲ ص ۵۳.

[۱۲۱] المصدر نفسه.

[۱۲۲] بصائر الدرجات ج ۵ الباب ۱۱ ص ۲۴۳.

[۱۲۳] راجع کتاب الامام الصادق للأستاذ رمضان لاوند ص ۱۸۲ - ۱۸۵ و کتاب الامام الصادق للشیخ المظفر ج ۱ ص ۲۱۱ - ۲۱۲.

[۱۲۴] هو عبدالکریم بن أبی العوجاء، خال معن بن زائده، یقول جریر بن حازم کان بالبصره سته من أصحاب الکلام: واصل بن عطاء، و عمر بن عبید، و بشار بن برد و عبدالکریم ابن أبی العوجاء، و رجل من الأزد، فکانوا یجتمعون فی مجلس الأزد فأما عمر و واصل فقد صارا الی الاعتزال، و أما عبدالکریم و صالح فصحا الثنویه و أما بشار فبقی متحیرا و کان عبدالکرم یفسد الأحادیث فتهدده عمرو بن عبید فلحق بالکوفه فدل علیه محمد بن سلیمان فقتله وصلبه و ذلک سنه ۱۶۱ ه و لما أخذ لتضرب عنقه قال: وضعت فیکم أربعه آلاف حدیث أحرم الحلال و أحل الحرام لسان المیزان ج ۴ ص ۵۱.

[۱۲۵] هو عبدالله بن المقفع ولد سنه ۱۰۶ فی قریه من قری فارس اسمها جور و موضعها فیروزآباد، و یقول ابن الندیم: ان اسمه بالفارسیه (روزبه) و معناه المبارک و أسلم أبوه (راذویه) فتسمی روزبه بعبدالله و تکنی بأبی محمد و کان حسن الأدب، واسع العلم، حاد الذکاء، و

یعد فی طلیعه الکتاب الحاذقین و قد استعمله بعض الولاه للکتابه فی دواوینهم. رمی بالزندقه و الالحاد و حقد علیه المنصور لأمور سیاسیه، و فقتله سفیان بن یزید قتله شنیعه حیث أمر بتنور فأسجر ثم أمر بابن المقفع فقطع و ألقی فی التنور و أطبق علیه.

[۱۲۶] الاحتجاج لأبی منصور الطبرسی ص ۳۳۵ و فی کتاب الکافی للکلینی و غیرهما مناظرات رائعه للامام أبی عبدالله مع الزنادقه.

[۱۲۷] نفسه ج ۲ ص ۷۸.

[۱۲۸] النساء الآیه ۳.

[۱۲۹] المناقب ج ۲ ص ۳۳۷ و البحار ج ۴ ص ۱۱۳۷.

[۱۳۰] أئمتنا لعلی محمد علی دخیل ص ۴۶۲ عن التوحید ص ۱۳۳.

[۱۳۱] التوحید ص ۱۲۴.

[۱۳۲] سبأ الآیه ۱۸.

[۱۳۳] آل عمران الآیه ۹۷.

[۱۳۴] طه الآیه ۴۴.

[۱۳۵] الاحتجاج لأبی منصور الطبرسی ص ۳۶۲ - وفات الأعیان ج ۱ ص ۲۹۲.

[۱۳۶] التوبه الآیه ۲۹.

[۱۳۷] التوبه الآیه ۶۰.

[۱۳۸] الاحتجاج لأبی منصور الطبرسی ص ۳۶۲.

[۱۳۹] راجع الامام الصادق لمحمد أبوزهره صفحه ۱۱۳ و عباس محمود العقاد فی کتابه: أبوالشهداء الحسین بن علی ص ۴۳ - ۴۴.

[۱۴۰] الامام الصادق محمد جواد فصل الله خصائصه ممیزاته ۱۲۹،.

[۱۴۱] الامام الصادق محمد أبوزهره ص ۱۲۸.

[۱۴۲] الامام الصادق محمد جواد فضل الله ص ۱۲۸.

[۱۴۳] منجد الأعلام ماده صدق.

[۱۴۴] الصواعق المحرقه لابن حجر الهیتمی ص ۲۰۱.

[۱۴۵] الامام الصادق لعبد الحلیم الجندی المستشار الثقافی فی المجلس الأعلی للشؤون الاسلامیه فی مصر القاهره ۱۹۷۷ م ص ۲۱۹.

[۱۴۶] الامام الصادق الشیخ محمد أبوزهره ص ۲۰.

[۱۴۷] الامام الصادق رمضان لاوند ص ۱۷.

[۱۴۸] منجد الأعلام ماده صدق.

[۱۴۹] المناقب لابن شهر آشوب ج ۴ ص ۲۵۰.

[۱۵۰] الارشاد للشیخ المفید ص ۲۵۷.

[۱۵۱] کشف الغمه ج ۲ ص ۱۵۵.

[۱۵۲] أئمتنا الحاج علی محمد علی دخیل عن الدلائل و المسائل ص ۵۲.

[۱۵۳]

راجع الفهرست لابن النديم ص ۵۱۴ و أعيان الشيعه ج ۱۵ ص ۱۱۶.

[۱۵۴] تؤكد المصادر أنه عاش فى النصف الأول من القرن الثامن للميلاد، و قد اتصل بالبرامكه الذين كانوا يحافظون على «التقيه» فى علاقاتهم مع الامام الصادق عليه السلام أما نسبه فيتصل بقبيله الأزد و مسقط رأسه فى طوس من أعمال خراسان. يؤيد ذلك الشهرستانى و الأب لويس شيخو اليسوعى. و هناك اجماع على وفاته فى طوس سنه ۱۹۶ ه ولكن من المؤسف أن القدامى لم يفصحوا عن مكان قبره، غير أن الصحف الايرانيه تناقلت سنه ۱۹۷۲ م خبراً مفاده: أنه أثناء اجراء أعمال تسطيح طريق جديد خلف الجبل المحاذى للحدود العراقيه عثر العمال على بناء قديم دلت الكتابات المنحوته على صخره أنه مدفن جابر بن حيان، و اذا صح هذا الخبر فى تلك المنطقه (الرسنان) الواقعه شرقى الحدود العراقيه يمكن القول: أنه بعد هروبه من بغداد لجأ الى أقرب جبال من بغداد واقعه فى ايران و ذلك بعد تركه الكوفه و مختبره الكيماوى و منزله و جميع ما يملك و توجه الى الشرق. و قول ابن النديم: كان جابر بن حيان رياضيا و فيلسوفا و عالما بالفلك و طبيبا له مؤلفات فى المنطق و الفلسفه و علم الباطن و علم الجبر. هذه الثقافه الموسوعيه يصفها جابر أنه تلقاها من سيده الامام جعفر عليه السلام ويردها جميعها الى ملهمه الذى يطلق عليه اسم (مصحف الحكمه) و يقول: و لم يبق أمامى الا جمعها و ترتيبها.

[۱۵۵] الفهرست لابن النديم ص ۵۱۴.

[۱۵۶] دائرهالمعارف ج ۶ ص ۴۷۸.

[۱۵۷] أشعه من حياه الصادق ص ۳۶.

[۱۵۸] أعيان الشعيه ج ۱۵ ص ۱۱۶.

[۱۵۹] قال السيد الأمين: و قد علمه الامام الصادق عليه السلام طريقه

تحضیر مداد مضی ء یستخدم فی کتابه المخطوطات الثمینه لا مکان قراءتها فی الظلام و علمه طریقه صنع صنف من الورق غیر قابل للاحتراق – الأربست – أشعه من حیاه الصادق ص ۳۹.

[۱۶۰] الفهرست ص ۵۱۴.

[۱۶۱] راجع الارشاد ص ۲۵۴ و المناقب لابن شهرآشوب ج ۴ ص ۲۴۷ و أعلام الوری ص ۲۸۴.

[۱۶۲] کتابه الامام الصادق علیه السلام ۱ / ۱۵۳.

[۱۶۳] و هو الکتاب الذی أملاه الامام الصادق علی تلمیذه المفضل بن عمر الجعفی الکوفی، المتوفی فی نهایه القرن الثانی للهجره فی زمن المأمون. و قد أراد به مؤلفه أن یثبت وحدانیه الخالق عن طریق التأمل فیما خلق.

[۱۶۴] کتاب منسوب الی الامام الصادق مطبوع مع جامع الأخبار، أسلوبه لا یشبه سائر کلمات الأئمه و آثارهم و الله العالم.

[۱۶۵] أئمتنا ج ۱ ص ۴۳۴ عن الأعلام ح ۲ ص ۹۱.

[۱۶۶] و بعض هذه الرسائل موجود فی مکتبه الأسد بدمشق رقم عام ۵۳۷۳ و رقم ۹۵۹۴ و رقم۳۸۴۷ و رقم ۱۰۰۴۲ و رقم ۸۰ و رقم ۱۳۸۳.

[۱۶۷] الامام الصادق لمحمد أبوزهره ص ۱۰۲ و أخبار العلماء بأخبار الحکماء ص ۱۱۱ و کشف الظنون ج ۲ ص ۳۴۴ و أعیان الشیعه ج ۱ ص ۶۶۸ – ۶۶۹.

[۱۶۸] الامام الصادق محمد حسین المظفری ج ۱ ص ۲۲۴ عن بحارالأنوار.

[۱۶۹] الامام الصادق ص ۱۲۵ و سوره الحشر الآیه ۲.

[۱۷۰] طه الآیه ۸۲.

[۱۷۱] الأعلی الآیه ۲.

[۱۷۲] الامام الصادق ج ۱ ص ۱۹۹ و محمد جواد فضل الله – الامام الصادق ص ۳۳۷.

[۱۷۳] راجع کتاب الثوم و العمر المدید للعماد مصطفی طلاس و فیه فصل خاص من فوائد الثوم الطبیه فأورد سبعین فائده منها: تنقیه الدم – اباده الجرائیم – ضغط الدم – مفعول

العفونه – حصر البول....

[۱۷۴] البقره الآیه ۶۱.

[۱۷۵] رواه الترمذی عن أبی العالیه مرسلا الی النبی (ص).

[۱۷۶] راجع الامام الصادق لأحمد مغنیه ص ۱۶۶ – ۱۷۲ بیروت ۱۹۵۶ و الامام الصادق علم و عقیده. و الامام الصادق محمد الحسین المظفری ص ۱۹۸ – ۱۹۹.

[۱۷۷] الصواعق المحرقه لابن حجر ص ۱۲۰ و الخلاصه للخزرجی ص ۵۴.

[۱۷۸] الامام الصادق و المذاهب الأربعه أسد حیدر ج ۲ ص ۴۹.

[۱۷۹] أشر: طغی بالنعمه فصرفها فی غیر وجهها.

[۱۸۰] ذبل النبات: قل ماؤه و ذهبت نضارته. و ذبلت بشرته: قل ماء جلدته.

[۱۸۱] اللحاء: قشر العود أو الشجر.

[۱۸۲] سوره الأنعام الآیه ۱۲۹.

[۱۸۳] البقره الآیه ۱۰۹.

[۱۸۴] تحف العقول لابن شعبه الحرانی ص ۳۳۵.

[۱۸۵] القلم الآیه ۴.

[۱۸۶] المجازات النبویه للشریف الرضی.

[۱۸۷] المائده الآیه ۸.

[۱۸۸] الأنعام الآیه ۱۵۲.

[۱۸۹] تحف العقول البحرانی ص ۱۰۶.

[۱۹۰] المصدر السابق تحف العقول ص ۱۰۷.

[۱۹۱] المصدر نفسه تحف العقول ص ۱۰۷.

[۱۹۲] المائده الآیه ۲.

[۱۹۳] الحجرات الآیه ۱۳.

[۱۹۴] الحجرات الآیه ۱۰.

[۱۹۵] المجازات النبویه للشریف الرضی ص ۲۴۱.

[۱۹۶] جاء فی القاموس: عال الشی ء فلانا غلبه، و ثقل علیه و أهمه.

[۱۹۷] أی لا تتعبه الأثقال، یقال: آده الأمر أودا: بلغ منه المجهود و من ذلک قوله تعالی: «وسع کرسیه السماوات و الأرض و لا یؤده حفظهما» أی لا یتعبه حفظهما.

[۱۹۸] شرح النهج لابن أبی الحدید ج ۳ ص ۱۵.

[۱۹۹] أصول الکافی للکلینی ج ۲ ص ۳۳۴.

[۲۰۰] أصول الکافی للکلینی ج ۲ ص ۳۳۴.

[۲۰۱] الامام الصادق و المذاهب الأربعه أسد حیدر ج ۲ ص ۴۲ - ۴۷.

[۲۰۲] الامام الصادق للشیخ المظفر ص ۳۴.

[۲۰۳] شرح میمیه أبی فراس ص ۱۱۹.

[۲۰۴] رسائل أبی بکر الخوارزمی ص ۷۸ طبعه ۱۳۱۲ ه و الظالم المجرم کان الدوانیقی.

[۲۰۵] الحیاه السیاسیه للامام الرضا السید جعفر مرتضی

ص ۸۷.

[۲۰۶] مناقب ابن شهر آشوب ج ۳ ص ۳۵۷ و بحارالأنوار ج ۴۷ ص ۱۷۸.

[۲۰۷] تاريخ الطبرى ج ۱۰ ص ۴۴۶.

[۲۰۸] الأغانى للأصفهانى ج ۵ ص ۲۲۵.

[۲۰۹] العقد الفريد ج ۲ ص ۱۸۰ و الامام الصادق للشيخ محمد أبوزهره ص ۱۳۹.

[۲۱۰] كشف الغمه ص ۲۰۸.

[۲۱۱] الامام الصادق أسد حيدر ج ۲ ص ۳۰۲.

[۲۱۲] أعيان الشيعه السيد محسن الأمين ج ۱ ص ۶۶۱.

[۲۱۳] مناقب آل أبى طالب لابن شهر آشوب ج ۳ ص ۳۷۲.

[۲۱۴] الامام الصادق أسد حيدر ج ۲ ص ۲۰ و هو يعنى هشام بن الحكم.

[۲۱۵] مقاتل الطالبيين للأصفهانى ص ۳۳۷.

[۲۱۶] أعلام الورى ص ۲۷۷.

[۲۱۷] بحارالأنوار للمجلسى ص ۲۱۷ دار احياء التراث العربى بيروت.

[۲۱۸] رجال الكشى ص ۲۲۷.

[۲۱۹] بحارالأنوار ج ۴۷ ص ۲۲۵.

[۲۲۰] بحارالأنوار ص ۲۱۳ - ۲۱۴.

[۲۲۱] أعلام الورى للطبرسى ص ۲۷۱.

[۲۲۲] البحار ج ۴۷ ص ۱۶۲ و سوره ابراهيم الآيه ۴۶.

[۲۲۳] نفسه ص ۱۲۰.

[۲۲۴] نفسه ص ۲۰۴ روايه صفوان.

[۲۲۵] نفسه ص ۱۹۷.

[۲۲۶] البقره الآیه ۳۰.

[۲۲۷] الامام الصادق و المذاهب الأربعه ج ۴ ص ۲۹۱.

[۲۲۸] بحارالأنوار ج ۴۷ ص ۳۷۲ نقلا عن الکافی ج ۲ ص ۲۲۲.

[۲۲۹] بحارالأنوار ج ۴۷ ص ۳۹۰.

[۲۳۰] بحارالأنوار ج ۴۷ ص ۳۹۰.

[۲۳۱] الامام الصادق و المذاهب الأربعه ج ۴ ص ۲۹۱.

[۲۳۲] أصول الکافی ج ۲ ص ۷۶.

[۲۳۳] حیاه الامام موسی بن جعفر ج ۱ ص ۹۸.

[۲۳۴] الامام الصادق و المذاهب الأربعه ج ۲ ص ۳۶۱.

[۲۳۵] راجع الأصول العامه للفقه المقارن ص ۳۰۳.

[۲۳۶] الفصول المهمه لابن الصباغ المالکی ص ۲۲۴ طبعه الأعلمی.

[۲۳۷] الامام الصادق و المذاهب الأربعه ج ۱ ص ۳۷۴.

[۲۳۸] أصول الکافی ج ۱ ص ۲۹۲ و سوره الرعد الآیه ۷.

[۲۳۹] نفسه ج ۱ ص ۱۹۳.

[۲۴۰] نفسه ج ۲

ص ۷۶.

[۲۴۱] حیاه الامام موسی بن جعفر ج ۱ ص ۹۸.

[۲۴۲] أصول الکافی ج ۲ ص ۷۶.

[۲۴۳] الامام الصادق و المذاهب الأربعه ج ۴ ص ۲۹۱.

[۲۴۴] حیاه الامام الصادق للقرشی. ص ۱۳۶.

[۲۴۵] الامام الصادق و المذاهب الأربعه ج ۴ ص ۳۲۲.

[۲۴۶] حیاه الامام موسی بن جعفر ج ۱ ص ۹۹.

[۲۴۷] بحارالأنوار ج ۴۷ ص ۳۷۲ و الکافی ج ۲ ص ۲۲۲.

[۲۴۸] بحارالأنوار ج ۴۷ ص ۳۷۲.

[۲۴۹] بحارالأنوار ج ۴ ص ۳۷۳ نقلا عن الکافی ج ۵ ص ۱۰۶.

[۲۵۰] تحف العقول ص ۲۳۰.

[۲۵۱] روضات الجنات ج ۳ ص ۳۴۴.

[۲۵۲] وسائل الشیعه ج ۱۱ ص ۱۱۶ – ۱۱۷.

[۲۵۳] مناقب آل أبی طالب ج ۴ ص ۲۳۶.

[۲۵۴] البقره الآیه ۲۵۶.

[۲۵۵] الشعراء الآیه ۲۱۹.

[۲۵۶] هود الآیه ۷۵ أواه: کثیر التأوه و منیب: راجع الی الله سبحانه و تعالی.

[۲۵۷] المنافقون الآیه ۶۳.

[۲۵۸] مثل أسماء الرجال الذین یسروا للناس أسرار الطبیعه علی مقاییس الطبیعه: الوات نسبه Watt و الفرد نسبه الی Faraday و الامبیر نسبه الی Ampere و الفولت نسبه الی Volta و الاهم نسبه الی Ohm و المیجاهرتز نسبه Hertz و رونتجن نسبه الی Rontigen و هم انجلزیان و فرنسی و ایطالی و ثلاثه من الالمان.

[۲۵۹] حلیه الأولیاء و طبقات الأصفیاء للأصبهانی ج ۳ ص ۱۹۴.

[۲۶۰] المائده الآیه ۸.

[۲۶۱] المناقب ج ۴ ص ۲۳۹.

[۲۶۲] فقه الامام جعفر الصادق للعلامه محمد جواد مغنیه ج ۶ ص ۲۷۱.

[۲۶۳] فقه الامام جعفر الصادق لمحمد جواد مغنیه ج ۶ ص ۲۵۶.

[۲۶۴] نفسه ج ۶ ص ۲۷۳.

[۲۶۵] نفسه ج ۶ ص ۲۷۳.

[۲۶۶] نفسه ج ۶ ص ۲۶۲.

[۲۶۷] النحل الآیه ۸۹.

[۲۶۸] یس الآیه ۸.

[۲۶۹] المناقب ج ۴ ص ۲۲۷.

[۲۷۰] أئمتنا للحاج علی محمد علی دخیل ج ۱

ص ۱۳.

[۲۷۱] المناقب ج ۴ ص ۲۳۶.

[۲۷۲] الفرقان الآیه ۴۳.

[۲۷۳] التغابن الآیه ۱۱.

[۲۷۴] الروابط الاجتماعیه فی الاسلام للمؤلف ص ۱۷۱ الکهف الآیه ۱۱۰.

[۲۷۵] فقه الامام الصادق محمد جواد مغنیه ج ۴ ص ۲۰۵.

[۲۷۶] وسائل الشیعه ج ۱۳ ص ۸۷ و فقه الامام الصادق. ج ۴ ص ۵۸.

[۲۷۷] نفسه ج ۱۳ ص ۸۶.

[۲۷۸] حلیه الأولیاء ج ۳ ص ۱۹۴.

[۲۷۹] فقه الامام الصادق محمد جواد مغنیه ج ۶ ص ۶۵.

[۲۸۰] نفسه ج ۳ ص ۱۶۲.

[۲۸۱] فقه الامام الصادق للحر العاملی ج ۳ ص ۵۰.

[۲۸۲] راجع کتاب الوسائل للشیعه.

[۲۸۳] نهج البلاغه ج ۳ ص ۸۱.

[۲۸۴] وسائل الشیعه ج ۱۷ ص ۳۰۹.

[۲۸۵] الأنبیاء الآیه ۹۲.

[۲۸۶] الامام الصادق و المذاهب الأربعه ج ۵ ص ۷۵.

[۲۸۷] کشف الغمه ص ۲۴۰ و أعیان الشیعه ج ۴ ص ۱۵۹ و الامام الصادق للمظفری ج ۱ ص ۱۲۵.

[۲۸۸] فقه الامام جعفر الصادق محمد جواد مغنیه ج ۴ ص ۲۵۸.

[۲۸۹] الختن: کل من کان من قبل المرأه مثل الأب و الأخ المناقب ج ۴ ص ۲۷۳.

[۲۹۰] أشعه من حیاه الصادق ج ۳ ص ۵۸ و انظر الأستاذ عبدالعزیز سید الأهل فی کتابه: جعفر بن محمد ص ۵۹ و الصواعق المحرقه ص ۱۹۹.

[۲۹۱] توحید المفضل ص ۱۲.

[۲۹۲] نفسه ص ۱۵.

[۲۹۳] نفسه ص ۲۲.

[۲۹۴] نفسه ص ۳۸.

[۲۹۵] نفسه ص ۳۲.

[۲۹۶] نفسه ص ۳۲.

[۲۹۷] سیأتی الکلام حول الاجتهاد فی الفصل اللاحق.

[۲۹۸] مناقب الشافعی للفخر الرازی ص ۵۱.

[۲۹۹] جامع أسانید أبی حنیفه ج ۱ ص ۲۲۲.

[۳۰۰] تاریخ العلویین محمد أمین غالب ص ۱۴۰.

[۳۰۱] تاریخ بغداد ج ۲۴۴.

[۳۰۲] خطط الشام لمحمد کر علی ج ۶ ص ۲۵۲.

[۳۰۳] المصدر نفسه ص ۲۵۲.

[۳۰۴] الکامل لابن الأثیر ج ۹ ص ۱۲۳.

[۳۰۵] الامام الصادق و المذاهب

الأربعه لأسد حيدر مجلد ۱ – ۲ ص ۲۴۳.

[۳۰۶] المصدر السابق ص ۲۴۴.

[۳۰۷] المعجم الوسيط ج ۲ (عصم).

[۳۰۸] عقائد الاماميه ص ۳۵.

[۳۰۹] المناقب ج ۲ ص ۳۶۵ و المذاهب الأربعه ج ۴ ص ۹.

[۳۱۰] الأحزاب الآيه ۲۳ و راجع الامام الصادق محمد جواد فضل الله.

[۳۱۱] الكافى ج ۱ ص ۷۴ و يس الآيه ۸۲.

[۳۱۲] نفسه ج ۱ ص ۷۴ – ۷۵.

[۳۱۳] الزام الناصب ج ۱ ص ۱۸۵.

[۳۱۴] الرعد الآيه ۳۸.

[۳۱۵] الصحيفه السجاديه ص ۲۲۶.

[۳۱۶] الكامل لابن الأثير ج ۵ ص ۲۴۳.

[۳۱۷] تاريخ الطبرى ج ۷ ص ۱۷۲.

[۳۱۸] الامام الصادق محمد جواد فضل الله ص ۲۴۲.

[۳۱۹] اذا استثنينا الشعر فى جميع العصور.

[۳۲۰] راجع الفن و مذاهبه فى النثر العربى للدكتور شوقى ضيف.

[۳۲۱] ثمره شجره فى الهند لعله شجر الأناناس كما نسميه اليوم.

[۳۲۲] مثل الرياضيات و الفيزياء و الكيمياء و العلوم الطبيعه و ما شابهها.

[۳۲۳] سده خوره: سكنه جوع.

[۳۲۴] جعفر بن محمد لسيد الأهل ص ۸۴.

[۳۲۵] لقمان الآیه ۱۲.

[۳۲۶] معجم متن اللغه ج ۱ ص ۱۲۰.

[۳۲۷] البقره الآیه ۳۲ و الآیه ۱۲۹.

[۳۲۸] فصلت الآیه ۴۲.

[۳۲۹] غریب القرآن للجستانی ص ۱۱۸.

[۳۳۰] راجع أئمتنا للحاج علی محمد علی دخیل ج ۱ ص ۵،

[۳۳۱] الامام الاصادق و المذاهب الأربعه ص ۳۴۷.

[۳۳۲] الاسراء الآیه ۲۳.

[۳۳۳] یونس الآیه ۳۰.

[۳۳۴] الزمر الآیه ۹.

[۳۳۵] المجازات النبویه للشریف الرضی ص ۳۵.

[۳۳۶] المجازات النبویه ص ۴۴۰ و الرداء هو الثوب الذی یستر أعلی الجسم و الازار هو الذی یستر أسفل الجسم و کان من عاده العرب لبس ثوبین ازار ورداء فعبر الرسول صلی الله علیه و آله و سلم فی جانب ما یفهمه العرب و یعقلونه.

[۳۳۷] القصص الآیه ۷۷.

[۳۳۸] رواه مسلم و راجع المجازات النبویه للشریف

الرضی.

[۳۳۹] الممتحنه الآیه ۹.

[۳۴۰] ابراهیم الآیه ۴۲.

[۳۴۱] راجع الأنبیاء الآیه ۹۰: «یسارعون فی الخیرات».

[۳۴۲] من حسن المصادفه أننا فی هذه الأیام المبارکه نحتفل بمولده علیه السلام المصادف فی ۱۳ رجب.

[۳۴۳] رواه مسلم و راجع المجازات النبویه للشریف الرضی.

[۳۴۴] یمحق یهلک المال الذی یدخل فیه. و یربی: یزید فائدتها فی الدنیا و أجرها فی الآخره.

[۳۴۵] رواه مسلم.

[۳۴۶] راجع الروابط الاجتماعیه فی الاسلام للمؤلف ص ۳۹۵.

[۳۴۷] فیسبق بذلک الفلکی البولونی «کوبر نیکوس ب ۷۷۸ عاما.

[۳۴۸] الاحتجاج للطبرسی ج ۲ ص ۷۸.

[۳۴۹] الامام الصادق محمد الحسین المظفری ج ۱ ص ۲۱۳.

[۳۵۰] الامام الصادق، الشیخ أبوزهره، ص ۱۰۲.

[۳۵۱] الاحتجاج أحمد بن علی الطبرسی ج ۲ ص ۷۲ طبع النجف ۱۳۸۶ ه.

[۳۵۲] التوحید للشیخ الصدوق باب النهی عن الصفه بغیر ما وصف نفسه.

[۳۵۳] أصول الکافی باب النهی عن الجسم و الصوره.

[۳۵۴] آمل أن أعطیها لبعض طلابی فی قسم اللغه العربیه الدراسات العلیا لهذا العام الدراسی (۱۹۹۵ - ۱۹۹۶).

[۳۵۵] راجع الروابط الاجتماعیه فی الاسلام للمؤلف ص ۲۳۸ و ما بعدها - دارالمرتضی.

[۳۵۶] نهایه الدوله الأمویه و قیام الدوله العباسیه.

[۳۵۷] الروابط الاجتماعیه للمؤلف.

[۳۵۸] رواه أحمد و النسائی.

[۳۵۹] تحف العقول ص ۲۷۸.

[۳۶۰] کشف الغمه للأربیلی ج ۱ ص ۲۲۳.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ۱۴۲۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبىّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.
عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.